السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمّد عبد الملك بن هِشَام بن أيّوب
الحميري المَعافري البصري
المتوفّى ٢١٣هـ - ٨٢٨م

الجزء الثاني

حقّق أصولها وقدّم نصوصها وكتب مقدّماتها
وضبط ألفاظها ووضع فهارسها
طه عبد الرؤوف سعد
غفر الله له

دار الجيل
بيروت

السيرة النبوية

حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها

سنه ﷺ حين زواجه: قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة[1]، تزوج خديجة[2] بنتَ خويلد بن أسد ابن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلابِ بن مُرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب، فيما حدثني غيرُ واحد من أهل العلم عن أبي عَمرو المدني.

خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش

---

(١) وقيل كان سنُّه ﷺ إحدى وعشرين وقيل ثلاثين.

(٢) خديجة بنت خُوَيلد تسمى؛ الطاهرة في الجاهلية والإسلام، وفي سير التيمي : أنها كانت تُسمى: سيدة نساء قريش. وكانت قبل رسول الله ﷺ عند هند بن زرارة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ولدت له عبد مناف بن عتيق، وقال الزبير: ولدت لعتيق جارية اسمها: هند، وولدت لهند: ابناً اسمه: هند أيضاً مات بالطاعون: طاعون البصرة، ولخديجة من هند ابنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة. وانظر شرحي للشمائل النبوية للإمام الترمذي.

قوماً تِجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظمِ أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرجَ في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضَلَ ما كانت تُعطي غيرَه من التجار، مع غلام لها يقال له: مَيْسَرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامُها ميسرة، حتى قدم الشام.

حديثه ﷺ مع الراهب: فنزل رسول الله ﷺ في ظلِّ شجرةٍ قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطَّلع الراهبُ إلى ميسرة، فقال له: مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحتَ هذه الشجرة؟ قال له ميسرةُ: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيٌّ[1].

ثم باع رسول الله ﷺ سلعتَه التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتريَ، ثم أقبل قافلا إلى مكةَ، ومعه ميسرةُ، فكان ميسرةُ ــ فيما يزعمون ــ إذا كانت الهاجرة، واشتد الحرُّ، يرَى ملكين يظلَّانه من الشمس ــ وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريباً. وحدَّثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلالِ الملكين إياه.

---

(١) ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. يريد: ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي، ولم يرد: ما نزل تحتها قط إلا نبي؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك، وإن كان في لفظ الخبر: قط، فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفي، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى، أو غيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد، حتى يجيء نبي ، إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ وهي رواية عن غير ابن إسحاق، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم.

وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطور وليس هو بَحيرا المتقدم ذكره.

خديجة ترغب في الزواج منه ﷺ: وكانت خديجةُ امرأةً حازمةً شريفة لبيبة، مع ما أراد اللهُ بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له فيما يزعمون: يا ابنَ عمّ، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسِطَتِكَ[1] في قومِك وأمانتك، وحسنِ خُلقك، وصدق حديثك، ثم عرضتْ عليه نفسَها،

---

(١) وقول خديجة رضي الله عنها: لِسِطَتك في عشيرتك، وقوله في وصفها: هي أوسط قريشاً نسباً. فالسِّطَةُ: من الوسط، مصدر كالعِدة والزِّنة، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في مقامين: في ذكر النسب، وفي ذكر الشهادة. أما النسب؛ فلأن أوسط القبيلة أعرفها، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً في النسب بهذا السبب. وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه: ﴿ **قال أوسطهم** ﴾ وقوله: ﴿ **وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ فكان هذا مدحا في الشهادة؛ لأنها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان، لا يميل مع أحد، بل يصمم على الحق تصميماً، لا يجذبه هوى، ولا يميل به رغبة، ولا رهبة. من هاهنا، ولا من هاهنا، فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل، وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط: الأفضل على الإطلاق، وقالوا: معنى الصلاة الوسطى: الفُضْلى، وليس كذلك، بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم، كما يقتضي لفظ التوسط، فإذا كان وسطاً في السِّمَن، فهي بين المُمِخَّةِ ــ السمينة ــ والعجفاء، والوسط في الجمال بين الحسناء والشَّوْهاء.. إلى غير ذلك من الأوصاف، لا يعطي مدحاً، ولا ذما، غير أنهم قد قالوا في المثل: أثقل من مُغَنٍّ وسط على الذم؛ لأن المغني إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب، وإن كان بارداً جداً أضحك وألهى، وذلك أيضاً مما يُمْتع. قال الجاحظ: « وإنما الكرب الذي يَجْثُمُ على القلوب، ويأخذ بالأنفاس، الغناء الفاتر الوسط الذي لا يمتع بحُسن، ولا يضحك بلهو.. » وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله ﷺ هو: أوسط الناس. أي: أفضلهم، ولا يوصف بأنه وسط في العلم، ولا في الجود، ولا في غير ذلك إلا في النسب والشهادة، كما تقدّم والحمد لله، والله المحمود.

عــن الروض الأنف من تحقيقنا جـ ١ ص ٢١٢ــ٢١٣.

وكانت خديجةُ يومئذ أوسطَ نساء قريش نسباً، وأعظمهنَّ شرفاً، وأكثرهن مالا، كُلٌّ قومِها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدُرُ عليه.

نسب خديجة رضي الله عنها: وهي خديجة بنت خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي ابن غالب بن فِهْر.

وأمها: فاطمةُ بنتُ زائدةَ بنِ الأصمِّ بن رواحة بن حَجَر بن عبد ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فهر.

وأُمُّ فاطمة: هالةُ بنتُ عبد مناف بن الحارث بن عَمرو بن مُنْقِذ ابن عَمرو بن مَعيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر.

وأم هالة: قِلابةُ بنتُ سُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم بن عَمرو بن هُصَيْص ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر.

الرسول ﷺ يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه: فلما قالت ذلك لرسولِ الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامِه، فخرج معه عمه حمزةُ[1] بنُ عبد المطلب ــ رحمه الله ــ حتى دخل على خُوَيْلد[2] ابن أَسَد فخطبها إليه، فتزوجها.

---

(١) ويقال: إن أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله ﷺ وهو الذي خطب خطبة النكاح، وكان مما قاله في تلك الخطبة: « أما بعد: فإن محمداً ممن لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونُبْلا وفضلا وعقلا، وإن كان في المال قُلٌّ، فإنما المالُ ظلٌّ زائل، وعارية مُسترجَعة. وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك » فقال عَمرو: هو الفحل الذي لا يُصدع أنفه، فأنكحها منه، ويقال: قاله ورقة بن نوفل، والذي قاله المبرد هو الصحيح؛ لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم.

(٢) وعن ابن عباس، وعن عائشة ــ رضي الله عنهم كلهم ــ قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله ﷺ وأن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار، =

صداق خديجة: قال ابن هشام: وأصدقها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكْرة، وكانت أولَ امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوجْ عليها غيرَها حتى ماتت، رضي الله عنها.

أولاده ﷺ من خديجة: قال ابنُ إسحاق: فولدت لرسولِ الله ﷺ ولدَه كُلَّهم إلا إبراهيم: القاسمَ، وبه كان يُكْنَى ﷺ، والطاهرَ والطيب[1]، وزينبَ ورقيةَ، وأمَّ كلثوم، وفاطمةَ، عليهم السلام.

ترتيب ولادتهم: قال ابن هشام: أكبر بنيه: القاسمُ، ثم الطيبُ، ثم الطاهرُ، وأكبر بناته: رقيةُ، ثم زينبُ، ثم أمُّ كلثوم، ثم فاطمةُ.

قال ابن إسحاق: فأما القاسم، والطيب، والطاهر فهلكوا في الجاهلية.

وأما بناتُه: فكلُّهنَّ أدركْنَ الإسلامَ، فأسلمن وهاجرنَ معه ﷺ.

إبراهيم وأمه: قال ابن هشام: وأما إبراهيمُ فأمه: ماريةُ القبطيةُ. حدثنا عبد الله بنُ وهب عن ابن لَهِيعة، قال: أمُّ إبراهيم: مارية سرية النبي ﷺ التي أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كورة أنْصِنَا.

= وخويلد بن أسد هو الذي نازع تُبَّعاً الآخر حين حج، وأراد أن يحتمل الركن الأسود معه إلى اليمن، فقام في ذلك خويلد، وقام معه جماعة، ثم إن تبعا رُوِّع في منامه ترويعاً شديداً حتى ترك ذلك، وانصرف عنه والله أعلم.

(١) الطاهر والطيب لقبان للقاسم، سمي بالطاهر والطيب، لأنه وُلد بعد النبوة، الذي سمي به أول هو: عبد الله، وبلغ القاسم المشي، غير أن رضاعته لم تكن كملت، وقد وقع في مسند الفريابي أن خديجة دخل عليها رسول الله ﷺ بعد موت القاسم، وهي تبكي: فقالت: « يا رسول الله دَرَّت لُبَيْنةُ القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون عليَّ، فقال: إن له مرضعا في الجنة تستكمل رضاعته، فقالت: لو أعلم ذلك لهوّن علي، فقال: إن شئت أسمعتك صوته في الجنة، فقالت: بل أصدق الله ورسولَه ».

ورقة يتنبأ له ﷺ بالنبوة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة[1] بنِ نَوْفل بن أَسَد بن عبد العُزَّى ــ وكان ابنَ عمها، وكان نصرانيّاً قد تتبع الكتبَ، وعَلِمَ من عِلْمِ الناس ــ ما ذكر لها غلامُها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة، إن محمداً لنبي هذه الأمة، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمة نبي يُنتظر، هذا زمانُه، أو كما قال.

شعر لورقة: فجعل ورقة يستبطئ الأمرَ ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لَجِجْتُ وكنتُ في الذكرى لَجوجا ... لِهَمٍّ طالما بعثَ النَّشيجَا
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجَا
ببطنِ المَكَّتَيْنِ على رجائي ... حديثك أن أَرى منه خُروجَا[2]

---

(١) وأم ورقة: هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي، ولا عقب له، وهو أحد من آمن وأسلم ــ قبل البعثة ــ راجع الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٦ــ٢١٧.

(٢) ثني مكة، وهي واحدة؛ لأن لها بطَاحاً وظواهر، وقد ذكرنا من أهل البطاح، ومن أهل الظواهر فيما قبل، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة، وجمعها، نحو قوله: وميت بغزات، يريد: بغزة، وبغادين في بغداد، وأما التثنية فكثير نحو قوله:

بالرقمتيــن لــه أجــر وأعــراس ... والحمتيــن سقــاك الله مــن دار

وقول زهير * ودار لها بالرقمتين * وقول ورقة من هذا: « ببطن المكتين ». لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ، وقد أضاف إليها البطن، كما أضافه المبرق حين قال:

* ببطن مكة مقهور ومفتون *

وإنما يقصد العرب في هذه الإشارة إلى جانبي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى، وقد قالوا: « صدنا بقنوين »، وهو هنا اسم جبل، وقال عنترة: =

بما خَبَّرْتنا من قول قَسٍّ من الرُّهبان أكره أن يعوجَا
بأن محمداً سيسودُ فينا ويخْصِمُ من يكونُ له حَجِيجَا
ويظهرُ في البلادِ ضياءُ نورٍ يُقيمُ به البريةَ أن تموجَا[1]

= * شربت بماء الدِّحرضين *

وهو من هذا الباب في أصح القولين، وقال عنترة أيضاً:

* بعنيزتين وأهلنا بالغيلم *

وعنيزة اسم موضع، وقال الفرزدق

* عشية سال المربدان كلاهما *

وإنما هو مربد البصرة. وقولهم:

* تسألني براميتين سلجما *

وإنما هو رامة. وهذا كثير. وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان، فتسميها جنتين في فصيح الكلام، إشعاراً بأن لها وجهين، وأنك إذا دخلتها، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قوة، وصدرك مسرة، وفي التنزيل: ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية: جنتان عن يمين وشمال** ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ **وبدلناهم بجنتيْهم جنتين** ﴾ وفيه: ﴿ **جعلنا لأحدهما جنتين** ﴾ الآية. وفي آخرها: ﴿ **ودخل جنته** ﴾ فأفرد بعد ما ثنى وهي هي، وقد حمل العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ والقول في هذه الآية يتسع.

وفي البيت: حديثك أن أرى منه خروجا. قوله « منه »: الهاء راجعة على الحديث، وحرف الجر متعلق بالخروج، وإن كره النحويون ذلك؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم، فلا يتقدم عليه؛ لأن المصدر مقدَّر بأن والفعل، فما يعمل فيه هو من صلة «أن» فلا يتقدم، فمن أطلق القول في هذا الأصل؛ ولم يخصص مصدراً من مصدر، فقد أخطأ المفصل وتاه في تضلل؛ ففي التنزيل: ﴿ **أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ ومعناه: أكان عجباً للناس أن أوحينا، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب؛ لأنها ليست في موضع صفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها — انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠.

(١) هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء وأن الضياء وهو المنتشر عن النور، وأن النور هو الأصل للضوء، ومنه مبدؤه، وعنه يصدر، وفي التنزيل: ﴿ **فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم** ﴾ وفيه: ﴿ **جعل الشمس ضياء، والقمر نوراً** ﴾ لأن نور=

فيلْقَى من يحاربُه خَساراً ... ويلقى من يسالمه فُلوجَا
فيا ليتي إذا ما كان ذَاكمْ ... شَهِدْتُ فكنتُ أوَّلَهم وُلوجَا[1]
وُلوجا في الذي كرهتْ قريشٌ ... ولو عجَّت بمكتِها عجيجَا
أُرَجِّي بالذي كرِهوا جميعاً ... إلى ذي العرشِ إن سفلوا عُروجَا
وهل أمرُ السَّفالةِ غيرُ كُفرٍ ... بمن يختار مَنْ سَمَكَ البروجَا[2]
فإن يبقوا وَأبْقَ تكنْ أمورٌ ... يَضُجُّ الكافرون لها ضَجيجَا
وإن أهلكْ فكلُّ فتى سَيَلْقَي ... من الأقدارِ مَتْلَفةً حَرُوجَا

= القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس، ولا سيما في طرفي الشهر. وفي الصحيح: « الصلاة نور، والصبر ضياء » وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو: الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن، والذكر. وفي أسماء الباري سبحانه « الله نور السموات والأرض » ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه ــ سبحانه.

(١) ليتي: بحذف نون الوقاية، وحذفها مع ليت رديء، وهو في لعل أحسن منه؟ لقرب مخرج اللام من النون، حتى لقد قالوا: لعل ولعن ولأن بمعنى واحد، ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل، وهذا يؤكد حذف النون من لعلني، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إن وأن ولكن وكأن لاجتماع النونات، وحسنه في لعل أيضا كثرة حروف الكلمة.
وفي التنزيل: ﴿ **لعلي أرجع إلى الناس** ﴾ بغير نون، ومجيء هذه الياء وليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة، يدلك على أن الاسم المضمر في ضربني هو الياء، دون النون كما هو في ضربك، وضربه حرف واحد، وهو الكاف، ولو كان الاسم هو النون مع الياء ــ كما قالوا في المخفوض: منّي وعنّي بنونين. نون: من، ونون أخرى من الياء، فإذاً الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض، وفي حال النصب.

(٢) البروجا: جمع برج وهو في السماء؛ قيل منزلة القمر وقيل الكوكب [illegible] وقيل باب السماء. [المصباح]

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر

سبب هذا البنيان: قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قُريش لبنيان الكعبة[1] وكانوا يهمُّون

---

(١) وكان بناؤها في الدهر خمس مرات الأولى: حين بناها شيث بن آدم، والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى، والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس، فوقعت في أستارها، فاحترقت، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها، فطارت شرارة من الجمر في أستارها، فاحترقت، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره، فهابوا هدمها، وقالوا: نرى أن تصلح ما وَهَى، ولا تهدم. فقال: لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح، ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها؛ فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر؛ فحركوا حجرا فرأوا تحته نارا وهو ما أفزعهم، فأمرهم أن يقروا القواعد، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر. فلما قام عبد الملك ابن مروان، قال لسنا من تخليط أبي خبيث بشيء (كذا) فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إن الكعبة بيت الله، ولا بد للبيت من فناء، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها، وبنى المسجد المحيط بها، ثم كان عثمان، فاشترى دورا أخرى، وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد، فلما كان ابن الزبير زاد في إتقانه، لا في سعته، وجعل فيه عمداً من الرخام، وزاد في أبوابه، وحسنها، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد، وحمل إليه السواري في البحر إلى جدة.

بذلك، ليسقفوها ويهابون هدمَها، وإنما كانت رَضْماً[1] فوق القامة[2]، فأرادوا رفعَها وتسقيفَها، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وُجد عنده الكنز دُوَيْكاً مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خزاعة.

قال ابن هشام: فقطعت قريش يده.

وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار[3]، فتهيأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصلحها، وكانت حَيَّةٌ تخرجُ من بئر الكعبة التي كان يُطرَح فيها ما يُهدَى لها كل يوم، فتتشرق[4] على جدار الكعبة، وكانت مما يَهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلَّتْ وَكَشَّتْ[5]، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينا هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائراً

---

(١) الرضم: أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال:

رُزْتُهُم في ساعة جَرَّعتُهُم كئوس المنايا تحت صخر مُرَضَّمِ

(٢) فوق القامة: كلام كثير مُبيّن لمقدار ارتفاعها إذ ذاك، وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل، ولم يكن لها سقف، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع، فكانت ثمان عشرة ذراعا، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يُصعد إليها إلا في دَرَج أو سلم، وأول من عمل لها غَلَقاً، وهو تُبَّع. ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع. فكانت سبعا وعشرين ذراعا.

(٣) وذكر غيره أنه كان علجاً ــ الكافر من العجم ــ في السفينة التي قذفتها الريح إلى الشُّعَيْبة، وأن اسم ذلك النجار: ياقوم، وكذلك روي أيضا في اسم النجار الذي عمل منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة، ولعله أن يكون هذا، فالله أعلم.

(٤) تتشرق: تبرز للشمس.

(٥) احزألت، أي رفعت ذنبها، وكشّت، أي: صوتت.

فاختطفها[1]، فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضيَ ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحيةَ.

أبو وهب ــ خال أبي رسول الله ﷺ ــ وما حدث له عند بناء الكعبة : فلمّا أجمعوا أمرَهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بنُ عَمرو ابن عائذ بن عَبْد بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كَسْبِكم إلا طَيِّباً، لا يدخل فيها مَهر بَغِيٍّ، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، والناس ينحلون هذا الكلام الوليدَ بنَ المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني عبدالله بن أبي نجيح المكي أنه حُدِّث عن عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي أنه رأى ابنا لجَعْدة بن هُبَيْرة بن أبي وهب بن عَمرو يطوف بالبيت، فسُئل عنه، فقيل: هذا ابن لجَعْدة بن هُبَيْرة، فقال عبدالله بن صفوان عند ذلك: جَدُّ هذا، يعني: أبا وهب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش، لا تُدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا

---

(١) وقال غيره: طرحها الطائر بالْحَجُونِ، فالتقمتها الأرض. وقال محمد بن الحسن المقري هذا القول، ثم قال: وهي الدابة التي تكلم الناس قبل يوم القيامة. واسمها: أَقْعى. غير أنه قد روي في حديث آخر أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة التي تكلم الناس، فأخرجها له من الأرض، فرأى منظراً هاله وأفزعه، فقال: أيْ رَبِّ: ردها، فردها. (عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

لا تدخلوا فيها مهرَ بغيٍّ ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس[1].

شعر في أبي وهب: قال ابن إسحاق: وأبو وهب: خال أبي رسول الله ﷺ وكان شريفا، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بأبي وهبٍ أنختُ مَطِيتي ... غَدَتْ من نَدَاه رحلُها غيرَ خائبِ
بأبيضَ من فَرْعَيْ لؤيِّ بن غالب ... إذا حُصِّلت أنسابُها في الذوائبِ
أَبَيٍّ لأخذ الضيم يرتاحُ للنَّدَى ... توسَّطَ جَدَّاه فروعَ الأطايبِ
عظيم رَمادِ القِدْرِ يملأ جفانَه ... من الخبزِ يعلوهنَّ مثلُ السبائبِ

نصيب قبائل قريش في تجزئة الكعبة: ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة، فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزُهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمح وسَهْم، ابنيْ عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي، وكان شِقُّ الحِجْر لبني عبد الدار بن قُصَي، ولبني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي، ولبني عَدِي بن كعب بن لُؤَي وهو الحَطيم.

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة: ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرِقُوا منه. فقال الوليدُ بن المغيرة: أنا أبدؤُكم في هدمها، فأخذ المِعْوَلَ، ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم لم تُرَعْ[2] ــ **قال ابن**

---

(١) وقال غير ابن إسحاق: ضربوا بالمعول في حجر من أحجارها، فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم، وأخذ رجل منهم حجراً، فطار من يده، وعاد إلى موضعه.
ومهر البغي: وهي الزانية، وهي فَعُول من البِغاء، فأدغمت الواو في الياء. وقوله: ولا بيع ربا، يدل على أن الربا كان محرماً عليهم في الجاهلية، كما كان الظلم والبغاء ــ وهو الزنا ــ محرما عليهم.

(٢) اللهم لم تُرَعْ، وهي كلمة تقال عند تسكين الرَّوع، وإظهار اللين والبر في القول، ولا روع في هذا الموطن فيُنْفى، ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر؛ فلذلك =

هشام: ويقال: لم نزغ ــ اللهم إنا لا نريدُ إلا الخيرَ، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناسُ تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء، فقد رضي اللهُ صنعَنا، فهدمنا!! فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساسِ إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارةٍ خُضْرٍ كأَسْنمةٍ[2] آخذٍ بعضُها بعضاً.

امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه: قال ابن إسحاق: فحدثني بعض من يروي الحديثَ: أن رجلا من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عتلة بين حَجرين منها ليقلعَ بها أحدَهما، فلما تحرك الحجرُ تنقَّضت مكةُ بأسْرِها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

الكتاب الذي وُجد في الركن: قال ابن إسحاق: وحُدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجلٌ من يهودَ، فإذا هو: «أنا اللهُ ذو بكةَ، خلقتها يومَ خلقتُ السمواتِ والأرضَ، وصورتُ الشمسَ والقمرَ، وحففتها بسبعةِ

= تكلموا بها، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام، وإن كان فيها ذكر الرَّوع الذي هو محال في حق الباري تعالى، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا، جاز النطق بها.
ويروى أيضاً: اللهم لم نزغ، وهو جَليٌّ لا يشكل.

(١) وليست هذه رواية السيرة الأصلية: إنما الصحيح في الكتاب: كالأسنة وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره، وقد ذكر البخاري في بنيان الكعبة هذا الخبر، فقال فيه عن يزيد بن رومان: فنظرت إليها، فإذا هي كأسنمة الإبل، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا في الزرقة وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها. راجع فتح الباري بتحقيقنا.

أملاكٍ حُنفاء، لا تزول حتى يزولَ أخشباها، مُبَاركٌ لأهلها في الماءِ واللبن »[1].

قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها.

الكتاب الذي وجد في المقام: قال ابن إسحاق: وحُدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه: « مكةُ بيت الله الحرام يأتيها رزقُها من ثلاثةِ سُبلٍ، لا يحلُّها أولُ مِنْ أهلِها »[2].

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة: قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبي سُلَيْم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مَبْعثِ النبي ﷺ بأربعين سنةً ــ إن كان ما ذُكر حقّاً ــ مكتوباً فيه: « من يزرع خيراً، يحصد غبطةً، ومن يزرع شرّاً، يحصد ندامة، تعملون السيئاتِ، وتُجزَوْن الحسنات؟! أجل، كما لا يُجتنى من الشوك العنب ».

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر: قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع

---

(١) روي مَعْمَرُ بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال: بلغني أن قريشاً حين بَنَوْا الكعبة، وجدوا فيها حجرا، وفيه ثلاث صُفُوح، في الصفح الأول: أنا الله ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق، وفي الصفح الثاني: أنا الله ذو بكة، خلقت الرحم، واشتققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتَتُّه، وفي الصفح الثالث: أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويل لمن كان الشر على يديه.

(٢) لا يُحلّها أولُ من أهلها، يريد ــ والله أعلم ــ ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْنِ بن نُمَيْر، ثم الحجاج بعده، ولذلك قال ابن أبي ربيعة:

ألا مَـن لقـلبٍ مُعَنـى غَـزِلْ بِـحُبِّ المُحِلَّـة أخت المُحِـلّ

يعني بالمحل: عبد الله بن الزبير، لقتاله في الحرم.

على حِدَةٍ، ثم بَنَوْها، حتى بلغ البنيانُ موضعَ الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعَه إلى موضعِه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا؛ وأعدُّوا للقتال.

لعَقَة الدم: فقرَّبتْ بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً؛ ثم تعاقدوا هم وبنو عَدي بن كعب بن لُؤَي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجَفْنة، فسُمُّوا: لَعَقَةَ الدم، فمكثت قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجدِ، وتشاوروا وتناصفوا.

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا: فزعم بعضُ أهل الرواية: إن أبا أُميَّة بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، وكان عَامئذٍ أسنَّ قريش كلِّها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم ــ فيما تختلفون فيه ــ أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا.

الرسول ﷺ يضع الحجر: فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله ﷺ فلما رَأَوْه قالوا: هذا الأمين، رَضِينا، هذا محمدٌ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ قال ﷺ: هَلُمّ إليَّ ثوبا، فأُتي به، فأخذ الركنَ فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوْب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بني عليه[1].

---

(١) وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي، وأنه صاح بأعلى صوته: يا معشر قريش: أرضيتم أن يضع هذا الركن ــ وهو شرفكم ــ غلام يتيم دون ذوي أسنانكم؟ فكاد يثير شراً فيما بينهم، ثم سكَّنوا ذلك. وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير، وأبوه يصلي بالناس في المسجد اغتنم تشغل الناس عنه بالصلاة لما أحسَّ منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف، فأقره أبوه.

وكانت قريش تُسمِّي رسولَ الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين.

شعر الزبير في الحية التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة: فلما فرغوا من البنيان، وبَنَوْها على ما أرادوا، قال الزبيرُ ابن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيانَ الكعبة لها:

عَجِبْتُ لِمَا تصَوَّبتِ العُقَاب ... إلى الثعبانِ وهْيَ لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشِيشٌ ... وأحياناً يكونُ لها وِثابُ
إذا قُمنا إلى التأسيسِ شدَّت ... تُهيِّبنا البناءَ وقد تُهابُ
فلما أن خَشينا الرِّجزَ جاءت ... عقابُ تَتْلَئِبُّ لها انصبابُ[1]
فضمَّتها إليها ثم خَلَّتْ ... لنا البنيانَ ليس له حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناءٍ ... لنا منه القواعدُ والترابُ
غَداةَ نُرَفِّع التأسيسَ منه ... وليس على مُسَوِّينا ثيابُ[2]
أعزَّ به المليكُ بني لُؤَيٍّ ... فليس لأصلِه منهم ذهابُ
وقد حَشَدَتْ هناك بنو عَدِيٍّ ... ومُرةُ قد تقدَّمها كلابُ
فَبوَّأنا المليكُ بذاكَ عِزّاً ... وعندَ اللهِ يُلتَمس الثوابُ

---

(١) تَتْلَئِبُّ، يقال: اتلأبَّ على طريقه إذا لم يُعَرِّج يَمْنَةً ولا يَسْرة، وكأنه منحوت من أصلين من تلا: إذ اتبع، وألَبَ: إذا أقام، وأبَّ أيضا قريب من هذا المعنى. يقال: أب إبابة إذا استقام وتهيأ، فكأنه مقيم مستمر على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله، والاسم من اتْلأبَّ: التُّلأبيبة على وزن الطُّمأنينة والقُشَعْرِيرة قاله أبو عبيد. (وانظر كتاب العين).

(٢) وليس على مُسَوّينا ثياب. أي: مُسَوّي البنيان. وهو في معنى الحديث الصحيح في نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عراة، ويرون ذلك دِيناً، وأنه من باب التشمير والجد في الطاعة على قولهم.

قال ابن هشام: ويروى:

وليس على مَساوِينا ثياب[1]

ارتفاع الكعبة وكسوتها: وكانت الكعبةُ على عهدِ رسول الله ﷺ ثماني عَشْرةَ ذِراعاً، وكانت تُكْسى القِباطيَّ، ثم كُسيت البرودَ، وأولُ من كساها الديباج: الحجاجُ بن يوسف.

حديث الحُمس

قريش تبتدع الحُمس: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش ــ لا أدري أقبل الفيل أم بعده ــ ابتدعت رأي الْحُمْس[2] رأيا رأوه وأداروه فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحُرمة، ووُلاة البيت، وقُطَّان مكة وساكنُها، فليس لأحد من العرب مثلُ حقِّنا، ولا مثلُ منزلتنا، ولا تعرفُ له العرب مثلَ ما تعرِفُ لنا، فلا تعظِّموا شيئاً من الحِلِّ كما تُعظمون الحرمَ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفَّت العربُ بحُرمتِكم، وقالوا: قد عظموا من الحلِّ مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ﷺ ويَرَوْن لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهلُ الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرجَ من الحرمة، ولا

---

(١) وقول ابن هشام: ويروي: مَساوِينا، يريد السوءات، فهو جمع مساءة، مفعلة من السَّوءة والأصل مساوئ، فسهلت الهمزة.

(٢) والتحمس: التشدد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهد والتأله، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشَّعْر ولا الوبر، وكانوا لا يَسْلَئون السمن، وسلأ السمن أن يُطْبخ الزبد، حتى يصير سمناً، قال أبرهة:

إن لنا صْرمَةً مُخَيَّسَةَ نشرب ألبانها ونسلؤها

نعظم غيرَها، كما نعظمها نحن الحُمْس، والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن وُلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم، بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويَحرُم عليهم ما يَحرُم عليهم.

القبائل التي آمنت مع قريش بالْحُمْس: وكانت كِنانة وخُزَاعة قد دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدة النحوي: أن بني عامر بن صَعْصَعة ابن معاوية بن بكر بن هَوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعَمْرو ابن مَعْدِيكَرِب :

أعباسُ لو كَانتْ شِيَاراً جيادُنا بتثليثِ ما ناصَيْتَ بعدي الأحامِسا[1]

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بلادهم. والشِّيَار: الحسان. يعني بالأحامس: بني عامر بن صَعْصَعة. وبعباس: عباس بن مِرْداس السُّلَمِيّ، وكان أغار على بني زُبَيْد بتثليث. وهذا البيت في قصيدة لعمرو.

وأنشدني للَقِيط بن زُرارة الدَّارَمِي في يوم جَبَلة[2]:

أَجْذِمْ إليك إنها بنو عَبْس المعْشَرُ الحِلَّةُ في القَوْمِ الحُمْس[3]

لأن بني عَبْس كانوا يوم جَبَلة حلفاء في بني عامر بن صَعْصَعة.

يوم جبلة: ويومُ جَبَلة: يومٌ كان بين بني حَنْظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم، وبين بني عامر بن صَعْصَعة، فكان الظَّفَر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حَنْظلة، وقُتل يومئذ لَقِيطُ بن زُرارة بن

---

(١) شياراً: من الشَّارة الحسنة يعني: سمانا حسانا وبعد البيت:

ولكنها قِيدَتْ بصعدة مَرَّةً فأصبحن ما يمسّين إلا تكارُما

(٢) يوم جَبَلة، وجبلة هضبة عالية، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران، وهو ابن الجَوْنِ الكندي، وأخ للنعمان بن المنذر، واسمه: حسان بن وبرة، وهو أخو النعمان لأمه، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله ﷺ.

(٣) أَجْذِمْ: زَجْرٌ معروف للخيل وكذلك: أرحب، وهَبْ وهِقِطْ وهِقَطْ وهِقَبْ.

عُدُس[1]، وأُسر حاجبُ بن زُرارة بن عُدُس، وانهزم عَمرو بن عمرو ابن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة. ففيه يقول جرير للفرزدق:

كأنك لم تشهدْ لَقيطاً وحاجباً وعَمرو بنَ عَمروٍ إذا دَعَوْا: يا لَدَارِمِ

وهذا البيت في قصيدة له.

يوم ذي نَجَب: ثم التَقوا يومَ ذي نَجَب فكان الظَّفر لحنظلة على بني عامر، وقُتل يومئذٍ حسانُ بن معاوية الكِنْديُّ وهو أبو كَبْشة. وأُسر يزيد بن الصَّعِق الكلابي وانهزم الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفَيْل. ففيه يقول الفرزدق:

ومنهنَّ إذ نجَّى طُفَيل بن مالك على قُرْزُل رَجْلا ركوضَ الهزائم[2]
ونحن ضربنا هامةَ ابنِ خُوَيْلدٍ نزيدُ على أمِّ الفِراخ الجواثم[3]

وهذان البيتان في قصيدة له.

---

(١) هو: عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عُبَيدة، فإنه كان يفتح الدال منه، وكل عَدَس في العرب سواه فإنه مفتوح الدال.

(٢) قُرْزُل: اسم فرسه، وكان طُفَيل يسمى: فارس قُرْزل، وقرزل: القيد سمي الفرس به، كأنه يقيِّد ما يسابقه كما قال امرؤ القيس:

* بمنجرد قيد الأوابد هيكل *

وطُفَيْل هذا هو: والد عامر بن الطفيل، عدو الله وعدو رسوله، وأخو طفيل هذا: عامر ملاعب الأسنَّة.

(٣) وقوله: على أم الفراخ الجواثم. يعني: الهامة، وهي البوم، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قُتل خرجت من رأسه هامة تصيح: اسقوني، اسقوني، حتى يؤخذ بثأره. قال ذو الإصبع العدواني:

* أضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقوني *

فقال جرير:

ونحن خَضَبْنا لابنِ كبشةَ تاجَه ولاقى امرأً في ضَمةِ الخيلِ مِصْقَعَا[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

وحديث يوم جَبَلة، ويوم ذي نَجَب أطولُ مما ذكرنا. وإنما منعني من استقصائه ما ذكرتُ في حديث يومِ الفِجَار.

ما زادته قريش في الحُمْس: قال ابن إسحاق: ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحُمْس أن يأْتَقِطوا الْأَقِط، ولا يَسْلَئُوا السمنَ وهم حُرم، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا — إن استظلوا — إلا في بيوت الأدَم ما كانوا حُرُماً، ثم رفعوا في ذلك، فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحَرم إذا جاءوا حُجاجاً أو عُمَّاراً، ولا يطوفون بالبيت إذا قَدِموا أولَ طوافهم إلا في ثياب الحُمْس. فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً.

اللَّقَى عند الحمس: فإن تكرَّم منهم مُتكرِّم من رجل أو امرأة، ولم يجدوا ثياب الحمس؛ فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ينتفعْ بها، ولم يَمَسَّها هو، ولا أحدٌ غيرُه أبداً.

وكانت العرب تُسمي تلك الثياب: اللَّقَى، فحملوا على ذلك العربَ.

---

(١) المعروف في اللغة أن المِصْقَع: الخطيب البليغ، وليس هذا موضعه، لكن يقال في اللغة: صقعه: إذا ضربه على شيء مُصْمت يابس، قاله الأصمعي، فيشبه أن يكون مصقع في هذا البيت من هذا المعنى، فيقال منه: رجل مصقع كما يقال: محرب وفي الحديث: « إن سعدا لمحرب » يعني ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عُراةً، أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع إحْدَاهن ثيابَها كلَّها إلا درعا مُفَرَّجا عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب[1]، وهي كذلك تطوف بالبيت:

اليومَ يَبْدو بَعْضُهُ، أو كلُّه وما بدا منه فلا أُحِلُّه

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحلِّ ألقاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره. فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه، فلا يقربه ــ وهو يحبه:

كفى حَزَناً كَرِّي عليها كأنها لَقًى بين أيدي الطائفين حَريمُ

يقول: لا تمس[2].

---

(١) ويذكر أن هذه المرأة هي: ضُبَاعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بني سلمة بن قُشَيْر.

وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ﷺ خطبها، فذُكرت له عنها كبرة، فتركها، فقيل: إنها ماتت كمداً وحُزنا على ذلك. قال ابن حبيب: إن كان صح هذا، فلما أخرها عن أن تكون أُمّاً للمؤمنين، وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها: اليوم يبدو بعضُه أو كلُّه، تَكرِمة من الله لنبيه وعِلماً منه بغَيْرته، والله أغير منه.

(٢) ومن اللَّقَى: حديث فاختة أم حكيم بن حزام، وكانت دخلت الكعبة وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام، فأجاءها المخاض، فلم تستطع الخروج من الكعبة، فوضعته فيها، فلُفَّت في الأنطاع هي وجنينها، وطرح مثبرها وثيابها التي كانت عليها، فجعلت لقَى لا تُقرب.

ولم يذكر الطَّلْس من العرب، وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس، كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلْساً من الغبار، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطُّلْس، فسُموا بذلك. ذكره محمد بن حبيب.

وفي البيت كلمة لقى: وهو الثوب الذي كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد. وكلمة حريم: أي محرم، لا يؤخذ، ولا يُنتفع به، وكل شيء مطرح، فهو لقي. ومما ذُكر من تعريهم في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك، فانضم الرجل =

الإسلام يُبطل عادات الحُمْس: فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً ﷺ فأُنزل عليه حين أُحكم له دينُه، وشُرع له سَنن حجه: ﴿ **ثم أفيضوا من حيثُ أفَاض الناسُ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ يعني قريشاً، والناس: العرب، فرفعهم في سنَّة الحجِّ إلى عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرَّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت، حين طافوا عُراةً، وحرَّموا ما جاءوا به من الحلِّ من الطعام: ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتَكم عندَ كلِّ مسجد، وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا. إنه لا يحب المسرفين. قل: مَنْ حرَّم زينةَ الله التي أخرج لعبادِه والطيباتِ من الرزقِ. قل: هي للذين آمنوا في الحياةِ الدنيا خالصةً يومَ القيامةِ. كذلك نفصِّل الآياتِ لقوم يعلمون** ﴾[1]،

= إلى المرأة تلذذاً واستمتاعاً، فلصق عضده بعضدها، ففزعا عند ذلك، وخرجا من المسجد، وهما ملتصقان، ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها، حتى قال لهما قائل: توبا مما كان في ضميركما، وأخلِصا لله التوبة، ففعلا، فانحل أحدُهما من الآخر.

(١) وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الحمس، وهو قوله تعالى: ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا** ﴾ الآية. فقوله: ﴿ **وكلوا واشربوا** ﴾ إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أحْمَس، و﴿ **خذوا زينتكم** ﴾: يعني اللباس، ولا تتعروا، ولذلك افتتح بقوله: ﴿ **يا بني آدم** ﴾ بعد أن قص خبر آدم وزوجه. إذ يخصفان عليهما من ورق الجنة، أي: إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم، فآدم أبوكم، ودينه: ستر العورة، كما قال: ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ أي إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم، فإبراهيم أبوكم، ولم يكن من المشركين، ومما نزل في ذلك: ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتصدية** ﴾. ففي التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة، ويصفِّقون بأيديهم ويصفرون، فالمكاء: الصفير، والتصدية التصفيق. =

فوضع الله تعالى أمر الحُمْس، وما كانت قريش ابتدعت منه ــ عن الناس بالإسلام، حين بعث الله به رسولَه ﷺ.

الرسول ﷺ يخالف الحُمْس قبل الرسالة: قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم، عن عثمان ابن أبي سليمان بن جُبَيْر بن مُطْعِم، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جُبير بن مُطْعِم. قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفعَ معهم منها توفيقا من الله له، ﷺ تسليماً كثيراً[1].

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى ببعثته ﷺ

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه: قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبلَ مبعثه، لما تقاربَ من زمانه.

أما الأحبارُ من يهودَ، والرهبان من النصارى، فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكهانُ من العرب: فأتتهم به الشياطين من الجنِّ فيما تسترق من

= ومما نزل من أمر الحمس: ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ لأن الحمس لا يدخلون تحت سقف، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسنَّم البيت من ظهره، ولم يدخل من الباب.

(١) حتى لا يفوته ثوابَ الحج، والوقوف بعرفة. قال جُبَيْر بن مُطْعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس: هذا رجل أحمس، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون؟!

السمع إذ كانت هي لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكرُ بعضِ أمورِه، لا تلقي العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون؛ فعرفوها.

قذف الجن بالشُّهُب دلالةً على مبعثه ﷺ: فلما تقارب أمرُ رسول الله ﷺ وحضر مبعثُه، حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينَها وبين المقاعد التي كانت تقْعدُ لاستراقِ السمع فيها فرُموا بالنجوم، فعرفت الجنُّ أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد[1] يقول اللهُ تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ حين بعثه، وهو يقص عليه خبرَ الجنِّ إذ حُجبوا عن السمع، فعَرفوا ما عَرَفوا، وما أنكروا من ذلك حين رَأَوْا ما رَأَوْا: ﴿ **قل أُوحيَ إليَّ أنه استمع نفرٌ من الجنِّ**[2]. **فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد، فآمنَّا به، ولن نشرك بربِّنا أحدا، وأنه تعالى جَدُّ ربِّنا؛ ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً. وأنه كان يقول سفيهُنا على الله شططاً، وأنا ظننا أن لن تقول الإنسُ والجنُّ على الله كذباً. وأنه كان رجالٌ من الإنسِ يعوذون برجالٍ من الجنِّ،**

---

(١) رُوي في مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى، أو وُلد، حجب عن ثلاث سموات، فلما وُلد محمد حجب عنها كلها، وقذفت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم: قامت الساعة، فقال عتبة ابن ربيعة: انظروا إلى العيوق فإن كان رُمي به، فقد آن قيام الساعة، وإلا فلا، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر.

(٢) وفي الحديث أنهم كانوا من جن نصيبين. وفي التفسير أنهم كانوا يهوداً ؛ ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى، ذكره ابن سلام. وكانوا سبعة، قد ذكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات، وهم: شاصر، وماصر، ومنشي، ولاشي والأحقاب، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد ومسروق وعمرو. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٣٤ــ٢٣٧. أيضا الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

فزادوهم رهقاً ﴾. إلى قوله: ﴿ **وأنا كنا نقعدُ منها مقاعدَ للسمعِ فمن يستمع الآنَ يجدْ له شهاباً رصداً. وأنا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرضِ، أم أراد بهم ربُّهم رشداً ﴾**.

فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عَرفتْ أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك، لئلا يُشْكل الوحيُ بشيء من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجَّة، وقطْع الشُّبْهة[1]. فآمنوا وصدقوا، ثم: ﴿ **ولَّوْا إلى قومِهم منذرين. قالوا: يا قومَنا إنا سمعنا كتاباً أُنْزِل من بعدِ موسى، مصدِّقا لما بين يديْه، يهدي إلى الحقِّ، وإلى طريقٍ مستقيم ﴾**.. الآيات.

وكان قولُ الجن: ﴿ **وأنه كان رجالٌ من الإنسِ يعوذون برجالٍ من الجنِّ، فزادوهم رهقا ﴾**. أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنزل بطنَ وادٍ من الأرض ليبيتَ فيه، قال: إني أعوذُ بعزيزِ هذا الوادي من الجنِّ الليلةَ من شرِّ ما فيه.

قال ابن هشام: الرَّهَق: الطغيان والسَّفَه. قال رُؤْبة بن العَجَّاج:

إذ تَسْتَبـي الهيَّامـة المُرَهَّقَـا

---

(١) الذي يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم ــ وجد بظهور الإسلام، لكن القذف بالنجوم قد كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية. منهم: عوف ابن الجزع، وأوس بن حجر، وبشر بن أبي حازم، وكلهم جاهلي، وقد وصفوا الرمي بالنجوم، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مشكل ابن قتيبة في سورة الجن، وذكر عبد الرزَّاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سُئل عن هذا الرمي بالنجوم: أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذا جاء الإسلام غلظ وشدد، وفي قول الله سبحانه: ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشُهباً ﴾** ولم يقل: حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء، فلما بعث النبي ﷺ ملئت حرسا شديدا وشهبا، وذلك لينحسم أمر الشياطين، وتخليطهم، ولتكون الآية أبين، والحجة أقطع.

وهذا البيت في أرجوزة له. والرَّهق أيضاً: طلبك الشيء حتى تدنوَ منه، أو لا تأخذه. قال رُؤْبة بن العَجَّاج يصف حمير وحش:

بَصْبَصْنَ واقْشَعرَرْنَ من خَوف الرَّهَـقْ

وهذا البيت في أرجوزة له. والرَّهق أيضاً: مصدرٌ لقول الرجل: رَهِقْتُ الإثم أو العُسْر الذي أرهقتني رهقا شديدا؛ أي: حملتُ الإثم أو العُسر الذي حملني حملا شديدا، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **فخشِينا أن يُرْهِقَهما طُغياناً وكفراً** ﴾ وقوله: ﴿ **ولا تُرهقني من أمري عُسراً** ﴾.

ثقيف أول من فَزِعت برمي الجن: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن أولَ العرب فَزِع للرمي بالنجوم ــ حين رُمي بها، هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عَمرو بن أمية أحد بني عِلاَج ــ قال: وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً ــ فقالوا له: يا عَمرو، ألم ترَ ما حدث في السماءِ من القذف بهذه النجوم. قال: بَلَى، فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يُهْتَدى بها في البرِّ والبحر، وتُعرَف بها الأنواءُ من الصيف والشتاء لما يُصلح الناسَ في معايشهم، هي التي يُرْمَى بها، فهو والله طيُّ الدنيا، وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرَها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق، فما هو[1]؟

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لهب عند فزعهم الرَّمْي بالنجوم، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له: خطر، فبين لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوة.

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم في رجم الجن بالشهب وتوضيحه للأمر

قال ابن إسحاق: وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن علي بن الحُسين بن علي بن أبي طالب، عن عبدالله بن العباس، عن نفر من الأنصار: أن رسولَ الله ﷺ، قال لهم: « ماذا كنتم تقولون في هذا النَّجْم الذي يُرْمَى به قالوا: يا نبي الله كنا نقول حين رأيناها يُرْمَى بها: مات مَلِكٌ، مُلِّك مَلِك، وُلد مولود، مات مولود، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك كذلك، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قَضى في خلقِه أمراً سَمِعه حملةُ العرش، فسبَّحوا، فسبَّح مَنْ تَحتَهم، فسبح لتسبيحِهم مَن تحتَ ذلك، فلا يزال التسبيح يهبطُ حتى ينتهيَ إلى السماء الدنيا، فيسبحوا، ثم يقول بعضُهم لبعض: مِمَّ سبحتم؟ فيقولون: سَبَّحَ مَن فوقنا فسبحنا لتسبيحهم، فيقولون: ألا تسألون مَنْ فوقَكم: مِمَّ سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حملةِ العرشِ، فيُقال لهم: مِمَّ سبحتم؟ فيقولون: قضى اللهُ في خلقه كذا وكذا، للأمرِ الذي كان، فيهبطُ به الخبرُ من سماءٍ إلى سماء

حتى ينتهي إلى السماءِ الدنيا، فيتحدثوا به، فتسترقه الشياطينُ بالسمع، على توهّم واختلاف، ثم يأتوا به الكهان من أهلِ الأرض فيحدثوهم به.. فيخطئون ويصيبون، فيتحدث به الكهانُ فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً. ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقْذَفون بها، فانقطعت الكهانةُ اليومَ فلا كهانةَ »[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني عَمرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَبيبة، عن علي بن الحُسين بن علي رضي الله عنهم، بمثل حديث ابن شهاب عنه.

الغَيْطَلة وصاحبها: قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أهل العلم: أن امرأةً من بني سَهْم يقال لها الغَيْطَلة كانت كاهنة في الجاهلية، فلما جاءها صاحبُها في ليلة من الليالي، فأنْقَض تحتها، ثم قال: أدْرِ ما أدْرِ. يوم عَقْر ونَحْر، فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلةً أخرى، فأنْقَض تحتها، ثم قال: شُعوب، ما شُعوب؛ تُصْرَع فيه كَعْب لجُنوب. فلما بلغ ذلك قريشا، قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن، فانظروا ما هو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشِّعْب، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته.

---

(١) والذي انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة، أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهْلاء، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرؤنه في الأرض، مما لا نراه نحن كسرقة سارق، أو خبئية في مكان خفي، أو نحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنياً، فيصيبون قليلا، ويخطئون كثيرا. وذلك القليل الذي يصيبون هو مما تتكلم به الملائكة في العَنان، كما في حديث البخاري « فينظرون دون بالنجوم، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة » ــ انظر كتابنا مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري ــ بشرح صحيح البخاري.

نسب الغيطلة : قال ابن هشام : الغَيْطلة من بني مُرة بن عبد مُناة بن كنانة، إخوة مُدْلج بن مُرة[1] وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله:

لقد سَفُهَت أحلامُ قومٍ تبدَّلوا بني خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغياطل

فقيل لولدها: الغياطل، وهم من بني سهم بن عمرو بن هُصَيْص. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله تعالى.

كاهن جَنْب يذكر خبر الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ: أن جَنْبا[2] بطناً من اليمن، كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذُكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب، قالت له جَنْب: انظر لنا في أمر هذا الرجل، واجتمعوا له في أسفل

---

(١) يقال في نسبها: الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِق بن شنوق ابن مرة وشنوق أخو مدلج، وهكذا ذكر نسبها الزبير.

وذكر قولها: شُعُوب وما شعوب، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُوب. كعب هاهنا هو: كعب بن لؤي، والذي صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش، معظمهم من كعب بن لؤي، وشُعوب هاهنا بضم الشين، ولم أجده مقيدا، وكأنه جمع شعب، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال: فلم يُدْرَ ما قالت، حتى قُتل من قُتل ببدر وأحد بالشِّعب.

(٢) جنب: وذكر أن جنباً وهم حي من اليمن اجتمعوا إلى كاهن لهم، فسألوه عن أمر النبي ﷺ حين رُمي بالنجوم إلى آخر الحديث: جنب هم من مَذْحِج، وهم: عَيِّذ الله، وأنس الله، وزيد الله، وأوس الله، وجُعْفِي، والحكم، وجِرْوة، بنو سعد العشيرة ابن مَذْحج، ومَذْحِج هو: مالك بن أدد، وسموا: جنباً لأنهم جانبوا بني عمهم صُداء ويزيد ابني سعد العشيرة بن مذحج. قال الدارقطني. وذكر في موضع آخر خلافا في أسمائهم، وذكر فيهم بني غَلِيٍّ بالغين، وليس في العرب غلي غيره، قال مهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم في جنب، وكان الحباء من أدم

جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلا، ثم جعل ينزو، ثم قال أيها الناس، إن الله أكرم محمداً واصطفاه، وطهَّر قلبَه وحشاه، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل، ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء.

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبدالله بن كعب، مولى عثمانَ بن عفان، أنه حُدِّث: أن عمر بن الخطاب، بينا هو جالس في مسجد رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل[1] من العرب داخلا المسجد، يريد عمرَ بنَ الخطاب، فلما نظر إليه عمر رضي الله عنه، قال: إن هذا الرجل لعلَى شِركه ما فارقه بعدُ، ولقد كان كاهناً في الجاهلية. فسلَّم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رضي الله عنه: هل أسلمتَ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كُنتَ كاهنا في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْتَ فيَّ[2]، واستقبلتني بأمرٍ ما أراك قلتَه لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما

---

(١) هو سواد بن قارب الدوسيُّ في قول ابن الكلبي، وقال غيره: هو سدوسي.

(٢) خِلْت فيَّ: هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلت وظننت، كقولهم في المثل: « من يسمع يَخَل »، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز؛ لأن حكمهما حكم المفعول، والمفعول قد يجوز حذفه، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد، ففي قولهم: من « يسمع يَخَل » دليل يدل على المفعول، وهو يسمع، وفي قوله، « خلت في » دليل أيضاً، وهو قوله: فِيَّ، كأنه قال: خلت الشر فيَّ أو نحو هذا.

وليتَ، فقال عمر: اللهمَّ غُفراً، قد كنا في الجاهلية على شَرٍّ من هذا، نعبد الأصنامَ، ونعتنق الأوثانَ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام، قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية، قال: فأخبرْني ما جاءك به صاحبُك، قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه[1]، فقال: ألم تر إلى الجن وإبلاسها، وأياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلامها.

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبدالله بن كعب: فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس: والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، قد ذَبح له رجلٌ من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قَسْمَه ليقْسِم لنا منه، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعتُ صوتاً قطُّ أنفذ منه، وذاك قُبَيْل الإسلام بشهر أو شَيْعه، يقول: يا ذَريح[2]، أمرٌ نجيح، رجلٌ يصيح، يقول: لا إله إلا الله.

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إله إلا الله. وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشعر:

---

(١) شَيْعه أي: دونه بقليل، وشيع كل شيء: ما هو تبع له، وهو من الشّياع وهي: حطب صغار تجعل مع الكبار تبعا لها، ومنه: المُشَيَّعة، وهي: الشاة تتبع الغنم، لأنها دونها في القوة.

(٢) ويروي أن الصوت الذي سمعه عمر من العجل: يا جليح وهو اسم شيطان، والجليح في اللغة: ما تطاير من رءوس النبات وخف، نحو القطن وشبهه، والواحدة: جليحة، والذي وقع في السيرة: يا ذريح، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم. أحمر ذَرِيحِيٌّ، أي: شديد الحمرة، فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم: ومن رواه: يا جليح، فمآله إلى هذا المعنى؛ لأن العجل قد جُلح أي: كُشف عنه الجلد.

عجبتُ للجنِّ وإبلاسِها وشَدِّها العِيسَ بأحلاسِها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهُدَى ما مؤمنو الجنِّ كأنجاسِها

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب[1].

---

(١) وروى غير ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه، وأن عمر مازحه، فقال: ما فعلت كهانتك يا سواد؟! فغضب، وقال: قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات، أفتعيرني بأمر تبتُّ منه؟! فقال عمر حينئذ: اللهم غَفْراً.

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله ﷺ فقام حينئذ سواد، فقال: يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقائهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم، ومن لم تنفعه التجارب ضرته، ومن لم يَسَعْه الحق لم يسعه الباطل، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس، وقد علمتم أن النبي ﷺ قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم، ولم يمنعه منكم عُدَّة ولا عدد، وكل بلاء مَنْسِي إلا ما بقي أثره في الناس، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية، وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهلُ البلاء، داخلين مما فيه أهل العافية، حتى قدم على رسول الله ﷺ خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد، ونقَّب النقيب عن الغائب، ولست أدري لعله تكون للناس جولة، فإن تكن فالسلامة منها: الأناة، والله يحبها، فأحبوها، فأجابه القوم وسمعوا قوله.

فقال في ذلك سواد بن قارب شعراً مطلعه:

جَلَّت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فَقْدُ النبيّ محمد صلى عليه الله ما يعتادُ
حرنا لَعَمْرُك في الفؤاد مُخامراً أَوَ هَلْ لمَنْ فَقَدَ النبيّ فؤادُ

انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٤٤ــ٢٤٥.

إنذار يهود برسول الله ﷺ

اليهود ــ لعنهم الله ــ يعرفونه ويكفرون به: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهُداه، لما كنا نسمع من رجال يهود، كُنا أهلَ شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرَم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث اللهُ رسولَه ﷺ أجبناه، حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: ﴿ **ولما جاءهم كتابٌ من عندِ الله مُصدِّق لما معهم، وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عَرَفوا كفروا به، فلعنةُ اللهِ على الكافرين** ﴾.

قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون، ويستفتحون أيضاً: يتحاكمون، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **ربنا افتحْ بينَنا وبينَ قومِنا بالحقِّ، وأنت خيرُ الفاتحين** ﴾.

سَلَمة يذكر حديثَ اليهوديِّ الذي أَنذر بالرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: وحدثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، عن محمود بن لَبيد أخي بني عبد الأَشْهل عن سَلَمة بن سلامة بن وقش[1] ــ وكان سَلَمة من أصحاب بدر ــ قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأَشْهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته، حتى وقف على بني عبد الأشهل ــ قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنّاً، عليَّ بُردة لي، مضطجع فيها بفناء أهلي ــ فذكر القيامةَ والبعث والحسابَ والميزان والجنةَ والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرَوْن أن بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحكَ يا فلان!! أَوَترى هذا كائناً، أن الناس يُبْعثون بعدَ موتِهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحلَف به، ولَوَدَّ أن له بحظِّه من تلك النار أعظمَ تَنور في الدار، يحمونه ثم يُدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجوَ من تلك النار غداً، فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آيةُ ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد ــ وأشار بيده إلى مكة واليمن. فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليَّ، وأنا من أحدثهم سناً، فقال: إن يَسْتنفدْ هذا الغلام عمرَه يدركْه قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ محمداً رسوله ﷺ وهو حَيٌّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً. قال: فقلنا له. وَيْحك يا فلانُ!! ألستَ الذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ؟ قال: بلى ولكن ليس به.

ابن الهيبان اليهودي يتسبب في إسلام ثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر ابن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: قال لي: هل تدري عمَّ كان

---

(١) وَقَش: بتحريك القاف وتسكينها، والوقش: الحركة.

إسلام ثعلبة بن سَعْية وأَسِيد بن سَعْية[1] وأسد بن عبيد نفر من بني هَدْل، إخوة بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام، قال: قلت: لا، قال: فإن رجلاً من يهود من أهل الشام، يقال له: ابن الهيِّبان[2]، قَدِم علينا قُبَيْل الإسلام بسنين، فَحَلَّ بينَ أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضلَ منه، فأقام عندنا فكنا إذا قحَط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيِّبان فاستسق لنا، فيقول: لا والله، حتى تُقدِّموا بين يدَيْ مخرجِكم صدقةً، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعا من تمر، أو مُدَّيْن من شعير. قال: فنخرجها،

---

(١) وأما أسيد بن سعية، فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني، عن ابن إسحاق، وهو أحد رواة المغازي عنه: أُسيد بن سعية بضم الألف، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق، وهو قول الواقدي وغيره أسيد بفتحها قال: الدارقطني: وهذا هو الصواب، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل: ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة** ﴾ الآية، وسعية أبوهم يقال له: ابن العريض، وهو بالسين المهملة، والياء المنقوطة باثنتين.

وأما سُعْنَة بالنون، فزيد بن سعنة حبر من أحبار يهود كان قد داين النبي ﷺ فجاءه يتقاضاه قبل الأجل، فقال: ألا تقضيني يا محمد؟! فإنكم يا بني عبد المطلب مُطْلٌ، وما أردت إلا أعلم علمكم، فارتعد عمر، ودار، كأنه في فلك، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً، وقال: تقول هذا لرسول الله يا عدو الله؟! فقال له رسول الله ﷺ: إنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التَّبِعَة، قم فاقضه عني، فوالله ما حل الأجل وزده عشرين صاعاً بما روعته. وفي حديث آخر: أنه قال: دعه؛ فإن لصاحب الحق مقالا، ويذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة، وكان يجده موصوفا بالحلم، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم، وتوفي غازيا مع رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، ويقال في اسمه: سَعْية بالياء كما في الأول ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون.

(٢) والهيبان من المسمين بالصفات، يقال: قُطْن هَيِّبان أي: منتفش، وأنشد أبو حنيفة الدينوري:

تُطِيـر اللُّغَـام الْهَيِّبَـان، كأنـه جَنَى عُشَرٍ تنفيه أشداقها الْهُدْل

والْهَيبَان أيضاً: الجبان.

ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا، فيستسقي الله لنا، فوالله ما يبرح مجلسه، حتى تمرَّ السحابةُ ونُسْقَى، قد فعل ذلك غيرَ مرة ولا مرتين ولا ثلاث. قال: ثم حضرته الوفاةُ عندَنا، فلما عَرَف أنه ميِّت، قال: أيا معشر يهود، ما ترونَه أخرجني من أرضِ الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم، قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكَّف خروج نبي قد أظلَّ زمانُه. وهذه البلدة مُهاجَرُه، فكنتُ أرجو أن يُبْعث، فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قُرَيْظة، قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قريظة، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم.

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود.

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

سلمان ــ رضي الله عنه ــ يتشوَّف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبيد، عن عبدالله بن عباس، قال: حدثني سَلْمان الفارسي من فِيه قال: كنتُ رجلاً فارسيّاً من أهل إِصْبهان[1] من أهل قرية يقال لها: جَيّ، وكان أبي دِهْقَان قريته، وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية. واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطْنَ النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضَيْعة عظيمة، قال: فشُغل في بنيان له يوما، فقال لي: يا بُني، إني قد شُغلت في بنياني هذا اليوم عن ضَيْعتي فاذهب إليها، فاطَّلِعْها ــ وأمرني فيها ببعض ما يريد ــ ثم قال لي: ولا تحتبسْ عني؛ فإنك إن احتبست عني كنتَ أهمَّ إليَّ من ضَيْعتي، وشغلْتني عن كل شيء من أمري. قال: فخرجتُ أريد ضَيْعتَه التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس، لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعتُ أصواتَهم دخلت عليهم، أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم، أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرِحْتُهم حتى غَرَبت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت ؟ أَوَلَـمْ أكن عهدتُ

---

(١) إصبهان: هكذا قيده البكري في كتاب المعجم بالكسر في الهمزة، وإصْبَه بالعربية: فرس، وقيل: هو العسكر، فمعنى الكلمة: موضع العسكر أو الخيل، أو نحو هذا.

إليك ما عهدت؟ قال: قلت له: يا أبت، مررتُ بأناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غَرَبت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت له: كلاَّ والله، إنه لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجليَّ قَيداً؛ ثم حبسني في بيته.

سلمان يهرب إلى الشام: قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قَدِم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم فقلتُ لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعةَ إلى بلادِهم، فآذِنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعةَ إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجليَّ، ثم خرجت معهم، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسْقُفُّ في الكنيسة.

سلمان مع أسقف النصارى السيِّئ: قال: فجئته، فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه، ولم يعْطه المساكين، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهب ووَرِق. قال: فأبغضته بُغضاً شديداً، لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلَ سوءٍ، يأمركم بالصدقة، ويرغِّبكم فيها، فاذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعطِ المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما عِلْمُك بذلك؟ قال: فقلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه قال: فأريتهم موضعَه، فاستخرجوا سبعَ قِلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً. قال: فلما

رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

سلمان مع أسقف النصارى الصالح: قال: يقول سلمانُ: فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمسَ، أرى أنه كان أفضلَ منه، وأزهدَ في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أدأبَ ليلا ولا نهاراً منه. قال: فأحببتُه حبا لم أحبه شيئا قبله مثله. قال: فأقمت معه زمانا، ثم حضرتْه الوفاةُ، فقلتُ له: يا فلان، إني قد كنت معك، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه، فقد هلك الناسُ، وبدَّلوا وتركوا أكثرَ ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالمَوْصِل، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به.

سلمان يلحق بأسقف الموصل: فلما مات وغُيب لحقتُ بصاحب المَوْصل، فقلت له يا فلان، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده: فوجدته خير رجل على أمرِ صاحبه، فلم يلبثْ أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له يا فلان: إن فلاناً أوصي بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه، إلا رجلا بنَصِيبين، وهو فلان فالحق به.

سلمان يلحق بأسقف نصيبين: فلما مات وغُيب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباي، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت. فلما حُضِر، قلت له: يا فلان! إن فلاناً

كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلمه بَقيَ أحدٌ على أمرِنا آمرك أن تأتيَه إلا رجلاً بعَمُّورِية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا.

سلمان يلحق بصاحب عمورية: فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب عَمُّورِية، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل، على هَدْي أصحابه وأمرِهم، قال: واكتسبتُ حتى كان لي بقرات وغُنَيْمة. قال: ثم نزل به أمرُ الله، فلما حُضِر، قلت له: يا فلانُ، إني كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مِثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيَه، ولكنه قد أظل زمانُ نبيٍّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهَاجَرُه إلى أرض بين حَرَّتَيْن، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهديةَ، ولا يأكل الصدقةَ، وبين كتفيه خاتَمُ النبوة، فإن استطعتَ أن تلحقَ بتلك البلاد فافعلْ.

سلمان يذهب إلى وادي القرى: قال: ثم مات وغُيِّب، ومكثت بَعَمُّورِية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كَلب تجار، فقلتُ لهم: احملوني إلى أرض العربِ، وأعطيكم بقراتي هذه وغُنَيْمتي هذه، قالوا: نعم فأعطَيْتُهُموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخلَ، فرجوْتُ أن يكون البلدَ الذي وَصف لي صاحبي، ولم يحق في نفسي.

سلمان يذهب إلى المدينة: فبينا أنا عندَه، إذ قدم عليه ابنُ عم له من بني قُرَيْظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة،

فوالله ما هو إلا أن رأيتُها، فعرفتها بصفةِ صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرقِّ، ثم هاجر إلى المدينة.

سلمان يسمع بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة: فوالله إني لفي رأس عذْق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلانُ، قاتل الله بني قَيْلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي.

نسب قَيْلة: قال ابن هشام: قَيْلة: بنت كاهل بن عُذْرَة بن سعد ابن زيد بن ليث بن سَوْد بن أَسْلم بن الْحاف بن قُضاعة، أم الأَوْس والخزرج.

قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج:

بهاليلُ من أولادِ قَيْلة لم يَجِدْ عليهم خليطٌ في مُخالطةٍ عُتْبا
مساميحُ أبطالٌ يُرَاحُون للندَى يَرَوْنَ عليهم فِعلَ آبائهم نحبا

وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبيد، عن عبدالله بن عباس، قال سَلْمان: فلما سمعتها أخذني العُرَوْراء . **قال ابن هشام:** العُرَوْراء: الرعدة من البرد والانتفاض، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء، وكلاهما ممدود ــ حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمةً شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبِلْ على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ: قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيرِكم، قال: فقرَّبته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفتُ عنه، فجمعت شيئا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئتُه به، فقلت له: إني قد رأيتُك لا تأكل الصدقة، فهذه هديةٌ أكرمتُك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه[1]. قال فقلت في نفسي: هاتان ثنتان، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغَرْقَد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه[2]، عليَّ شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، عَرَف أني أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره. فنظرت إلى الخاتم فعرَفته، فأكببتُ عليه أقبله، وأبكي، فقال لي رسول الله

---

(١) وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئاً، فجاء به النبي ﷺ ليختبره: أيأكل الصدقة، أم لا، فلم يسأله رسول الله ﷺ أحر أنت أم عبد؟ ولا: من أين لك هذا؟ ففي هذا من الفقه: قبول الهدية وترك سؤال الْمُهْدِي، وكذلك الصدقة ما دام يغلب على الظن أنه ليس من حرام. وهذا من أدب الرسول ﷺ في الحديث.

وفي الحديث: من قُدِّمَ إليه طعام فليأكل، ولا يسأل، وحديث سليمان هاهنا حجة على من قال إن العبد لا يملك. ووجب أكل صدقته. وفيها خلاف.

(٢) صاحبه الذي مات في تلك الأيام: كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي ﷺ قال الطبري: أول من مات من أصحاب النبي ﷺ بعد قدومه المدينة بأيام قليلة: كلثوم ابن الهدم ثم مات بعده أسعد بن زرارة.

ﷺ: تحول، فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يسمع ذلك أصحابُه. ثم شَغل سلمانَ الرقُّ حتى فاته من رسول الله ﷺ بدر وأحد.

سلمان يفتكُّ نفسه من الرق بأمر رسول الله ومساعدته ﷺ :

قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ : كاتبْ يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أُحييها له بالفَقِير[1]، وأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيَّة، والرجل بعشرين وَدِيَّة. والرجل بخمس عشرة وَدِيَّة، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة وَدِيَّة، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقِّرْ لها، فإذا فرغت فأتني، أكن أنا أضعها بيدي. قال ففقَّرْت، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسولُ الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الوَدِيَّ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغنا. فوالذي

---

(١) وقوله: أحييها له بالفقير وفي حاشية الشيخ: الوجه التَّفْقِير. والفقير للنخلة. يقال لها في الكَرْمَة: حَبِيَّة، وجمعها: حيَايَا، وهي الحفيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي: عَرِيسة، ثم يقال لها: ودية، ثم فسِيلة، ثم أَشَاءَة، فإذا فاتت اليد فهي: جَبَّارة، وهي العضيد، والكتيله، ويقال للتي لم تخرج من النواة، لكنها اجتثت من جنب أمها: قلعة وجثيثة، وهي الجثائث والهِرَاء، ويقال للنخلة الطويلة: عَوَانة بلغة عمان، وعَيْدَانة بلغة غيرهم، وهي فيعالة من عدن بالمكان ــ أقام به ــ واختلف فيها قول صاحب كتاب العين، فجعلها تارة: فَيْعالة من عدن، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعْلانة.

ومن الْفَسِيلة حديث أنس: أن رسول الله ﷺ قال « إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة، فليغرسها ». وهذا اهتمام من الإسلام بشأن العمل والعاملين لا ما يفعله الكسالى والمتواكلون.

نفس سلمان بيده، ما ماتت منها وَدِيَّة واحدة[1].

قال: فأدَّيْت النخل، وبقي عليَّ المال، فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتَب؟ قال: فدُعيت له، فقال: خذ هذه، فأدِّها مما عليك يا سلمان. قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟ فقال: خذْها، فإن الله سيؤدي بها عنك. قال: فأخذتها، فوزَنْتُ لهم منها ــ والذي نفس سلمان بيده ــ أربعين أوقية، فأوفيتهم حقَّهم منها، وعُتق سلمان. فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندقَ حُرّاً، ثم لم يفتني معه مشهد.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن رجل من عبد القيس عن سلمان: أنه قال: لما قلتُ: وأين تقع هذه من الذي عليَّ يا رسول الله؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلبها على لسانِه، ثم قال: خذها فأوفهمْ منها، فأخذتها، فأوفيتُهم منها حقَّهم كلَّه، أربعين أوقية.

حديث سلمان مع الرجل الذي بعمورية: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: حدثني من لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز بن مروان، قال: حُدثت عن سلمانَ الفارسيِّ: أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره خبره: إن صاحب عمورية قال له: أئت

---

(١) وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق. غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة، وغرس رسول الله ﷺ سائرها، فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان. هذا معنى حديث البخاري. وانظر كتابنا ــ مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

كذا وكذا من أرضِ الشام، فإن بها رجلاً[1] بين غَيْضَتين، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد منهم إلا شُفِيَ، فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي، فهو يخبرك عنه، قال سلْمانُ: فخرجت حتى أتيتُ حيثُ وُصف لي، فوجدت الناسَ قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم، لا يدعو لمريض إلا شُفِيَ، وغلبوني عليه، فلم أخْلُص إليه حتى دخل الغَيْضةَ التي يريد أن يدخل، إلا منكبه. قال: فتناولته. فقال: من هذا؟ والتفت إليَّ، فقلتُ: يرحمك الله، أخبرني عن الحَنِيفيَّة دينِ إبراهيم. قال: إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناسُ اليومَ، قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فَأْتِهِ فهو يحملك عليه. قال: ثم دخل. قال: فقال رسول الله ﷺ لسلمان: لئن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم.. على نبينا وعليه السلام.

---

(١) ذكر داود بن الحصين قال: حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال: قال سليمان للنبي ﷺ وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مستجيزاً من غيضة إلى غيضة، ويلقاه الناس بمرضاهم، فلا يدعو لمريض إلا شفي، وأن النبي ﷺ قال: إن كنت صدقتني يا سليمان، فقد رأيت عيسى ابن مريم. إسناد هذا الحديث مقطوع، وفيه رجل مجهول، ويقال: إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع منهم، فإن صح الحديث، فلا نكارة في متنه، فقد ذكر الطبري أن المسيح — عليه السلام — نزل بعد ما رُفع، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب يتكئان، فكلمهما، وأخبرهما أنه لم يقتل، وأن الله رفعه وأرسله إلى الحواريين، ووجههم إلى البلاد، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مراراً، ولكن لا يعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم.

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وعُبَيْد الله ابن جحش وعثمان بن الحُوَيْرث وزَيْد بن عمرو بن نُفَيْل

تشككهم في الوثنية: قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، ويُديرون به، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً، فخلَص منهم أربعة نفر نَجِيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكتم بعضُكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: وَرَقةُ بن نَوْفل بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وعُبَيْد الله بن جحش بن رِئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزيمة، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب. وعثمان بن الحوَيْرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وزيد[1] بن

---

(١) وأم زيد هي: الحيداء بنت خالد الفَهْمية، وهي امرأة جده نُفَيْل، وَلدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه، وابن أخيه، وكان ذلك مباحاً في الجاهلية بشرع متقدم، ولم تكن من الحرمات التي انتهكوها، ولا من العظائم التي ابتدعوها، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله ﷺ فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة، وهي برة بنت مُر، فولدت له النضر بن كنانة، وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه وافدة فولدت له ضعيفة، ولكن هو خارج عمود نسب رسول الله ﷺ لأنها لم تلد جدا له، أعني: واقدة، وقد قال عليه السلام: أنا من نكاح لا من سفاح، ولذلك قال سبحانه: ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف** ﴾ أي: إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام: وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب لنسب رسول الله ﷺ وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لغية ــ أي لِزنا ــ ولا من سفاح، ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن: إلا ما قد سلف، نحو قوله: ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾ ولم يقل إلا ما قد سلف: ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله** ﴾ ولم يقل إلا ما =

عَمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى بن عبدالله بن قُرْط بن رِياح بن رَزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي[1]. فقال بعضهم لبعض: تعلَّموا والله ما قومكم على شيء! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم.

تنصر ورقة وابن جحش: فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتبَ من أهلها، حتى علم علما من أهل الكتاب. وأما عُبَيد الله بن جحش، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصَّر، وفارق الإسلام، حتى هلك هنالك نصرانيا.

ابن جحش يغري مهاجري الحبشة على التنصر: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: كان عُبَيد الله

= قد سلف، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه، وفي الجمع بين الأختين؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحاً أيضاً في شرع من قبلنا، وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها ليا، فقوله: إلا ما قد سلف التفاتة إلى هذا المعنى، وتنبيه على هذا المغزى، وهذه النكتة لَقِنْتُها من شيخنا الإمام الحافظ أبي بكر محمد ابن العربي ــ رحمه الله ــ وزيد هذا هو: والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة، وأم سعيد: فاطمة بنت نَعْجَة بن خلف الخزاعي. هذا كلام الإمام السهيلي في الروض الأنف ــ انظره من تحقيقنا.

(١) والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب: نفيل بن رياح بن عبدالله ابن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبدالله، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح، وإنما رزاح بالكسر: رزاح بن ربيعة أخو قصي لأمه الذي تقدم ذكره.

ابن جحش ــ حين تنصر ــ يمر بأصحاب رسول الله ﷺ وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول: فقَّحْنا وصَأْصَأْتم، أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، ولم تُبصروا بعد، وذلك أن ولد الكلب، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصأ، لينظر. وقوله: فقَّح: فتح عينيه[1].

رسول الله ﷺ يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته:
قال ابن إسحاق: وخلف رسول الله ﷺ بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بنَ حُسين: أن رسول الله ﷺ بعث فيها إلى النجاشي عَمْرَو بن أمية الضَّمْري، فخطبها عليه النجاشي؛ فزوجه إياها، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار. فقال محمد بن علي: ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك. وكان الذي أملكها النبي ﷺ خالد بن سعيد بن العاص.

تنصر ابن الحُوَيْرث وقدومه على قيصر: قال ابن إسحاق:
وأما عثمان بن الحُوَيْرث، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصَّر، وحسنت منزلتُه عندَه.

---

(١) فقَّحْنا وصَأْصَأْتُم، وشرح فقحنا بقوله: فقح الجرُو: إذا فتح عينيه، وهكذا ذكره أبو عبيد، وزاد: جصص أيضا، وذكر أبو عبيد: بصص بالباء حكاها عن أبي زيد، وقال القالي: إنما رواه البصريون عن أبي زيد بياء منقوطة بائنتين، لأن الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول: أيل وأجل، ولرواية أبي عبيد وجه، وهو أن يكون بصص من البصيص، وهو البريق.

قال ابن هشام: ولعثمان بن الحُوَيْرث عند قيصر حديث، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفجار[1].

زيد يتوقف عن جميع الأديان: قال ابن إسحاق: وأما زيد ابن عَمرو بن نُفَيْل فوقف، فلم يدخل يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذْبَح على الأوثان[2].

---

(١) ويذكر أن قيصر كان قد توج عثمان، وولاه أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى: ألا إن مكة حي لَقَاحٌ لا تدين لملك. فلم يتم له مراده، قال: وكان يقال له: البطريق، ولا عقب له، ومات بالشام مسموما، سمه عمرو بن جفْنَة الغساني الملك.

(٢) روي البخاري عن محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا فضيل بن سليمان، قال: أخبرنا موسى، قال: حدثني سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن يُنزل على النبي ــ عليه السلام ــ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ، سُفرة أو قدمها إليه النبي ﷺ فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء ماءً، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك، وإعظاماً له.

وفيه سؤال يقال: كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النصب، وما لم يذكر اسم الله عليه، ورسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أنه ليس في الحديث حين لقيه ببلدح، فقدمت إليه السفرة أن رسول الله ﷺ أكل منها، وإنما في الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة: لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه.

الجواب الثاني: أن زيداً إنما فعل ذلك برأي رآه، لا بشرع متقدم، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذبح لغير الله، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام.

وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة، فإن قلنا بهذا =

ونهى عن قَتْل الموءودة[1]، وقال: أعبدُ ربَّ إبراهيم، وبادَى قومه بعيْب ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه، عن أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال: لقد رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نُفَيْل شيخاً كبيراً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة، وهو يقول: يا معشرَ قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده: ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أيَّ الوجوه أحبّ إليك عبدتُك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته.

= وقلنا: إن رسول الله ﷺ كان يأكل مما ذبح على النصب، فإنما فعل أمراً مباحاً، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال، وإن قلنا أيضاً: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير، ونحو ذلك، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا، ولم يقدم في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه، حتى جاء الإسلام، وأنزل الله سبحانه: ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكفر، وعبادة الصلبان، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان محلا بالشرع المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم.

(١) وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق ــ رحمه الله ــ يفعل مثل ذلك، ولما أسلم سأل رسول الله ﷺ: هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصح الروايتين: لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام. وهذا الحديث أخرجه البخاري، والموءودة مفعولة من وأده إذا أثقله. قال الفرزدق:

ومنا الذي منع الوائدا ت وأحيا الوئيد، فلم يُوأدِ

يعني: جده صَعْصَعة بن معاوية بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع.

وقد قيل: كانوا يفعلون ذلك غَيْرة على البنات، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله: ﴿ **خشية إملاق** ﴾ وذكر النقاش في التفسير: أنهم كانوا يئدون من البنات، ما كان منهن زرقاء أو بَرْشاءَ أو شَيماءَ أو كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى: ﴿ **وإذا المؤودة سُئلت: بأي ذنب قُتلت** ﴾.

قال ابن إسحاق: وحُدثت أن ابنه سعيد بن زيْد بن عمرو بن نُفَيْل وعمر بن الخطاب، وهو ابن عمه، قالا لرسول الله ﷺ: أتستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: نعم، فإنه يُبْعث أمةً وحدَه.

شعر زيد في فراق الوثنية: وقال زَيْد بن عمرو بن نُفَيل في فراق دين قومه، وما كان لقي منهم في ذلك:

أَرَبّاً واحداً، أم ألفَ رب ... أدِينُ إذا تُقُسِّمت الأمورُ
عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً ... كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصبورُ[1]
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتيْها ... ولا صَنَمَيْ بني عمرٍو أزورُ
ولا هُبَلاً أدين، وكان ربًّا ... لنا في الدهر إذ حِلمي يسيرُ
عجبت وفي الليالي مُعْجَبات ... وفي الأيام يعرفها البصيرُ
بأن اللهَ قد أفنى رجالاً ... كثيراً كان شأنَهمُ الفجورُ
وأبقى آخرين ببرِّ قومٍ ... فَيَرْبِلُ منهمُ الطفلُ الصغيرُ[2]

---

(١) فأما اللات فقد تقدم ذكرها، وأما العزى، فكانت نخلات مجتمعة، وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم ــ فيما ذكر ــ أن الرب يُشَتِّي بالطائف عند اللات، ويُصَيِّف بالعزى، فعظموها وبنوا لها بيتاً، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة، وهي التي بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ليكسرها، فقال له سادنُها : يا خالد احذرها؛ فإنها تجذع وتكنع ــ تشل ــ فهدمها خالد وترك منها جذمها ــ أصلها ــ وأساسها، فقال قيمها: والله لتعودن ولتنتقمن فمن فعل بها هذا، فذُكر ــ والله أعلم ــ أن رسول الله ﷺ قال لخالد: هل رأيت فيها شيئاً؟ فقال: لا، فأمره أن يرجع، ويستأصل بقيتها بالهدم، فرجع خالد، فأخرج أساسها فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها، فقتلها، وهرب القيم، وهو يقول: لا تُعبد العُزَّى بعد اليوم. هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابوري في المبعث. وذكره الأزرقي أيضاً ورزين.

(٢) ربل الطفل يربل إذا شب وعظم. يربل بفتح الباء أي يكبر وينبت، ومنه أخذ تربيل الأرض.

وبَيْنا المرءُ يعثر ثابَ يوماً ... كما يَتروَّح الغصنُ المطيرُ[1]
ولكنْ أعبدُ الرحمنَ ربِّي ... ليغفرَ ذنبيَ الربُّ الغفورُ
فتقوى اللهِ ربِّكم احفظوها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرارَ دارَهُم جِنانٌ ... وللكفارِ حاميةٌ سعيرُ
وخزْيٌ في الحياة وإن يموتوا ... يلاقوا ما تضيقُ به الصدورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل أيضا ــ **قال ابن هشام**: هي لأمية ابن أبي الصلت في قصيدة له إلا البيتين الأولين، والبيت الخامس، وآخرها بيتا. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق:

إلى الله أهْدِي مِدْحتي وثنائيا ... وقولاً رصيناً لا يني الدهرَ باقيَا
إلى الملكِ الأعلى الذي ليس فوقَه ... إلهٌ ولا رب يكونُ مُدانيَا
ألا أيها الإنسان إياك والرَّدَى ... فإنك لا تخفى من الله خافيَا[2]
وإياكَ لا تجعلْ مع اللهِ غيرَهُ ... فإن سبيلَ الرُّشْد أصبحَ باديَا
حَنَانَيْكَ إن الجنَّ كانت رجاءَهم ... وأنتَ إلهي ربنا ورجَائيَا[3]
رضيتُ بك ــ اللهمَّ ــ ربًّا فلن أرَى ... أدينُ إلهاً غيرك اللهُ ثانيَا[4]

---

(١) يتروح الغصن: أي: ينبت ورقه بعد سقوطه.

(٢) إياك والردى: هنا تحذير من الردى، والردى هو الموت، فظاهر اللفظ متروك، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت، ويبديه ويكشف من جزاء الأعمال؛ ولذلك قال: فإنك لا تخفى من الله خافياً.

(٣) حنانيك بلفظ التثنية، قال النحويون: يريد حنانا بعد حنان، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد. قال المؤلف رحمه الله: ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا، وحنانا في الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانَيْك بعض الشر أهون من بعض

فإنما يريد: حنان دَفْعٍ، وحنان نَفْعٍ، لأن كل من أمَّل مَلكا، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيرا، أو ليجلب إليه خيرا. (عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

(٤) أدين إلهاً، أي: أدين لإله، وحذف اللام وعدى الفعل؛ لأنه في معنى: أعبد إلها. =

وأنت الذي من فَضْل مَنٍّ ورحمةٍ ... بعَثتَ إلى موسى رسولاً مناديَا
فقلت له يا اذْهب وهارون فادْعُوَا ... إلى الله فرعونَ الذي كان طاغيا[1]
وقولا له: آأنْتَ سَوَّيتَ هذه ... بلا وَتدٍ، حتى اطمأنَّت كما هيا[2]
وقُولا له: آأنْتَ رفَّعْت هذه ... بلا عَمَدٍ، أرفقْ ــ إذاً ــ بك بانيَا[3]
وقولا له: آأنْتَ سوَّيت وَسْطَها ... مُنيراً، إذ ما جَنَّه الليلُ هاديَا
وقولا له: من يرسلُ الشمس غُدوةً ... فيُصبح ما مست من الأرض ضاحيا

= وقوله: غيرك الله برفع الهاء، أراد: يا ألله، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يا أيها الرجل، ولا ينادي اسم الله بيأيها، وتقطع همزته في النداء، أي تجعلها همزة قطع فتقول: يا ألله، ولا يكون ذلك في اسم غيره، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة.

(١) ألا يا اذهب على حذف المنادى. كأنه قال: ألا يا هذا اذهب، كما قرئ: ﴿ **ألا يا اسجدوا** ﴾، يريد: يا قوم اسجدوا، وكما قال غيلان:

ألا يا اسلمي يا دارَ مَيٍّ على البِلَى

وفيه: « اذهب وهارون »، عطفا على الضمير في اذهب، وهو قبيح إذا لم يؤكد، فيقال: « اذهبْ أنت وهارون » ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً.

(٢) اطمأنت كما هيا، وزنه افلعلت، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف، لأنه من تطامن أي: تطأطأ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل، فتكون أخف عليهم في اللفظ، كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فراراً من تقارب الهمزتين.

كما هيا؛ ما: زائدة لتكف الكاف عن العمل، وتهيئها للدخول على الجمل، وهي: اسم مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: كما هي عليه، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه، اطمأن، كما تقول: سرت مثل سير زيد؛ فمثل حال من سَيْرك الذي سرته.

وانظر كتاب تصريف الأفعال للدكتور عبد الحميد السيد عبد الحميد.

(٣) أرفق: تعجب، « وبك » في موضع رفع لأن المعنى: رفقت، « وبانياً » تمييز، لأنه يصلح أن يُجر بمن، كما تقول: « أحسن بزيد من رجل »، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب؛ إذ قد علم أنك متعجب منه.

وقولا له: من يُنبتُ الحبَّ في الثرَى فيصبحُ منه البقلُ يهتزُّ رابيَا
ويُخرج منه حبَّه في رءوسِه وفي ذاك آياتٌ لمن كان وَاعيَا
وأنت بفضلٍ منك نجَّيت يونساً وقد بات في أضعافِ حوتٍ لياليَا[1]
وإني ولو سبحت باسمك ربنا لأُكْثِر ــ إلا ما غفرتَ ــ خطائيَا[2]
فربّ العبادِ ألق سَيْباً ورحمةً عليَّ، وباركْ في بَنيَّ ومالِيَا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحَضْرَمي:

نسب الحضرمي: قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبدالله بن عباد أحد الصَّدِف، واسم الصَّدف: عمرو بن مالك أحد السَّكون ابن أشرس بن كِنْدى، ويقال: كِندة بن ثَوْر بن مُرَتِّع بن عُفَير بن عَدي بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: مُرَتِّع بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ.

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية: قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ﷺ فكانت صفيةُ بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج، وأراده، آذنت به الخطاب بن نُفَيل، وكان

---

(١) وبعد قوله: وقد بات في أضعاف حوت لياليا
بيت لم يذكره ابن إسحاق، ووقع في جامع ابن وهب وهو:
وأنبتَّ يَقْطِيناً عليه برحمة من الله لولا ذاك أصبح ضاحيا

(٢) معنى البيت: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا ما غفرت « وما » بعد « إلا » زائدة، « وإن سبحت »: اعتراض بين اسم إن وخبرها، كما تقول: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي: لا أعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي.

الخطاب بن نُفَيل عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وكَّل صفية به. وقال: إذا رأيتيه قد هَمَّ بأمر فآذِنيني به ــ فقال زيد:

لا تَحبسينـــي فـــي الهـــوا ن صَفـــيَّ ما دابي ودابُـــهْ
إنـــي إذا خِـــفت الهـــوا نَ مُشَيَّـــع ذُلُـــل ركابـــه
دُعْمـــوص أبـــوابِ الملـــو كِ وجـانبٌ للخـرق نابـه[1]
قَطَّـــاع أسبـــابِ تـــذ لّ بغيـــرِ أقـــرانٍ صِعابـــه
وإنمـــا أخـــذ الهـــوا ن العِيرُ إذ يُوهَـى إهابُـه
ويقـــول: إنـــي لا أُذلُّ بصك جَنْبيـــه صِلابـــه[2]
وأخـي ابـنُ أمـي، ثـم عَـ ـمِّـي لا يُواتينـي خطابُـه
وإذا يعاتبنـــي بســـو ءٍ قـلت: أعيانـي جوابُـه
ولـو أشـاء لقـلتُ: مـا عنـدي مفاتحُـهُ وبابـه

قول زيد حين يستقبل الكعبة: قال ابن إسحاق: وحُدثت عن بعض أهلِ زيدِ بن عمرو بن نُفَيل أن: أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخلَ المسجد، قال: لبيك حقّاً حقّاً، تعبداً ورقّاً.

عُذتُ بما عاذ بـه إبراهيـمْ مستقبـلَ القبلـة، وهـو قائـم

---

(١) دُعْموص أبواب الملوك. يريد: ولأَّجاً في أبواب الملوك، وأصل الدعموص: سمكة صغيرة كَحَيَّة الماء، فاستعاره هنا، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه: « صغاركم دعاميص الجنة »، وكما استعارت عائشة العصفور حين نظرت إلى طفل صغير قد مات، فقالت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً، فقال لها النبي ﷺ: « وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلا، وخلق النار، وخلق لها أهلا » أخرجه مسلم.

(٢) إني لا أُذلُّ أي: يقول العير ذلك بِصَكِّ جَنْبَيْه صِلابُهْ، أي: صلاب ما يوضع عليه، وأضافها إلى العير لأنها عِبْؤُه وحمله.

إذ قال:

أَنْفِي لك اللهمَّ عانٍ راغمْ مهما تجشَّمني فإني جاشمْ

البر أبغي لا الخال، ليس مهجِّر كمن قال[1]

قال ابن هشام: ويقال: البر أبقى لا الخال، ليس مهجر كمن قال. قال وقوله: « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وقال زيدُ بن عمرو بن نفيل:

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له الأرضُ تحملُ صخراً ثقالاَ
دَحاها فلما رآها استوتْ على الماءِ، أرسى عليها الجبالاَ
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له المزْنُ تحمل عَذْباً زُلالا
إذا هي سِيقت الى بلدةٍ أطاعتْ، فصبَّت عليها سِجالا

الخطاب يؤذي زيداً ويحاصره: وكان الخطاب قد آذى زيداً؛ حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابلَ مكة، ووكَّل به الخطاب شباباً من شباب قُريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سراً منهم، فإذا علموا بذلك، آذنوا به الخطاب، فأخرجوه، وآذوه كراهيةَ أن يُفسدَ عليهم دينهم، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه فقال ــ وهو يعظم حرمته على من استحلَّ منه ما استحل من قومه:

---

(١) البر أبغي: بالنصب، والخال: الخُيَلاءُ والكبر.

وقوله: ليس مهجر كمن قال، أي: ليس من هجَّر وتكيَّس، كمن آثر القائلة والنوم، فهو من: قال يقيل؛ وهو ثلاثي، ولكن لا يتعجب منه، لا يقال: ما أقيله!! قال أهل النحو: استغنَوْا عنه: بما أنومه.

لا هُمَّ إني مُحرِمٌ لا حِلّهْ وإن بيتي أوسطُ المَحِلَّـهْ[1]
عند الصَّفا ليس بذي مَضَلَّهْ

زيد يرحل إلى الشام وموته: ثم خرج يطلبُ دينَ إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبانَ والأحبار، حتى بلغ الموصِل والجزيرةَ كلَّها، ثم أقبل فجالَ الشامَ كلَّه، حتى انتهى إلى راهب بميْفَعة[2] من أرض البلقاء، كان ينتهي إليه عِلْمُ أهلِ النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفيةِ دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب دِيناً ما أنت بواجدٍ من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ يخرج من بلادك التي خرجتَ مِنها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحقْ بها، فإنه مبعوثٌ الآنَ، هذا زمانُه، وقد كان شَامَّ اليهودية والنصرانية[3]، فلم يرضَ شيئاً منهما، فخرج سريعاً، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكةَ، حتى إذا توسط بلادَ لخم، عَدَوْا عليه فقتلوه.

ورقة يرثي زيدا: فقال ورقةُ بنُ نوفل بنِ أسد يبكيه:

رشدتَ، وأنعمت ابن عمرو، وإنما تجنبْتَ تَنُّوراً من النار حاميا[4]

---

(١) إني محرم لا حِلَّة: محرم أي. ساكن بالحرم، والحلة: أهل الحل. يقال للواحد والجميع: حلة.

(٢) بميفعة: تقيد في الأصل بكسر الميم من ميفعة، والقياس فيها: الفتح؛ لأنه اسم لموضع أخذ من الْيَفَاع، وهو المرتفع من الأرض. وكذلك أثبتناه.

(٣) وقوله: شام اليهودية والنصرانية، هو فاعل من الشم كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابة من قضاعة، ثم انصرف، فقال له النسابة: شاممتنا مشامة الذئب الغنم، ثم تنصرف. في حديث ذكره أبو علي القالي في النوادر، ومعناه: استخبر، فاستعاره من الشم، فنصب اليهودية والنصرانية نصب المفعول، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شَمَمْت، والفعل أولى بهذا الموضع.

(٤) رشدت وأنعمت ابن عمرو، أي: رشدت وبالغت في الرشد، كما يقال: أمعنت النظر وأنعمته.

بدينك ربًّا ليس رب كمثلِه وترككَ أوثانَ الطواغي كما هيَا
وإدراكك الدينَ الذي قد طلبتَه ولم تكُ عن توحيدِ ربِّك ساهيَا
فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها تُعلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهيَا
تُلاقي خليلَ اللهِ فيها، ولم تكنْ من الناسِ جَبَّاراً إلى النارِ هاويَا
وقد تدركُ الإنسانَ رحمةُ ربِّه ولو كان تحتَ الأرضِ سبعين واديَا[1]

قال ابن هشام: يروى لأُمية بن أبي الصَّلْت البيتان الأوَّلان منها، وآخرها بيتاً في قصيدة له. وقوله: « أوثان الطواغي » عن غير ابن إسحاق.

(١) قوله: ولو كان تحت الأرض سبعين واديا * بالنصب. نصب سبعين على الحال، لأنه قد يكون صفة للنكرة، كما قال: * فلو كنت في جب ثمانين قامة * وما أصله صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال: ولو بَعُد تحت الأرض سبعين، كما تقول: بَعُد طويلا، أي: بُعداً طويلاً، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

يُحَنَّس الحواري يثبت بعثة الرسول ﷺ من الإنجيل: قال ابن إسحاق: وقد كان ــ فيما بلغني عما كان وَضَعَ عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل ــ من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحَنَّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الربَّ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنوا أنهم يَعُزُّونني، وأيضا للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمةُ التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجانا[1]، أي: باطلا. فلو قد

---

(١) قوله: أبغضوني مجانا، أي: باطلاً، وكذلك جاء في الحكمة: يا ابن آدم علِّم مجاناً، كما عُلِّمت مجاناً، أي: بلا ثمن، وفي وصايا الحكماء: شاور ذوي الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن، أي بطول التجارب، ومن صفة النبي ﷺ يقول الله سبحانه: أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، فيفتح به عيوناً عمياً وآذانا صماً، وقلوبا غُلْفاً؛ بأن يقول: لا إله إلا الله. =

جاء المنْحمنّا هذا الذي يرسله اللهُ إليكم من عند الربِّ، وروح القُدس هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيد عليَّ وأنتم أيضا؛ لأنكم قديما كنتم معي في هذا، قلت لكم: لكيما لا تشكوا.

والمُنْحَمَنَّا بالسريانية: محمد: وهو بالرومية: الْبرقْلِيطِس، ﷺ.

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان به ﷺ: قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال: فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ

= ومما وجد من صفته ﷺ عند الأحبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التَّيمي. قال: وكان من أحبار يهود باليمن، فلما سمع بذكر النبي ﷺ قدم عليه، فسأله عن أشياء، ثم قال: إن أبي كان يختم على سِفْرٍ، ويقول: لا تَقرأه على يهود حتى تَسمع بنبي قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه. قال نعمان: فلما سمعت بك فتحت السِّفر، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه: ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم، وإذا فيه: إنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم، واسمك: أحمد، وأمتك الحامدون. قربانهم: دماؤهم، وأناجيلهم: صدورهم، وهم لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم، يتحنن الله عليهم كتحنن النسر على فراخه، ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه، وآمِنْ به، وصدق به، فكان النبي ﷺ يحب أن يسمع أصحابه حديثَه، فأتاه يوما، فقال له النبي ﷺ يا نعمان حدثنا، فابتدأ النعمان الحديث من أوله، فرُؤي رسول الله ﷺ يومئذ يبتسم، ثم قال: أشهد أني رسول الله، وهو الذي قتله الأسود الْعَنْسِيُّ، وقطعه عضوا عضوا، وهو يقول: إن محمداً رسول الله، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله، ثم حَرَّقه بالنار.

أربعين سنة بعثه اللهُ تعالى[1] رحمةً للعالمين، وكافةً للناس بشيراً، وكان اللهُ تبارك وتعالى قد أخذ الميثاقَ على كلِّ نبي بعثه قبلَه بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدُّوا ذلك إلى كلِّ من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحقِّ فيه. يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ **وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ النبيين لِمَا آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم، لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه، قال: أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري** ﴾: أي ثقل ما حملتكم من عهدي: ﴿ **قالوا أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾[2] فأخذ الله ميثاق النبيين

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام، وهذا مروي عن ابن عباس، وجُبَيْر بن مطعم وقباث بن أشيم، وعطاء وسعيد بن المسيب، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السِّيَر والعلم بالأثر.

وقد روي أنه نبيء لأربعين وشهرين من مولده، وقيل لقباث بن أشيم: من أكبر، أنتَ أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله أكبر مني، وأنا أسَنُّ منه، وولد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقفت بي أمي على رَوْثِ الفيل، ويروى: خَزْقِ الطير، فرأيته أخضر مُجِيلاً، أي قد أتى عليه حَوْل، وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أن رسول الله ﷺ قال لبلال: لا يفتك صيام يوم الاثنين؛ فإني قد ولدت فيه، وبعثت فيه، وأموت فيه. الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٦٥.

(٢) وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه: ﴿ **وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ الآية. وما في هذه الآية: اسم مبتدأ بمعنى: الذي، والتقدير: للذي آتيناكم من كتاب وحكمة، ولا يصح أن يكون في موضع نصب على إضمار فعل، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيها ما قبلها، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه، وقد قيل: إن هذه شرط. والتقدير: لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به، وهو ظاهر قول سيبويه، لأنه جعلها بمنزلة: إن، وقول الخليل: إنها بمنزلة الذي، أي: إنها اسم لا حرف. ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا، فتكون اسما، وتكون شرطا، ويحتمل أيضا أن تكون على قول الخليل: خبرية في موضع رفع بالابتداء، ويكون الخبر: لتؤمنن به ولتنصرنه، وإن كان الضميران عائدين على الرسول، =

جميعا بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم، وصدقهم من أهل هذين الكتابين.

الرؤيا الصادقة أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: فذكر الزهريُّ عن عُروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته: أن أولَ ما بُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به: الرؤيا الصادقةُ، لا يرى رسولُ الله ﷺ رؤيا في نومِه إلا جاءت كفلق الصبح قالتْ: وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلوَ وحدَه.

سلام الحجر والشجر عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعيةً، عن بعض أهل العلم:

أن رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسَّرَ عنه البيوتُ، ويُفضي إلى شِعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرٍ، إلا قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله[1]. قال: فيلتفتُ رسول الله ﷺ

= لا على الذي، ولكن لما قال: ﴿ **رسول مُصدِّق لما معكم** ﴾، ارتبط الكلام بعضه ببعض، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ، وله نظير في التنزيل، منه قوله تعالى: ﴿ **والذين يُتَوَفَّوْن منكم** ﴾ خبره: ﴿ **يتربصْنَ بأنفسهنَّ** ﴾، ولم يعد على المبتدأ شيء، لتشبث الكلام بعضه ببعض، وقد لاح لي بعد نظري الكتابَ أن الذي قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد، غير أنه قال: ودخول اللام على ما، كدخولها على إن، يعني: في الجزاء، ولم يرد أن يعمل ما جزاء، وإنما تكلم على اللام خاصة. والله أعلم. عن الروض الأنف ــ انظره من تحقيقنا.

(١) وفي مصنف الترمذي ومسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عَليَّ قبل أن يَنَزَّل عَلَيَّ » وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، =

حولَه، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجرَ والحجارة، فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع، ما شاء اللهُ أن يمكثَ، ثم جاءه جبريل عليه السلام[1] بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء في شهر رمضان.

= وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الحنين في الجذع، ولكن ليس من شروط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عَرَض في قول الأكثرين، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام، فإنه زعم أنه جسم، وجعله الأشعري اصطكاكاً في الجواهر بعضها لبعض، وقال أبو بكر بن الطيب: ليس الصوت نفس الاصطكاك، ولكنه معنى زائد عليه، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله أعلم أي ذلك كان، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمنا، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة؟ وفي كلا الوجهين، هو علم من أعلام النبوة. وأما حنين الجذع فقد سمي حنينا، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، ويعمرونها، فيكون مجازا من قوله تعالى: ﴿ **واسئل القرية** ﴾ أي أهلها والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها عَلَمٌ على نبوته ــ عليه السلام ــ غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق، فيعجزون عن معارضته. الروض الأنف جـ ١ ص ٢٦٦ــ٢٦٧.

(١) اسم جبريل سرياني، ومعناه: عبد الرحمن، أو عبد العزيز. هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً، والوقف أصله، وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله وهو: إيل، وكان مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في غلام زيد: زيد غلام، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى، ألا ترى كيف قال جبريل وميكائيل، كما تقول: عبد الله وعبد الرحمن، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد، والأسماء ألفاظها مختلفة. واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه، وإن كان أعجمياً؛ فإن الجبر هو إصلاح ما وهَى وجبريل موكل بالوحي، وفي الوحي إصلاح ما فسد، وجبر ما وَهَى من الدين، ولم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي ﷺ خديجة به =

نزول جبريل عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني وَهْب بن كَيْسان، مولى آل الزبير. قال: سمعتُ عبدَالله بن الزبير وهو يقول لعُبَيد ابن عُمَيْر بن قَتادة الليثي: حدثنا يا عبيد، كيف كان بدْءُ ما ابتُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عُبيد ــ وأنا حاضر يحدث عبدالله بن الزبير، ومن عنده من الناس: كان رسول الله ﷺ يجاور في حِراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنَّث به قريشٌ في الجاهلية. والتحنث: التبرُّر[1].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانَه ورَاقٍ لِيَرْقَى في حِراءَ ونازِلِ

التحنث والتحنف: قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحَنِيفية فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَفَ وجَدَث. يريدون: القبرَ. قال رؤبةُ بن العَجّاج:

= انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كعدَّاس ونَسْطُور الراهب، فقال لها: قدوس قدوس! أنى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد.

وفي كتاب المعيطي عن أشهب قال: سئل مالك عن التسمي بجبريل أو من يسمي به ولده فكره ذلك، ولم يعجبه.

(١) التحنث: التَّبَرُّرُ. تفعُّل من البر، وتفعل: يقتضي الدخول في الفعل، وهو الأكثر فيها مثل: تَفَقَّه وتعبَّد وتنسَّك، وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطِّراحه، كالتأثم والتحرج. والتحنث بالتاء المثلثة، لأنه من الحِنْث وهو الحمل الثقيل، وكذلك التقذر، إنما هو تباعد عن القذر، وأما التحنف بالفاء، فهو من باب التبرر؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم، وإن كان الفاء مُبدلة من الثاء، فهو من باب التقذر والتأثم، وهو قول ابن هشام، واحتج بجدف وجدث. وانظر في ذلك: الأشباه والنظائر النحوية للإمام السيوطي ــ من تحقيقنا.

لو كان أحجاري مع الأَجْداف[1]

يريد: الأجداث: وهذا البيت في أرجوزة له. وبيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيدة أن العرب تقول: فُم، في موضع: ثُم، يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان قال: قال عُبَيد: فكان رسول الله ﷺ يجاور[2] ذلك الشهرَ من كل سنة، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جوارَه، من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به ـــ إذا انصرف من جواره ـــ الكعبة، قبل أن يدخلَ بيتَه، فيطوفُ بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته.

---

(١) وفي رجز رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جني حيث زعم في سر صناعة الإعراب أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف، واحتج بهذا لمذهبه في أن الثاء هي الأصل، وقول رؤبة رد عليه، والذي نذهب إليه أن الفاء هي الأصل في هذا الحرف، لأنه من الجدف وهو القطع، ومنه مجداف السفينة، وفي حديث عمر في وصف الجن: « شرابهم الجَدَفُ » وهي الرَّغْوَة، لأنها تُجْدَف عن الماء، وقيل: هي نبات يقطع ويؤكل. وقيل: كل إناء كشف عنه غطاؤه: جدف والجدف: القبر من هذا، فله مادة وأصل في الاشتقاق، فأجدر بأن تكون الفاء هي الأصل والثاء داخلة عليها.

(٢) الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد، كذلك قال ابن عبد البر؛ ولذلك لم يُسَمَّ جواره بحراء اعتكافا، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم، وهو الجبل الذي نادى رسول الله ﷺ حين قال له ثَبِيرُ وهو على ظهره: اهبط عني؛ فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذَّب، فناداه حِراء: إليَّ إليَّ يا رسول الله. (عن الروض الأنف) للإمام أبي عبد الرحمن السهيلي.

حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهرُ: شهرُ رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حِراء، كما كان يخرج لجوارِه ومعه أهلُه، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه اللهُ فيها برسالته ورحم العبادَ بها، جاءه جبريلُ ـــ عليه السلام ـــ بأمر الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: فجاءني جبريلُ، وأنا نائم[1]، بِنَمَطٍ من

---

(١) قال في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنما كُتِبَت في قلبي كتابا، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل نزل بسورة اقرأ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: « أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حَبَّب الله إليه الخلاء ـــ إلى قولها ـــ حتى جاءه الحق وهو بغار حراء، فجاءه جبريل »، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي ـــ عليه السلام ـــ بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه.

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكُل به إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وُكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه ﷺ في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحاق، وكما قالت عائشة أيضا: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، وقد قال إبراهيم عليه السلام: « إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى » فقال له ابنه: « افعل ما تؤمر » فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام؛ كما يأتيهم في اليقظة.

ومنها: أن يُنْفثَ في روعه الكلام نَفْثاً، كما قال عليه السلام: « إن روح القدس نفث في رُوعِي أن نفساً لن تموت، حتى تستكمل أجلها ورزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ». وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً** ﴾. قال هو أن ينفث في روعه بالوحي. =

دِيباجٍ[1] فيه كتاب، فقال: اقرأْ[2]، قال: قلت: ما أقرأُ[3]؟ قال فغتَّني

= ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه. وقيل: إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعى لما يسمع، وألقن لما يُلَقَّى.

ومنها: أن يتمثل له الملك رجلا، فقد كان يأتيه في صورة دِحْية بن خليفة الكلبي، ويروى: أن دِحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر ــ المرأة إذا اكتملت أنوثتها ــ إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله. وقال ابن سلام في قوله تعالى: ﴿ **وإذا رأوْا تجارة أو لهواً** ﴾ قال: كان اللهو نظرهم إلى وجه دِحْية لجماله.

ومنها: أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت.

ومنها: أن يكلمه الله من وراء حجاب: إمّا في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي، قال: « أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت: لا أدري فوضع كفَّه، فوجدت بردها بين ثُنْدُوَتيَّ ــ جمع ثندوة: لحم الثدي ــ وتجلى لي علم كل شيء، وقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت: في الكفارات، فقال: وما هن!؟ فقلت: الوضوء عند الكريهات، ونقل الأقدام إلى الحسنات، وانتظار الصلوات بعد الصلوات، وإن فعل ذلك عاش حميداً، ومات حميداً، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث فهذه ستة أحوال.

وحالة سابعة، وهي نزول إسرافيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل، فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد ﷺ.

(١) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زينهم وزينتهم، وبه أيضا ينال مُلك الآخرة، ولباس الجنة وهو الحرير والديباج.

(٢) قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ **ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾ إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاءه به جبريل حين قال: اقرأ، وفي الآية أقوال غير هذه، منها: أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه: ألم؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله، فهي كالترجمة له.

(٣) وقوله: ما أنا بقارئ ، على إحدى الروايات: أني أُمِّيٌّ، فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثا =

به[1]، حتى ظننت أنه الموتُ، ثم أرسلني؛ فقال: اقرأْ، قال قلت: ما أقرأُ؟ قال: فغتَّني به، حتى ظننتُ أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ، قال: قلت: ماذا أقرأُ؟ قال فغتَّني به، حتى ظننتُ أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ، قال: فقلت: ماذا أقرأُ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي. فقال: ﴿ **اقرأْ باسم ربِّك**[2] **الذي خلق. خلق الإنسانَ من علق. اقرأ وربُّك الأكرمُ. الذي علَّم بالقلم. علم الإنسانَ ما لم يعلم** ﴾. قال: فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا. قال: فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل سمعت صوتاً من السماءِ يقول: يا محمدُ أنت رسولُ الله، وأنا جبريلُ، قال: فرفعتُ رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريلُ في صورة رجل صافٌّ قدميه[3] في أفق السماء يقول: يا

= فقيل له: ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾، أي: إنك لا تقرؤه بحولك، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربك مستعيناً به، فهو يعلمك كما خَلقك وكما نزع عنك علق الدم، ومَغْمَزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك، كما خلقه في كل إنسان.

أما على رواية: ما أقرأ؟ يحتمل أن تكون « ما » استفهاماً، يريد أي شيء، أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفياً، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي، أي ما أحسن أن أقرأ، كما قد تقدم من قوله: ما أنا بقارئ.

(١) ويروى: فسأبني، ويروى: سأتني، وأحسبه أيضا يروى: فذعتني وكلها بمعنى واحد، وهو الخنق والغم.

(٢) في قوله: ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ من الفقه: وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسماء ربه يفتتح، حتى جاء البيان بعدُ في قوله: ﴿ **بسم الله مجريها** ﴾ ثم قوله تعالى: ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، على بعض الآراء ــ وانظر تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني ط مؤسسة الحلبي ــ من تحقيقنا.

(٣) وفي حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض، ويروى: على عرش بين =

محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلتُ أصرفُ وجهي عنه في آفاقِ السماء، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلتُ واقفا ما أتقدم أمامي، وما أرجع ورائي حتى بَعثَتْ خدِيجةُ رُسلَهَا في طلبي، فبلغوا أعلى مكةَ، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

الرسول ﷺ يخبر خديجة رضي الله عنها بنزول جبريل عليه: وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي، حتى أتيتُ خديجةَ، فجلست إلى فخذها مُضيفا إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنتَ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك، حتى بلغوا مكةَ ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيتُ، فقالت: أبشرْ يا ابن عمِّ واثبُتْ فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة.

خديجة رضي الله عنها تخبر ورقة بن نوفل: ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن قُصي، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصَّر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل. فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع. فقال ورقةُ بن نوفل: قَدُّوس قدوس، والذي نفسُ ورقةَ بيده لئن كنتِ صدقتيني يا خديجةُ لقد جاءه الناموسُ[1] الأكبر

= السماء والأرض، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحي، كان يأتي شواهق الجبال يهمُّ بأن يلقي نفسه منها، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض، يقول له أنت رسول الله، وأنا جبريل ـــ وانظر لنا مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(١) الناموس: صاحب سر الملك، قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس: هو صاحب سر الشر، وقد فسره أبو عبيد وأنشد:

فأبلغ يزيد إن عرضت ومُنْذِراً ... وعَمَّهُمَا والْمُسْتَشِزَّ الْمُنامِسَا

الذي كان يأتي موسى[1]، وإنه لنبيُّ هذه الأمة. فقولي له: فليثبت.

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ. فأخبرته بقول ورقةَ بن نَوْفَل. فلما قضي رسولُ الله ﷺ جوارَه وانصرف، صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة، فطاف بها. فلقيه ورقةُ بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة. فقال: يا ابن أخي أخبرْني بما رأيتَ وسمعتَ: فأخبره رسول الله ﷺ. فقال له ورقةُ: والذي نفسي بيده، إنك لنبيُّ هذه الأمة، وقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى. ولتُكَذِّبنَّهْ، ولتُؤذَيَنَّهْ، ولتُخْرَجَنَّهْ، ولَتُقَاتلنَّهْ[2]. ولئن أنا أدركتُ[3] ذلك اليوم لأنصرنَّ اللهَ نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسَه منه، فقبل يافوخَه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

تثبُّت خديجة رضي الله عنها من الوحي: قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيلُ بن أبي حكيم مولى آلِ الزبير: أنه حُدِّث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عَم، أتستطيع

---

(١) ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب، لأن ورقة كان قد تنصر، والنصارى لا يقولون في عيسى إنه نبي يأتيه جبريل، وإنما يقولون فيه: إن أقنوماً من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح، واتحد به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول، وهو أقنوم الكلمة، والكلمة عندهم: عبارة عن العلم، فلذلك كان المسيح عندهم، يعلم الغيب، ويخبر بما في غد، فلما كان هذا من مذهب النصارى المدعين المحال، عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى، لعلمه أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى، لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد ــ عليه السلام ــ.

(٢) الهاءات الأربعة لا ينطق بها إلا ساكنة فإنها هاءات سكت وليست بضمائر.

(٣) وقوله: إن أُدرك ذلك اليوم أنصرك نصراً مؤزراً، وقال في الحديث: إن يدركني يومك وهو القياس، لأن ورقة سابق بالوجود، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده، كما جاء في الحديث: « أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي »، ورواية ابن إسحاق أيضا لها وجه، لأن المعنى: أنرى ذلك اليوم، فسمى رؤيته إدراكا، وفي التنزيل: ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ أي: لا تراه على أحد القولين، وقوله: مُؤَزَّراً من الأزر وهو القوة والعون.

أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريلُ عليه السلام، كما كان يصنعُ، فقال رسول الله ﷺ لخديجةَ: يا خديجةُ، هذا جبريلُ قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلسْ على فَخذي اليسرى، قال: فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحولْ، فاجلسْ على فخذي اليمنى، قالت: فتحول رسولُ الله ﷺ فجلس على فخذي اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحولْ فاجلسْ في حجري، قالت: فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحسَّرت وألقت خمارَها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت يا ابن عم، أثبتْ وأبشرْ، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

قال ابن إسحاق: وقد حَدثتُ عبدَالله بن حسن[1] هذا الحديث، فقال: قد سمعتُ أمي فاطمة بنت حُسين تُحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني سمعتها تقول: أدخلتْ رسولَ الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عندَ ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ﷺ: إن هذا لملك، وما هو بشيطان.

---

(١) عبد الله هذا هو: عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت الحسين أخت سُكَينة: واسمها: آمنة، وسكينة لقب لها، التي كانت ذات دعابة ومزح، وفي سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن علي رضي الله عن جميعهم:

كأن الليل موصول بليل إذا زارت سكينة والرباب

أي: زارت قومها، وهم: بنو عُلَيْم بن جناب، من كلب، ثم من بني كعب بن عليم، ويعرف بنو كعب بن عليم ببني « زيد » غير مصروف ؛ لأنه اسم أمهم، وعبدالله ابن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس، وهم: محمد ويحيى وإدريس، مات إدريس بإفريقية فاراً من الرشيد، ومات مسموماً في دلاعة ــ نوع من المحار ــ أكلها.

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن: قال ابن إسحاق: فابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان، بقول الله عز وجل: ﴿ **شهرُ رمضانَ الذي أُنْزِلَ فيه القرآنُ هُدًى للناسِ، وبَيناتٍ من الهدَى والفرقانِ** ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلةِ القدرِ. وما أدْراك ما ليلةُ القدرِ. ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ. تنَزَّل الملائكةُ والروحُ فيها بإذْنِ ربِّهم مِن كُلِّ أمرٍ. سلامٌ هيَ حَتى مَطْلَعِ الفَجْرِ** ﴾. وقال الله تعالى: ﴿ **حمٓ. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا منذرين. فيها يُفْرق كُلُّ أمرٍ حكيم. أمراً من عِندِنا إنا كنا مُرْسِلينَ** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **إن كنتم آمنتم باللهِ وما أَنزلنا علَى عبدِنا يَوْمَ الفُرقانِ يَوْمَ التقَى الجمعانَ** ﴾. وذلك مُلْتَقَى رسولِ الله ﷺ والمشركين ببدر.

تاريخ وقعة بدر: قال ابن إسحاق: وحدثني أبو جعفر محمد ابن علي بن حُسَين: أن رسول الله ﷺ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة، صبيحةَ سَبْعَ عَشْرةَ من رمضان.

قال ابن إسحاق: ثم تتامَّ الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله مُصدِّق بما جاءه منه، قد قَبله بقَبوله، وتحمَّل منه ما حُمِّله على رضَا العباد وسخطهم، والنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها، ولا يستطيع بها، إلا أهل القوة والعزم من الرسل، بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْن من الناسِ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

قال: فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه ﷺ: وآمنت به خديجة بنت خُوَيْلد، وصدَّقت بما جاءه من الله، ووازرَتْه على أمره، وكانت أولَ من آمن بالله وبرسوله، وصدَّق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبِّته وتخفف عليه، وتصدِّقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى.

تبشير خديجة ببيت من قصب: قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه عُروةَ بنِ الزبير، عن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « أُمرتُ أن أبشِّر خديجةَ ببيت من قَصَبٍ، لا صخبَ فيه ولا نصب »[1].

---

(١) حديث مرسل، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: « ما غرت على أحد ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله ﷺ بثلاث سنين، ولقد أُمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة ».

وفي حديث آخر أن عائشة قالت: « ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدَّهْر، قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب، وقال: والله ما أبدلني الله خيراً منها؛ آمنت بي حين كذبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس ورُزقت منها الولد، وحُرمتُه من غيرها ». =

= وأما قوله: بيت من قصب، فقد رواه الخطاب مفسراً، وقال فيه. قالت خديجة: يا رسول الله، هل في الجنة قصب؟ فقال: إنه قصب من لؤلؤ مجَبَّى. قال الخطابي: يجوز أن يكون معناه: مُجوَّباً من قولك: جبْت الثوب إذا خرقته، فيكون من المقلوب، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجَبّ وهو القطع أي: قُطع داخله، وقلبت الباء ياء، كما قالوا: تظنيت من الظن، وتقصيت أظفاري.

وتكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث، وقالوا: كيف لم يبشرها إلا ببيت، وأدنى أهل الجنة منزلة من يُعْطَى مسيرة ألف عام في الجنة، كما في حديث ابن عمر، خرجه الترمذي، وكيف لم يُنعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصخب وهو: رفع الصوت.

فأما أبو بكر الإسكاف، فقال في كتاب فوائد الأخبار له: معنى الحديث: أنه بُشرت ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها؛ ولذلك قال: لا صخب فيه ولا نصب، أي: لم تنصب فيه، ولم تصخب. أي: إنما أعْطِيَتْه زيادة على جميع العمل الذي نصبت فيه.

قال السهيلي: لا أدري ما هذا التأويل؛ ولا يقتضيه ظاهر الحديث، ولا يوجد شاهد يعضده.

وأما الخطابي، فقال: البيت هاهنا عبارة عن قصر، وقد يقال لمنزل الرجل: بيته، والذي قاله صحيح، يقال في القوم: هم أهل بيت شرف وبيت عز، وفي التنزيل ﴿ **غير بيت من المسلمين** ﴾.

ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله: ببيت، ولم يقل: بقصر معنى لائق بصورة الحال، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت، وأيضا فإنها أول من بنى بيتاً في الإسلام بتزويجها رسول الله ﷺ ورغبتها فيه، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل، وإن كان أشرف منه لما جاء: « من كسا مسلماً على عُرْيٍ كساه الله من حُلل الجنة، ومن سقي مسلماً على ظمأ سقاه الله على الرحيق ». فهاهنا وقعت المماثلة، من كونه قابل الكسوة، بالكُسوة، والسُّقْيا بالسُّقْيا، وقعت المماثلة، لا في ذات المَكْسُوِّ، وإذا ثبت هذا، فمن ههنا اقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بُشِّرت به بلفظ البيت، وإن كان فيه ما لا عين رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر. =

قال ابن هشام: القصب اللؤلؤ المجوف.

جبريل يُقرئ خديجة السلام من ربها: قال ابن هشام: وحدثني من أثق به، أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ؛ فقال: أقرئ خديجةَ السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجةُ، هذا جبريل يقرِئُك السلامَ من ربك، فقالت خديجة: اللهُ السلامُ، ومنه السلامُ، وعلى جبريلَ السلامُ[1].

= أما قوله: لا صخب فيه، ولا نصب، فإنه أيضاً من باب ما كُنا بسبيله، لأنه ــ عليه السلام ــ دعاها إلى الإيمان، فأجابته عفواً، لم تُحوِجْه إلى أن يصخب كما يصخب البعل إذا تعصبت عليه حليلته، ولا أن ينصب، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وَحشة، وهونت عليه كل مكروه، وأراحته بمالها من كل كد ونصب، فوصف منزلها الذي بُشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته.

وأما قوله: من قصب، ولم يقل: من لؤلؤ، وإن كان المعنى واحداً، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها ــ رضي الله عنها ــ كانت قد أحرزت قصب السبق إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنساء، والعرب تسمي السابق مُحْرِزاً للقصب.

(١) علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يرد عليه السلام، كما يرد على المخلوق؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها: « الله السلام »، فكيف أقول عليه السلام، والسلام منه يُسْئل، ومنه يَأْتي؟ ولكن على جبريل السلام، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد التحية على الله ثناءً عليه، كما عملوا في التشهد حين قالوا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقيل لهم: لا تقولوا هذا، ولكن قولوا: التحيات لله.

وقولها: ومنه السلام، إن كانت أرادت السلام التحية، فهو خبر يراد به التشكر، كما تقول: هذه النعمة من الله، وإن كانت أرادت بالسلام السلامة من السوء، فهو خبر يراد به المسألة، كما تقول: منه يُسْئَل الخير. وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة، وعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جار على نظام الحكمة، وكذلك سلم الثَّقَلان من جَوْر وظلم أن يأتيهم من قِبَله سبحانه في الكل مُدَبِّرٌ بفضل أو عدل، أما الكافر فلا يجري عليه إلا عدله، وأما المؤمن فيغمره فضله، فهو سبحانه من جميع أفعاله سلام.

فَتْرة الوحي ونزول سورة الضحى: قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترةً من ذلك، حتى شقَّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى، يُقسم له ربُّه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودَّعه وما قَلاَه، فقال تعالى: ﴿ **والضحَى وَاللَّيْلِ إذا سَجَى. ما ودَّعك ربُّك وما قلى** ﴾. يقول: ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبك. ﴿ **وللآخِرَةُ خيرٌ لك من الأولَى** ﴾. أي لمَا عندي من مرجعك إليَّ، خيرٌ لك مما عَجَّلْت لك من الكرامة في الدنيا. ﴿ **ولسوف يُعطيك ربُّك فترضَى** ﴾ من الفُلح في الدنيا، والثواب في الآخرة. ﴿ **ألم يجدْكَ يتيماً فآوى. ووجدك ضالا فهدَى. ووجدكَ عائلاً فأغنى** ﴾ يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره، ومَنِّه عليه في يتمه وعَيْلَته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كلِّه برحمته[1].

تفسير مفردات سورة الضحى: قال ابن هشام: سَجَى: سكن. قال أمية بن أبي الصلت الثقفي:

إذ اتى مَوْهِناً وقد نام صحبي وسجا الليلُ بالظلامِ البهيمِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال للعَيْن إذا سكن طرفُها: ساجية، وسجا طرفُها.

قال جرير:

ولقد رَمَيْنَك حين رُحْن بأعينٍ يَقْتُلْنَ مِن خَلَلِ الستور سَواجِي

---

(١) كانت فترة الوحي سنتين ونصفاً.

(٢) سجا: دام وسكن.

وهذا البيت في قصيدة له. والعائل: الفقير. قال أبو خِرَاش الهُذلي: إلى بيتِه يَأوَي الضَّريكُ إذا شَتا ومُسْتَنبحٌ بالِي الدَّرِيسيْنِ عائلُ[1]

وجمعه: عالة وعيل. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله: والعائل أيضا: الذي يعول العيال. والعائل أيضا: الخائف. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **ذلك أدنى ألاَّ تَعُولوا** ﴾. وقال أبو طالب:

بميزانِ قِسطٍ لا يُخِسُّ شَعيرةً له شاهدٌ من نفسِه غيرُ عائلِ

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها ــ أن شاء الله في موضعها. والعائل أيضا الشيء المُثْقِل الْمُعْيِي يقول الرجل: قد عالني هذا الأمر: أي أثقلني وأعـ ـي. قال الفرزدق:

ترى الغُرَّ الجَحَاجِحَ من قريشٍ إذا ما الأمرُ في الحَدَثانِ عَالاَ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ **فأما اليتيمَ فلا تقهرْ. وأما السائلَ فلا تنهرْ** ﴾: أي لا تكن جباراً ولا متكبراً، ولا فحَّاشا فَظًّا على الضعفاء من عباد الله. ﴿ **وأما بنعمةِ ربِّك فحدثْ** ﴾: أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته

---

(١) الضريك: الضعيف المضطر، والمستنبح: الذي يضل عن الطريق في ظلمة الليل، فينبح ليسمع نباح كلب فيعرف مكان العمران. والدريس: الثوب الخلق.

(٢) أنشد بعد البيت بيتاً آخر هو:

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

يعني: سعيد بن العاص بن أمية، ويقال: إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده، فقال له: قل: « قعودا ينظرون إلى سعيد، يا أبا فراس». فقال له الفرزدق: والله يا أبا عبد الملك: إلا قياما على الأقدام.

الغر: المشهورون والجحاجيح: السادة وحذف الياء لإقامة الوزن. والحدثان: حوادث الدهر.

من النبوة فحدثْ، أي اذكرْها وادْعُ إليها، فجعل رسول الله ﷺ يذكرُ ما أنعم اللهُ به عليه وعلى العبادِ به من النبوةِ سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله[1].

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ من الصلاة وأوقاتها

وافتُرضت الصلاةُ عليه فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

افتُرضت الصلاة ركعتين ثم زيدت: قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كَيْسَان عن عُرْوة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: افتُرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افتُرضت عليه ركعتين ركعتين، كل صلاة؛ ثم إن الله تعالى أتمها في الحضَر أربعاً وأقرها في السفر على فَرْضها الأول ركعتين[2].

---

(١) وذكر سبب نزول سورة الضحى، وأن ذلك لفترة الوحي عنه، وخرَّج البخاري من طريق جندب بن سفيان أن رسول الله ﷺ اشتكى، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فقالت له امرأة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، فأنزل الله تعالى سورة الضحى. وانظر فهارسي لأطراف أحاديث البخاري في كتابي مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(٢) ذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها، ويشهد لهذا القول قول سبحانه: ﴿ **وسبح بحمد ربِّك بالعَشيِّ والإبكار** ﴾ وقال يحيى بن سلام مثله، وقال: كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة =

جبريل يعلم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أهل العلم: أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله ﷺ، آتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين؛ فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ ينظر إليه، ليُرِيَه كيف الطَّهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل توضأ. ثم قام به جبريلُ فصلى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام.

الرسول ﷺ يُعلم خديجة الوضوء والصلاة: فجاء رسول الله ﷺ خديجة، فتوضأ لها ليرِيَها كيف الطَّهورُ للصلاة كما أراه جبريلُ، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته[1].

= بعام، فعلى هذا يحتمل قول عائشة: فزيد في صلاة الحضر، أي زيد فيها حين أكملت خمساً فتكون الزيادة في الركعات، وفي عدد الصلوات، ويكون قولها: « فُرضت الصلاة ركعتين » أي: قبل الإسراء. ويجوز أن يكون معنى قولها: فرضت الصلاة: أي ليلة الإسراء، حين فُرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك.

وقد ذكر البخاري من رواية مَعْمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ففرضت أربعاً » هكذا لفظ حديثه. انظر مفاتيح القاري ــ للمحقق.

(١) وهذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلا في الأحكام الشرعية، ولكنه قد روي مُسنداً إلى زيد بن حارثة ــ يرفعه ــ غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لَهِيعَة وقد ضُعِّف ولم يخرج عنه البخاري ومسلم؛ لأنه يقال: إن كتبه احترقت، فكان يحدث من حفظه، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول. وانظر تمام القول في هذا الموضوع ــ في الروض الأنف للسهيلي ــ من تحقيقنا جـ ١ ص ٢٨٤.

جبريل يعين للرسول ﷺ أوقات الصلاة: قال ابن إسحاق: حدثني عُتبةُ بن مُسْلم مولى بني تميم، عن نافع بن جُبَيْر بن مُطعِم، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال: لما افتُرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثلَه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمسُ، ثم صلى به العِشاءَ الآخرةَ حين ذهب الشَّفقُ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجرُ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظلُّه مثلَه، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمسُ لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفراً غيرَ مُشْرِقٍ، ثم قال: يا محمد، الصلاةُ فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس[1].

ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلى معه وصدَّق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب

---

(١) وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع؛ لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة، كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نُبِئَ بخمسة أعوام وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف، وقيل: بعام، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي، وأول أحوال الصلاة.

ابن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين[1].

نعمة الله على عليٍّ بنشأته في كَنَف الرسول: وكان مما أنعم الله به على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

سبب هذه النشأة: قال ابن إسحاق: وحدثني عبدُالله بن أبي نَجيح، عن مُجاهد بن جَبْر بن أبي الحَجَّاج، قال: كان من نعمةِ الله على عليٍّ بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثير؛ فقال رسول الله ﷺ للعباس عمِّه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة، فانطلقْ بنا إليه، فلنخففْ عنه من عياله: آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكلهما عنه؛ فقال العباسُ: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخففَ عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه؛ فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عَقيلاً فاصنعا ما شئتما ــ **قال ابن هشام:** ويقال: عقيلاً وطالباً.

فأخذ رسول الله ﷺ عليًّا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى

---

(١) سيأتي قول من قال: أول من أسلم أبو بكر، ولكن ذلك ــ والله أعلم ــ من الرجال؛ لأن عليا كان حين أسلم صبيّاً لم يدرك، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله، وصدق رسوله، وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، وكلهم أسلم إلا طالباً يقال إن الجن اختطفته، فذهب ولم يعلم بإسلامه، وأم علي: فاطمة بنت أسد بن هاشم، وقد أسلمت.

نبيًّا، فاتَّبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدقه؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

الرسول ﷺ وعليّ يخرجان إلى الصلاة في شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما: قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه عليُّ بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يُصليان، فقال لرسولِ الله ﷺ: يابـن أخي ! ما هذا الدينُ الذي أراك تَدين به؟ قال: أي عمّ! هذا دين الله ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم ــ أو كما قال ﷺ ــ بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عم، أحقُّ من بذلتُ له النصيحة، ودعوتُه إلى الهدَى، وأحقُّ من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال ؛ فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إني لا أستطيع أن أفارقَ دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخْلَصُ[1] إليك بشيء تكرهه ما بَقيتُ.

وذكروا أنه قال لعليٍّ: أي بني! ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسولِ الله، وصدقتُه بما جاء به وصليتُ معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير فألزمه.

---

(١) لا يخلص: لا يوصل.

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب ابن عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكلبي، مولى رسول الله ﷺ، وكان أولَ ذكر أسلم، وصلى بعد عليٍّ بن أبي طالب.

نسب زيد: قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شَرَاحيل بن كعب ابن عبد العُزَّى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيْد اللات بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كلب بن وَبْرة[1]. وكان حكيم بن حزام ابن خُوَيلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيد بن حارثة[2] وصيف. فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه، وذلك قبل أن يُوحَى إليه.

شعر حارثة أبي زيد عندما فقده: وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جَزَعاً شديداً، وبكى عليه حين فقده، فقال:

بكيتُ على زيدٍ ولمْ أدْرِ ما فعلْ ... أَحَيٌّ فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجلْ
فوالله ما أدري وإني لسائلٌ ... أغَالكَ بعدي السهلُ أم غالَك الجبلْ
ويا ليتَ شِعْري هل لك الدهرُ أوبةٌ ... فحسبي من الدنيا رجوعُك لي بَجَلْ[3]؟

---

(١) ابن شرحبيل: وقال ابن هشام: شراحيل، قال أصحاب النسب: كما قال ابن هشام، ورفع نسبه إلى كلب بن وبرة، ووبرة هو: ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة.

(٢) لأن أم زيد: سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيِّئ، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها، فأصابته خيل من بني القَيْن بن جِسْر، فباعوه بسوق حُباشة، وهو من أسواق العرب، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق.

(٣) بجل: حسم.

تُذَكِّرْنيه الشمسُ عندَ طلوعِها وتَعْرضُ ذكراه إذا غربُها أفلْ
وإن هَبَّت الأرواحُ هَيَّجْنَ ذكرَه فيا طولُ ما حزْني عليه وما وَجَلْ[1]
سأعمل نَصَّ العيسِ في الأرضِ جاهداً ولا أسأمُ التَّطْوَافَ أو تسأمُ الإبلْ[2]
حَياتيَ أو تأتي عليَّ مَنِيتي فكلُّ امرئ فانٍ وإن غرَّه الأملْ[3]

ثم قَدِم عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: إن شئتَ فأقمْ عندي، وإن شئتَ فانطلقْ مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عندَ رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه؛ فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ **ادعوهم لآبائِهم** ﴾. قال: أنا زيد بن حارثة.

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ــ وشأنه

نسبه: قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، واسمه عَتيق، واسم أبي قحافة عُثمان بن عَمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ابن مُرَّة بن لُؤَي بن غالب بن فِهر.

---

(١) الأرواح: جمع ريح.

(٢) النص: السير السريع.

(٣) زاد السهيلي بعد هذا البيت قوله:

سأوصي به قَيْساً وعَمراً كليهما وأوصي يزيداً ثم أوصي به جَبَل

يعني زيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه، ويعني بجبل: جبلة بن حارثة أخا زيد. ولما بلغ زيداً قول أبيه قال بحيث يسمعه الركبان:

أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا بأني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معدّ كابراً بعد كابر

انظر تمام الموضوع في الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٨٦ــ٢٨٧.

اسمه ولقبه: قال ابن هشام: واسم أبي بكر: عبدالله، وعتيق: لقبٌ لحُسنِ وجهه وعتقه[1].

إسلامه: قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله[2].

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام: وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسبَ قريش لقريش، وأعلمَ قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجراً، ذا خُلق ومعروف، وكان رجالُ قومِه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وَثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه[3].

---

(١) واسمه: عبد الله، وسمي عتيقا لعتاقة وجهه، والعتيق: الحسن كأنه أعتق من الذم والعيب ــ وقيل: سمي عتيقا؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت إن وُلد لها ولد أن تسميه: عبد الكعبة، وتتصدق به عليها، فلما عاش وشب، سمي: عتيقا، كأنه أُعتق من الموت، وكان يسمى أيضا: عبد الكعبة إلى أن أسلم، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الله، وقيل: سُمي: عتيقا؛ لأن رسول الله ﷺ قال له حين أسلم: أنت عتيق من النار، وقيل: كان لأبيه ثلاثة من الولد: مُعْتَق ومُعَيْتِقٌ وعَتِيقٌ، وهو: أبو بكر. وسئل ابن معين عن أم أبي بكر فقال: أم الخير عند اسمها، وهي أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة، واسمها: سَلْمى، وتكنى: أم الخير، وهي من المبايعات.

وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه: قَيْلةُ ــ بياء باثنتين منقوطة من أسفل ــ بنت أذاة بن رياح بن عبدالله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب. وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء: قتيلَة بنت عبد العُزَّى ــ بتاء منقوطة باثنتين من فوق ــ وقيل فيها: بنت عبد أسعد بن نصر بن حسل بن عامر وهو قول الزبير.

(٢) وذكر أن رسول الله ﷺ عرض عليه الإسلام، فما عكم عند ذلك، أي ما تردد.

(٣) وفي مدح حسان الذي قاله فيه، وسمعه النبي ﷺ، ولم ينكره دليل على أنه أول =

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

عثمان: قال: فأسلم بدعائه ـــ فيما بلغني ـــ عثمانُ بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب.

الزبير: والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

عبد الرحمن بن عوف: وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي[1].

سعد بن أبي وقاص: وسعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة بن مُرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي[2].

= من أسلم من الرجال، وفيه:

خيـر البريـة أتقاهـا، وأفضلهـا بعد النبي، وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهره وأول الناس قدماً صدَّق الرسلا

(١) أحد العشرة المبشرين بالجنة، يكنى: أبا محمد، أمه: الشفاء بنت عوف بن عبد ابن الحارث وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف. فأبوها: عوف عم عوف وأخو عبد عوف.

(٢) اسم أبي وقاص: مالك بن أُهَيْب، وأهيب: هو عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ والوقاص في اللغة، هو واحد الوقاقيص وهي شباك يصطاد بها الطير، وهو أيضاً فَعَّال من وقَصَ إذا انكسر عنقه، وأم سعد: حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، يكنى أبا إسحاق.

طلحة: وطلحة بن عُبَيْدالله بن عثمان بن عَمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصَلُّوا. وكان رسول الله ﷺ يقول، فيما بلغني: ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوَة[1]، ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قُحَافة، ما عَكم عنه حين ذكرتُه له، وما تردد فيه.

قال ابن هشام: قوله: « بدعائه » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: قوله: عَكَم: تلبَّث. قال رُؤْبة بن العَجَّاج:

وانصاعَ وثابَ بها وما عَكَمْ[2]

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناسَ بالإسلام فصَلُّوا وصدَّقُوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله.

إسلام أبي عبيدة: ثم أسلم أبو عُبَيْدة بن الجراح، واسمه عامر ابن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر[3].

إسلام أبي سلمة: وأبو سَلَمة، واسمه عبدالله بن عبد الأَسَد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي.

إسلام الأرقم: والأرقم بن أبي الأرقم. واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أَسَد ــ وكان أسد يُكْنَى أبا جُنْدُب ــ بن عبدالله بن

---

(١) الكبوة: التأخر وعدم الإجابة.

(٢) انصاع: ذهب.

(٣) وقد اختلف فيه، فقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: عامر بن عبد الله. وأمه: أميمة بنت غَنْم بن جابر بن عبد العُزَّى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر، قاله الزبير.

عُمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي.

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه: وعثمان بن مَظْعون بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي. وأخواه قُدامة وعبدالله ابنا مظعون بن حبيب.

إسلام عبيدة بن الحارث: وعُبَيْدة بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَي.

إسلام سعيد بن زيد وامرأته: وسعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّي بن عبدالله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدي ابن كعب بن لؤي؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن عبدالله بن قُرْط بن رِياح بن رَزَاح بن عَدي بن كعب ابن لُؤَي، أخت عمر بن الخطاب[1].

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرت: وأَسْماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة. وخَبَّاب بن الأَرَتِّ، حليف بني زُهْرة.

قال ابن هشام: خَبَّاب بن الأَرَتِّ من بني تميم، ويقال: هو من خزاعة.

---

(١) وأم سعيد: هي: فاطمة بنت بَعْجة بن خلف الخزاعية، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير، ومن الفتح في رَزاح بن عدي والكسر، وأن رزاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه، ويكنى سعيد: أبا الأعور، توفي بأرضه بالعقيق، ودفن بالمدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

إسلام عُمَير وابن مسعود وابن القاري: قال ابن إسحاق: وعُمَيْر بن أبي وقَّاص، أخو سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود ابن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صَاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هُذَيْل. ومسعود بن القَارِي، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيْع بن الهَوْن بن خزيمة من القَارَةِ.

قال ابن هشام: والقارة: لقب، ولهم يقال:

قد أنصف القارَةَ من راماها

وكانوا قوما رُماة[1].

إسلام سليط وأخيه، وعياش وامرأته وخنيس وعامر: قال ابن إسحاق: وسَلِيط بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر؛ وأخوه حاطب بن عَمرو وعَيَّاش بن ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر ابن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرة بن كعب بن لؤي؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مُخَرِّبة التميمية. وخُنَيْس بن حُذافة بن عدي بن سعد بن سهم بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي. وعامر بن ربيعة، من عَنْز بن وائل، حليف آل الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى.

---

(١) وسمي بنو الهون بن خُزيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب:

دعونا قارة لا تُذْعرونا فنجْفِلَ مثل إجفالِ الظَّليم

هكذا أنشده أبو عبيد في كتاب الأنساب، وأنشده قاسم في الدلائل:

دعونا قارة لا تذعرونا فَتَنْبُتكَ القرابة والذّمام

وكانوا رُمَاةَ الحدق ــ أي رماة أشداء ــ فمن راماهم فقد أنصفهم، والقارة: أرض كثيرة الحجارة، وجمعها قور، فكأن معنى المثل عندهم: أن القارة لا تَنْفدُ حجارتها إذ رُمي بها، فمن راماها فقد أنصفها.

قال ابن هشام: عَنْز بن وائل أخو بكر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

إسلام ابنيْ جحش، وجعفر وامرأته، وحاطب وإخوته ونسائهم، والسائب، والمطلب وامرأته: قال ابن إسحاق: وعبدالله ابن جحش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم ابن دُودَان بن أسد بن خُزَيمة. وأخوه أبو أحمد بن جحش، حليفا بني أمية بن عبد شمس. وجعفر بن أبي طالب؛ وامرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة، من خَثْعم. وحاطب ابن الحارث بن مَعْمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي، وامرأته فاطمة بنت المُجَلَّل ابن عبدالله بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهر وأخوه خطَّاب بن الحارث، وامرأته فُكَيْهة بنت يَسار. ومَعْمَر بن الحارث بن حبيب بن وهب ابن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي. والسائب ابن عثمان بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب. والمطَّلِب بن أزْهَر بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَي، وامرأته: رَمْلَة بنت أبي عوف بن ضُبَيْرة بن سَعيد ابن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي.

إسلام نعيم: والنَّحَّام، واسمه نُعَيْم بن عبدالله بن أسَد، أخو بني كعب بن لؤي.

نسب نعيم: قال ابن هشام: هو نُعَيم بن عبدالله بن أُسَيْد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي، وإنما سُمِّي النَّحَّام، لأن رسول الله ﷺ قال: لقد سمعت نَحْمَه في الجنة.

قال ابن هشام: نَحْمه: صوته أو حِسّه.

اسلام عامر بن فهيرة: قال ابن إسحاق: وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

نسبه: قال ابن هشام: عامر بن فُهَيْرة مُوَلَّد من مُوَلِّدي الأُسَيْد، أسْوَد اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم.

إسلام خالد بن سعيد ونسبه واسلام امرأته: قال ابن إسحاق: وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قُصي بن مُرَّة بن كعب بن لؤي. وامرأته أُمَيْنة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيْع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عَمرو، من خُزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَيْنة بنت خلف.

إسلام حاطب وأبي حُذَيفة: قال ابن إسحاق: وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر. وأبو حُذَيْفة، واسمه مُهْشِم — فيما قال ابن هشام — ابن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَي.

إسلام واقد وشيء من خبره: وواقد بن عبدالله بن عبد مناف ابن عَرِين بن ثَعْلبة بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم، حليف بني عدي بن كعب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلة، فباعوه من الخطاب بن نُفَيْل،

---

(١) فهيرة: أمه، وهي تصغير فهر، لأن الفهر مؤنثة، وكان عبداً أسود للطُّفَيْل بن الحارث ابن سَخْبرةَ اشتراه أبو بكر فأعتقه وأسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

فتبناه، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ **ادعوهمْ لآبائهم** ﴾ قال: أنا واقد بن عبدالله، فيما قال أبو عَمرو المدني.

إسلام بني البكير: قال ابن إسحاق: وخالد وعامر وعاقل وإياس بَنُو البُكَيْر بن عبد يَاليل بن ناشِب بن غِيَرَة بن سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي بن كعب.

إسلام عمار: بن ياسر، حليف بني مخزوم بن يقظة.

قال ابن هشام: عمار بن ياسر عَنْسِي من مَذْحِج.

إسلام صُهَيب: قال ابن اسحاق: صُهَيْب بن سِنَان، أحد النَّمِر ابن قَاسِط، حليف بني تَيْم بن مرة.

نسب صهيب: قال ابن هشام: النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفصَى بن دُعْمِيٍّ ابن جديلة بن أسد؛ ويقال: صُهَيب: مولى عبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

ويقال: إنه رومي. فقال بعضُ مَن ذكر أنه من النَّمِر بن قَاسط، إنما كان أسيراً في أرض الروم، فاشتُرِيَ منهم. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: « صُهَيب سابق الروم ».

مباداة رسول الله ﷺ قومَه، وما كان منهم

أمر الله له ﷺ بمباداة قومه: قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أَرْسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكرُ الإسلام بمكة، وتُحدِّث به. ثم إن الله عز وجل أمر رسولَه ﷺ أن يَصْدعَ بما جاءه منه،وأن يباديَ الناس بأمره، وأن يدعوَ إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين ــ فيما بلغني ــ من مبعثه؛ ثم قال الله تعالى له: ﴿ **فاصدعْ بما تُؤْمَر، وأعرضْ عن المشركين** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وأنذرْ عشيرتَك الأقربين. واخفضْ جناحَك لمن اتبعك من المؤمنين، وقل إني أنا النذير المبين** ﴾.

معنى ﴿ اصدع بما تؤمر ﴾: قال ابن هشام: اصدع: افْرُقْ بين الحقِّ والباطل. قال أبو ذُؤَيْب الهُذَلي، واسمه خُوَيْلد بن خالد، يصف أُتن[2] وحْش وفحلَها:

وكأنهنَّ رِبابَةٌ وكأنه ... يَسَرٌ يفيضُ على القِداحِ ويَصْدُعُ[3]

---

(١) المعنى: اصدع بالذي تؤمر به، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها، وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه « الذي »، وقولهم: (ما) مع الفعل بتأويل المصدر، راجع إلى المعنى الذي إذا تأملته، وذلك أن (الذي) تصلح في كل موضع تصلح فيه (ما) التي يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر:

عسى الأيام أن يرجعن يوماً كالذي كانوا

انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٦.

(٢) الأتن: مفردها أتان وهي أنثى الحمر.

(٣) الربابة: جلدة تلف فيها قداح الميسر، واليسر الذي يدخل في الميسر. والقداح مفردها قدح وهو السهم.

أي يُفَرِّق على القداح ويبين أنصباءَها. وهذا البيت في قصيدة له، وقال رُؤْبَة بن العَجَّاج:

أنتَ الحليمُ والأميرُ المنتقـمْ تَصدَعُ بالحقِّ وتَنْفِي مَنْ ظَلَمْ

وهذان البيتان في أرجوزة له.

خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة في الشِّعْب: قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا، ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبيْنَا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعْب من شِعاب مكة، إذْ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْي بعير[1] فشجَّه، فكان أول دم هُرِيقَ في الإسلام.

عداوة قومه ومساندة أبي طالب له: قال ابن إسحاق: فلما بادَى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصدَع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردُّوا عليه ــ فيما بلغني ــ حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافَه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستَخْفُون، وحَدِب[2] على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالب، ومنعه وقام دونَه،

---

(١) لحي البعير : العظم الذي على فخذه.

(٢) أصل الحدب: انحناء في الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره، ورق له كما قال النابغة:

حدبت على بطون ضبة كلها إن ظالماً فيهم، وإن مظلوما

ومثل ذلك الصلاة، أصلها: انحناء وانعطاف من الصلوين وهما: عرقان في الظهر إلى الفخذين، ثم قالوا: صلى عليه، أي: انحني عليه، ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة، =

ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهراً لأمرِه، لا يرده عنه شيء. فلما رأت قريش، أن رسول الله ﷺ لا يُعْتِبهم[1] من شيء أنكروه عليه، من فراقهم وعَيْب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه، وقام دونَه، فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، عُتبة وشَيْبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام:واسم أبي سفيان صَخْر.

قال ابن إسحاق: وأبو البَخْتري، اسمه العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

قال ابن هشام: أبو البَخْتري: العاص بن هاشم[2].

قال ابن إسحاق: والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزي ابن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وأبو جهل — واسمه عَمْرو، وكان يكنى أبا الحكم — بن هشام بن المغيرة بن

= إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك: صلى الله على محمد، هو أرق وأبلغ من قولك: رحم الله محمدا في الحنو والعطف. والصلاة أصلها في المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر:

فما زلت في لِيني لـه وتعطفي عليه، كما تحنو على الولد الأُمُّ.

(١) لا يعتبهم: لا يرضيهم.

(٢) والذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبي، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير ابن أبي بكر وقول مصعب، وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: سفيان بن العاص. عن الروض الأُنف.

عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لؤي. والوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرة ابن كعب بن لؤي. ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي. والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي.

وفد قريش يعاتب أبا طالب: قال ابن إسحاق: أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامَنا، وضلَّل آباءَنا؛ فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تُخَلِّيَ بيننَا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنَكْفِيكه. فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الرسول ﷺ يستمر في دعوته: ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظهر دينَ الله، ويدعو إليه، ثم شرى[1] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا[2]، وأكثرت قريش ذِكرَ رسول الله ﷺ بينَها، فتذامروا فيه، وحضَّ بعضُهم بعضاً عليه[3].

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرةً ثانيةً: ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرةً أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سِنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنا، وإنا والله لا نصبرُ على هذا من شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى

---

(١) شرى: اشتد.

(٢) تضاغنوا: تعادوا.

(٣) تذامروا: حض بعضهم بعضا، والعطف للتفسير.

تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهَلَك أحد الفريقين ـــ أو كما قالوا له ـــ ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خِذلانه.

ما دار بين الرسول ﷺ وأبي طالب: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخْنَس أنه حُدِّث: أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابن أخي، إن قومَك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا، الذي كانوا قالوا له، فابق عليَّ وعلى نفسك، ولا تُحمّلْني من الأمر ما لا أطيق؛ قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاءٌ[1] أنه خاذله ومُسْلِمُه، وأنه قد ضَعُف عن نُصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري[2] على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته. قال: ثم استعبر رسولُ الله ﷺ، فبكى ثم قام؛ فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبلْ يابن أخي؛ قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهبْ يابن أخي، فقلْ ما أحببتَ، فوالله لا أُسْلمك لشيء أبداً.

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلانَ رسول

---

(١) أي ظهر له رأي، فسمي الرأي بداء، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي، والمصدر البدء والبدو، والاسم البداء، لا يقال في المصدر، بدا له بدو، كما لا يقال له ظهر ظهور بالرفع، لأن الذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم، نحو البداء وأنشد أبو علي القالي:

لعلك والموعود حق وفاؤه بدا لك في تلك القلوص بداء

(٢) خص الشمس باليمن لأنها الآية المبصرة، وخص القمر بالشمال، لأنها الآية المموَّة.

الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مَشَوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له ــ فيما بلغني ــ يا أبا طالب، هذا عُمارةُ بن الوليد، أَنْهدُ[1] فتى في قريش وأجملُه، فخذه فلك عَقْلُه ونَصْرُه. واتخذْه ولداً فهو لك وأسلمْ إلينا ابن أخيك هذا، الذي قد خالف دينَك ودينَ آبائك، وفرق جماعة قومك وسفَّه أحلامَهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل؛ فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذُوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبداً. قال: فقال المُطْعِم بن عدي بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؛ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعتَ خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال. قال: فحقب الأمر[2]، وحميت الحربُ، وتنابذ القوم، وبادَى بعضُهم بعضا.

شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرض بالمطْعِم بن عَدِيّ، ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

ألا قل لعمرٍو والوليدِ ومُطْعِم ألا ليت حَظِّي من حياطتِكم بكرُ[3]

---

(١) أنهد: أشد.

(٢) حقب الأمر، أي: اشتد، وهو من قولك: حقب البعير إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحقب على ذلك الموضع، فيقال منه: حقب البعير، ثم يستعمل في الأمر إذا عسر.

(٣) يريد أن يقول إن بكرا من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلا من حياطتكم ذلك، كما قال طرفة في عمرو بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تخور

من الخُور حَبْحَاب كثيرٌ رُغاؤُه ... يُرَشُّ على الساقَيْن من بولِه قَطْرُ[1]
تَخلَّف خلفَ الوِرْدِ ليس بلاحق ... إذا ما علا الفَيْفاء قيل له وَبْرُ[2]
أرى أخويْنَا من أبينا وأمِّنا ... إذا سُئلا قالا إلى غيرِنا الأمرُ
بلَى لهما أمرٌ ولكن تَجَرْجَمَا ... كما جُرْجِمَتْ من رأسِ ذي عَلَقٍ صخرُ[3]
أُخُصُّ خصوصاً عبدَ شمس ونَوْفلاً ... هما نبذانا مثلَ ما يُنبَذُ الجمرُ
هما أغمزَا القومَ في أَخَوَيْهما ... فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفْرُ[4]
هما أشركا في المجدِ من لا أبا له ... من الناسِ إلا أن يُرَسَّ لـه ذِكْـرُ[5]
وتَيْم ومخزوم وزُهـرة منهـمُ ... وكانوا لنا مَوْلًى إذا بُغِيَ النصرُ
فواللهِ لا تنفكُّ منـا عَـداوةٌ ... ولا منهمُ ما كان من نَسْلِنا شَفْرُ[6]
فقد سَفُهَتْ أحلامُهم وعقولُهم ... وكانوا كجَفْرٍ بئسَ ما صنعتْ جَفْرُ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قريش تُظهر عداوتها للمسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تذامروا بينَهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين

---

(١) الخور: الضعاف، والحبحاب بالحاء: الصغير. وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: جبجاب بالجيم، وفسره فقال: هو الكثير الهدر ــ عن الروض الأنف.

(٢) أي يشبه بالوبر لصغره، ويحتمل أن يكون أراد، أن يصغر في العين لعلو المكان وبعده، والفيفاء فعلاء، ولولا قولهم: الفيف، لكان حمله على باب القصاص والجرجاء أولى، ولكن سمع الفيف، فعلم أن الألفين زائدتان وأنه من باب قلق وسلس الذي ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه.

(٣) تجرجم: انحدر، وذو علق: جبل في ديار بني أسد، وترك صرف علق إما لأنه جعله اسم بقعة، وإما لأنه اسم علم، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر، وإن لم يكن مؤنثا ولا أعجمياً.

(٤) أغمز: استضعف. والصفر: الخالي.

(٥) يرس: يذكر.

(٦) شفر: أحد.

أسلموا معه، فوثبت كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع اللهُ رسولَه ﷺ منهم بعمِّه أبي طالب، وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه، من مَنْع رسول الله ﷺ، والقيام دونَه؛ فاجتمعوا إليه، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب، عدو الله الملعون.

شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته: فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه في جهدهم معه، وحَدَبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضلَ رسول الله ﷺ فيهم، ومكانَه منهم، ليشد لهم رأيهم، وليَحْدَبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفخر ... فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها[1]

وإن حُصِّلت أشرافُ عبد منافها ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها

وإن فخَرَتْ يوماً فإن محمداً ... هو المصطَفى من سرِّها وكريمها

تداعتْ قريشٌ غَثُّها وسمينُها ... علينا فلم تَظْفَرْ وطاشتْ حلومُها

وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظلامةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخدودِ نقيمُها[2]

ونحمي حِماها كلَّ يومٍ كريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها من يرومُها[3]

بنا انتعش العُود الذَّوَاء وإنما ... بأكنافِنا تندَى وتَنْمى أرُومُها[4]

---

(١) سرها: أي: وسطها، وسر الوادي وسرارته: وسطه وذلك مدح في موضعين في وصف الشهود، وفي النسب.

(٢) ثنوا: عطفوا. وصعَّر خده: أماله إلى جهة مثل فعل المتكبر.

(٣) ونضرب عن أحجارها من يرومها: أي ندفع عن حصونها ومعاقلها، ووردت الرواية أحجارها بتقديم الجيم فهو جمع حجر والحجر هنا مستعار، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها.

(٤) الذواء: الذي جفت رطوبته. الأروم: مفرده أرمة وهي الأصل.

الوليد بن المغيرة: كيده للرسول، وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشرَ قُرَيْش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدَمُ عليكم فيه، وقد سمعوا بأمرِ صاحبِكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذِّب بعضُكم بعضاً، ويردّ قولُكم بعضَه بعضاً؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بَزَمْزَمة[1] الكاهن ولا سَجْعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخَنْقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته؛ قالوا: فنقول: شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجَزَه، وهَزَجه[2] وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّار وسحرَهم، فما هو بنَفْثِهم ولا عَقْدِهم[3] قالوا؛ فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوةً وإن أصلَه لعَذْقٍ، وإن فرعه لجَناة ــ **قال ابن هشام:**

---

(١) الزمزمة: صوت ضعيف كنحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء، ويقال أيضاً: زمزم الرعد، وهو صوت له قبل الهدر، وكذلك الكهان، كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها، وأما زمزمة الفرس، فكانت من أنوفهم.

(٢) الهزج: من أعاريض الشعر معروف عن العروضيين، ولا أعرف له اشتقاقاً إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب: هزج، أي مترنم، وإما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة، وهو شيء يعدل به الحمل، وكذلك الرجز في الشعر أشطار معدلة، ويجوز أن يكون من رجزت الناقة إذا أصابتها رعدة عند قيامها.

(٣) العقد والنفث: هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه.

ويقال لغَدْق[1] ــ وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرِّق به بين المرءِ وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدموا الموسم، ولا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة في ذلك من قوله: ﴿ **ذرني ومن خَلقتُ وحيداً. وجعلتُ له مالا ممدوداً، وبنين شهوداً، ومهدت له تمهيداً، ثم يطمع أن أزيد، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً** ﴾[2] أي خصيما.

---

(١) قول الوليد: إن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة. استعار من النخلة التي ثبت أصلها، وقوي وطاب فرعها إذا جني، والنخلة هي: العَذق بفتح العين، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله، ورواية ابن هشام: إن أصله لغدق، وهو الماء الكثير، ومنه يقال: غيدق الرجل إذا كثر بصاقه. وأحد أعمام النبي ﷺ كان يسمى: الغيداق لكثرة عطائه ــ والغيدق أيضا ولد الضب، وهو أكبر من الحسل، قاله قطرب في كتاب الأفعال والأسماء له.

(٢) ذكر ابن إسحاق قول الله تعالى: ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً** ﴾ الآيات التي نزلت في الوليد، وفيها له تهديد ووعيد شديد، لأن معنى: ﴿ **ذرني ومن خلقت** ﴾ أي دعني وإياه، فسترى ما أصنع به، كما قال: ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** ﴾ وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه، وكره أن يشفع لمن اغتاظ عليه، فمعنى الكلام: أي: لا شفاعة تنفع لهذا الكافر، ولا استعطار يا محمد منك، ولا من غيرك وقوله: ﴿ **وبنين شهوداً** ﴾ أي: مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه، لأن ماله كان ممدوداً، والمال الممدود عندهم: اثنا عشر ألف دينار، فصاعداً ﴿ **ومهدت له تمهيداً** ﴾ أي: هيأت له، وقدمت له مقدمات استدراجاً له، وقوله تعالى: ﴿ **سأرهقه صعوداً** ﴾ هي عقبة في جهنم، يقال لها: الصعود مسيرها سبعين سنة، يُكلف الكافر أن يصعدها، فإذا صعدها بعد عذاب طويل صُب من أعلاها، ولا يتنفس، ثم لا يزال كذلك أبداً، كذلك جاء في بعض التفاسير.

قال ابن هشام: عنيد: معاند مخالف. قال رؤبة بن العجاج:

ونحن ضرَّابون رأسَ العُنَّد

وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿ **سأرهِقُه صَعُوداً، إنه فكَّر وقدَّر، فقُتِل كيف قدَّر. ثم قُتل كيف قدَّر. ثم نظر، ثم عبس وبسر** ﴾.

قال ابن هشام: بسر: كرَّه وجهه. قال العَجَّاج:

مُضبَّر اللَّحْيين بَسْراً مِنْهَسا[1]

يصف كراهية وجهه. وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿ **ثم أدبرَ واستكبر، فقال إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤْثَر، إن هذا إلا قولُ البشر** ﴾.

رد القرآن على صحب الوليد: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في رسوله ﷺ وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنِّفون القول في رسول الله ﷺ، وفيما جاء به من الله تعالى: ﴿ **كما أنزلنا على المُقتَسِمين. الذين جعلوا القرآنَ عِضِين. فوربِّك لنسئلنهمْ أجمعين، عما كانوا يعملون** ﴾.

قال ابن هشام: واحدة العِضين: عِضَة، يقول: عَضَّوْه: فرقوه. قال رُؤْبة بن العُجاج:

وليس دينُ الله بالمعضَّى

وهذا البيت في أرجوزة له.

---

(١) المضبر: الشديد. واللحيان عظمان في الوجه. والنهس: أخذ اللحم بمقدم الأسنان.

قال ابن إسحاق: فجعل أوئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس، وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ؛ فانتشر ذكرُه في بلادِ العربِ كلِّها.

شعر أبي طالب في معاداة خصومه: فلما خشي أبو طالب دَهْماءَ العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشرافَ قومه، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم في ذلك من شعره أنه غير مُسْلِم رسولَ الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونَه، فقال:

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذَى ... وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المزايلِ
وقد حالفوا قوماً علينا أَظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظاً خلفَنا بالأناملِ
صبرتُ لهم نفسي بسمراء سَمْحة ... وأبيضَ عَضْب من تُراث المقاولِ[1]
وأحصرتُ عندَ البيت رَهْطي وإخوتي ... وأمسكتُ من أثوابِه بالوصائلِ[2]
قياماً معاً مستقبلين رِتاجَه ... لدى حيثُ يَقْضي حلفه كلُّ نافلِ[3]
وحيثُ يُنيخ الأشعرون ركابَهم ... بمُفْضِيٍّ السيولِ من إسافَ ونائلِ

---

(١) تراث أصله: وراث من ورثت، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة، وعلتها كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة، فالتراث مال قد تُوورث، وتوارثه قوم عن قوم، فالتاء مستعملة في التوريث والتوارث.

وأراد بالمقاول: آباءه، شبههم بالملوك، ولم يكونوا ملوكاً، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل: هل كان في آبائه من ملك؟ فقال: لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكره أبو طالب من هبات الملوك لأبيه، فقد وهب ابن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش، يهنئونه بظفره بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بعامين.

(٢) الوصائل: ثياب مخططة حمراء، كان يكسى بها البيت الحرام.

(٣) النافل: المتبرى.

مُوَسَّمة الأعضادِ أو قَصَراتها ... مُخَيَّسة بينَ السَّديس وبازلِ[1]

ترى الوَدْع فيها والرخامَ وزينةً ... بأعناقِها معقودةً كالعثاكلِ[2]

أعوذ بربِّ الناسِ من كلِّ طاعن ... علينا بسوءٍ أو مُلِحٍّ بباطلِ

ومن كاشحٍ يسعَى لنا بمعيبةٍ ... ومن مُلْحِقٍ في الدين ما لم نُحاولِ

وثَوْرٍ ومن أرسَى ثَبيراً مكانَه ... وراقٍ ليرقى في حِراءَ ونازلِ[3]

وبالبيتِ، حقّ البيتِ، من بطنِ مكة ... وباللهِ إن اللهَ ليس بغافلِ

وبالحجرِ المسْوَدّ إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضُّحَى والأصائلِ[4]

وموطئِ إبراهيمَ في الصخرِ رَطْبة ... على قدميْه حافياً غير ناعلِ[5]

---

(١) موسمة الأعضاد أو قصراتها: يعني معلمة بسِمَةٍ في أعضادها، ويقال للوسم الذي في الأعضاد: السطاع والرقمة، والذي في الفخذ: الخياط، وفي الكشح: الكشاح ولما في قصرة العنق: العلا، والعلطتان، والشعب أيضا في العنق، وهو كالمحجن، وفي العنق وسم آخر أيضاً يقال له: قيد الفرس. والقصرات جمع قصرة، وهي أصل العنق، وخفضها بالعطف على الأعضاد، ولا يجوز أن تكون موضع نصب. والمخيسة: المذللة. والسديس: الذي دخل في السنة السادسة. والبازل: الذي دخل في التاسعة فخرج نابه.

(٢) الودع: بالسكون والفتح: خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال:

* والحلم حلم صبي يمرس الودعة *

ويقال: إن هذه الخرزات يقذفها البحر، وأنها حيوان في جوف البحر، فإذا قذفها ماتت، ولها بريق ولون حسن، وتصلب صلابة الحجر، فتثقب، ويتخذ منها القلائد، واسمها مشتق من ودعته أي: تركته، لأن البحر ينصب عنها ويدعها. والودْع بالسكون هو المصدر.

والرخام أي: ما قطع من الرخام، فنظم وهو حجر أبيض ناصع: والعثاكل: أراد العثاكيل، فحذف الياء للضرورة الشعرية. إقامة للوزن.

(٣) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.

(٤) الحجر المسود، فيه زحاف يسمى: الكف، وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود. الأصائل: جمع أصيلة والأصل جمع أصيل، وذلك أن فعائل جمع فعيلة، انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٤، ٢٥ ــ من تحقيقنا.

(٥) موطئ إبراهيم في الصخر رطبة. يعني موضع قدميه حين غسلت كنته « زوج ابنه » =

وأشْواط بينَ المروَتَيْن إلى الصَّفَا ... وما فيهما من صُورةٍ وتَماثلِ[1]
ومن حجَّ بيتَ اللهِ من كلِّ راكبٍ ... ومن كلِّ ذي نَذْرٍ ومن كل راجل
وبالمشْعَرِ الأقْصَى إذا عَمدوا له ... إلالٌ إلى مُفْضَى الشِّراجِ القوابلِ[2]
وتَوْقافِهم فوقَ الجبالِ عَشِيَّةً ... يُقيمون بالأيدي صدورَ الرواحلِ
وليلةِ جَمْعٍ والمنازلِ من مِنًى ... وهل فوقها من حُرْمة ومنازلِ[3]
وجَمْعٍ إذا ما المُقْرَبات أجَزْنَه ... سِراعاً كما يخرجنَ من وقعِ وابلِ[4]
وبالجمرةِ الكبرى إذا صَمدوا لها ... يَؤُمُّون قذفاً رأسَها بالجَنادلِ
وكِندةَ إذ هُم بالحِصاب عشية ... تُجيز بهم حُجاجُ بكرِ بنِ وائلِ[5]
حليفان شدَّا عَقْدَ ما احتلفا له ... وردًّا عليه عاطفاتِ الوسائلِ
وحَطْمِهم سُمرَ الرماحِ وسرحه ... وشِبْرِقَه وَخْدَ النعامِ الجوافلِ[6]

= رأسه، وهو راكب، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها في أن يطالع تركته بمكة، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابة، ولا يزيد على السلام، واستطلاع الحال غَيْرة من سارة عليه من هاجر، فحين اعتمد على الصخرة أبقي الله فيها أثر قدميه آية. قال الله سبحانه: ﴿ **فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ﴾.

(١) الأشواط: جمع شوط، الجري من البداية إلى الغاية مرة واحدة، والمرتين الصفا والمروة فهو من باب التغليب كالأبوين للأب والأم.والتماثل: التماثيل أسقط ياءها ضرورة.

(٢) المشعر: عرفة. الإل: جبل بعرفات. والشراج: جمع شرج وهو مسيل الماء. والقوابل: المقابلة.

(٣) جمع: المزدلفة.

(٤) المقربات: الخيل الكريمة التي تقرب مرابطها من البيوت. الوابل: المطر الشديد.

(٥) الحصاب: مكان رمي الجمار.

(٦) الحطْم: الكسر. والسمر: يقال فيه: سمر وسمر بضم الميم وسكونها ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين. وكذا وقع في الأصل بضم السين، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح. كما قال: حسن ذا أدبا. وجائز أن يراد بالسمر ههنا جمع أسمر وسمراء ويكون وصفا للنبات ــ وانظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري. وشبرقة: وهو نبات يقال ليابسه: الحل، والرطبة: الشبرق.

فهل بعد هذا من مَعَاذٍ لعائذٍ ... وهل من مُعيذٍ يتقي اللهَ عاذل

يُطاع بنا أمرُ العدوِّ ودَّ أننا ... تُسدُّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابلِ[1]

كذبتمْ وبيتِ الله نترك مكة ... ونَظْعنُ إلا أمرُكم في بلابلِ[2]

كذبتم وبيتِ الله نُبْزي محمداً ... ولمَّا نطاعنْ دونَه ونناضلِ[3]

ونسلمه حتى نُصَرَّع حولَه ... ونُذْهَل عن أبنائِنا والحلائلِ

وينهض قومٌ في الحديد إليكمُ ... نهوضَ الرَّوايا تحتَ ذات الصلاصل[4]

وحتى ترى ذا الضَّغْنِ يركب رَدْعَه ... من الطَّعنِ فعلَ الأنْكَبِ المتحَامِلِ[5]

وإما لعَمْرُ الله إن جَدَّ ما أرى ... لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثلِ

بكَفَّيْ فتى مثل الشهاب سَمَيْدع ... أخي ثقةٍ حامي الحقيقةِ باسل[6]

شهوراً وأياماً وحولاً مُجَرَّماً ... علينا وتأتي حِجَّةٌ بعدَ قابل[7]

وما تركُ قومٍ، لا أبا لك، سيداً ... يحوط الذِّمارَ غير ذَرْب مُوَاكِل[8]

وأبيضُ يُستسقَى الغمامُ بوجهه ... ثمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأرامل[9]

يلوذُ به الهُلاَّف من آلِ هاشم ... فهم عندَه في رَحْمةٍ وفواضلِ

---

(١) ترك وكابل: جيلان من الناس.

(٢) البلابل: وساوس الهموم.

(٣) نبزي: نسلب ونغلب، ونبزي محمداً أي نسلبه ونغلب عليه.

(٤) نهوض الروايا. هي الإبل تحمل الماء واحدتها: راوية، والأسقية أيضا يقال لها: روايا، وأصل هذا الجمع: رواوي ثم يصير في القياس: روائي مثل حوائل جمع: حول، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها، والصلاصل: المزادات يسمع لها صلصة بالماء.

(٥) الضغن: العداوة، ويركب ردعه: يخر على وجهه صريعا. والأنكب: المائل.

(٦) السميدع: السيد من الرجال.

(٧) المجرَّم: الكامل.

(٨) الذمار: الحمى. الذرب: هو مخفف من ذرب والذرب، اللسان الفاحش المنطق، والمواكل الذي لا جد عنده فهو يكل أموره إلى غيره.

(٩) ثمال اليتامى، أي: يشملهم، ويقوم بهم، يقال: هو ثمال مال أي يقوم به.

لَعَمْري لقد أجرى أُسَيد وبَكْرُه ... إلى بُغضِنا وجزَّآنا لآكلِ
وعثمانُ لم يَرْبع علينا وقُنفُذٌ ... ولكن أطاعَا أمرَ تلك القبائلِ[1]
أطاعا أُبَيًّا وابنَ عبدٍ يغوثِهم ... ولم يَرْقُبا فينا مَقالةَ قائلِ
كما قد لَقِينا من سُبَيْعٍ ونَوْفلٍ ... وكُلٌّ تولَّى مُعْرِضاً لم يجامل
فإن يُلْقيا أو يُمكن اللهُ منهما ... نَكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المُكايل
وذاك أبو عمرٍو أبَى غيرَ بُغْضِنا ... ليظْغنا في أهلِ شاءٍ وجاملِ[2]
يناجي بنا في كلِّ مَمْسَى ومُصْبَح ... فناجِ أبا عمرٍو بنا ثم خاتِلِ
ويُؤْلي لنا باللهِ ما إن يَغُشُّنا ... بَلى قد نراه جهرةً غيرَ حائلِ[3]
أضاق عليه بغضُنا كلَّ تَلْعَةٍ ... من الأرضِ بين أخْشُبٍ فمجادِلِ[4]
وسائلْ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتَنا ... بِسَعْيك فينا مُعْرِضاً كالمخاتِلِ
وكنتَ امرأً ممن يُعاش برأيه ... ورحمتِه فينا ولسْتَ بجاهلِ
فعتبةُ لا تسمعْ بنا قولَ كاشحٍ ... حسودٍ كذوبٍ مُبْغِضٍ ذي دَغَاوِلِ[5]
ومَرَّ أبو سفيان عني مُعْرِضاً ... كما مَرَّ قَيْلٌ من عِظامِ المَقاوِلِ

---

(١) لم يربع: لم يقم.

(٢) ليظعننا في أهل شاء وجامل. الشاء والشوي: اسم للجمع مثل الباقر والبقير، ولا واحد لشاء والشوي من لفظه، وإذا قالوا في الواحد: شاة، فليس من هذا، لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير: شويهة، وفي الجمع شياه، والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر.

(٣) يؤلي: يقسم.

(٤) التلعة: ما شرف من الأرض. والأخشب: أراد الأخاشب وهي جبال مكة وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبل، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك، والمجادل: القصور والحصون في رؤوس الجبال. كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام والعراق، والفاء في مجادل تعطي الاتصال بخلاف الواو كقوله * بين الدَّخول فحومل *. وتقول: مطرنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا الى هذه، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى.

(٥) الدغاول: الغوائل.

يَفِـر إلـى نَجْـدٍ وبَـرْدِ مياهِـه ... ويزعُـم أنّنـي لستُ عنكـم بغافـلِ
ويخبرُنـا فِعْـلَ المُناصِـح أنّـه ... شفيقٌ ويُخفي عارماتِ الدواخـلِ[1]
أمِطْعمُ لم أخْذُلْك فـي يـومِ نجـدةٍ ... ولا مُعْظِـم عنـدَ الأمـورِ الجلائـلِ
ولا يـومَ خَصْـمٍ إذا أتـوك أَلِـدَّةً ... أُولِي جَدَلٍ من الخصـومِ المَساجـل[2]
أمُطْعِـمُ إن القـومَ سامـوك خُطَّـةً ... وإني متـى أوكَـلْ فلستُ بوائـلِ[3]
جزى اللهُ عنا عبـدَ شـمسٍ ونَوْفَـلاً ... عقوبـةَ شَـرٍّ عاجـلاً غيـرَ آجـلِ
بميـزانِ قِسْـطٍ لا يُـخَسُّ شعيـرةً ... لـه شاهـدٌ مـن نفسِـه غيـرَ عائـلِ[4]
لقـد سَفُـهتْ أحـلامُ قـومٍ تبدَّلـوا ... بنـي خلـفٍ قَيْضـاً بنـا والغَياطـلِ[5]
ونحنُ الصميـمُ مـن ذؤابـةِ هاشـمٍ ... وآل قُصَـيٍّ فـي الخُطـوبِ الأوائـلِ
وسهـمٌ ومخـزومٌ تمالـوا وألَّبُـوا ... علينا العِدَا من كلِّ طِمْلٍ وخاملِ[6]

---

(١) العارمات: الشديدات. والدواخل: التمائم.

(٢) أُولي جدل من الخصوم المساجل: يروى بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول، وأصله في استقاء الماء بالسجل، فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل، أو جمع مسجل بكسر الميم، وهو من نعت الخصوم، ومن رواه المساحل بالحاء، فهو جمع مسحل وهو اللسان، وليس بصفة للخصوم، وإنما هو مخفوض بالإضافة، أي، خصماء الألسنة.

(٣) سامه خطة: كلفه بها. والوائل: الناجي.

(٤) العائل: الحائر. يخس شعيرة، أي: ينقص، والخسيس: الناقص من كل شيء، ويروى في غير السيرة: يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر: إذا أذهبه.

(٥) القيض: العوض، والغياطل: بنو سهم، لأن أمهم الغيطلة، وقد نسبها، وقيل: إن بني سهم سموا بالغياطل، لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعاً، ثم خرج من المسجد فقتله، فأظلمت مكة، حتى فزعوا من شدة الظلمة التي أصابتهم. والغيطلة: الظلمة الشديدة، والغيطلة أيضاً: الشجر الملتف، والغيطلة: اختلاط الأصوات، والغيطلة: البقرة الوحشية، والغيطلة: غلبة النعاس.

(٦) الطمل: اللص، كذا وجدته في كتاب أبي بحر، وفي العين. الطمل: الرجل الفاحش، والطمل والطملال: الفقير، والطمل: الذئب (عن الروض الأنف).

فعبدُ مناف أنتم خيرُ قومِكم ... فلا تُشركوا في أمرِكم كلَّ واغِلِ[1]

لعَمْري لقد وهنتمُ وعَجَزْتم ... وجئتمْ بأمرٍ مُخْطئٍ للمفاصلِ[2]

وكنتم حديثاً حَطْبَ قدرٍ وأنتم الـ ... ـآن حِطابُ أقدُرٍ ومَراجل

ليَهْنِئْ بني عبد مناف عقوقُنا ... وخذلانُنا وتركُنا في المعَاقلِ

فإن نك قوما نَثَّئِر ما صنعتمُ ... وتَحتلبوها لِقْحَةً غيرَ باهلِ[3]

وسائط كانت في لُؤيِّ بن غالبٍ ... نفاهم إلينا كلُّ صقرٍ حُلاحِل[4]

ورهط نُفَيل شَرُّ مَنْ وطئَ الحصَى ... وألأم حافٍ مِنْ مَعَدٍّ ونَاعل

فأبلغْ قُصَيًّا أن سيُنشر أمرُنا ... وبَشِّر قصيّاً بعدَنا بالتخاذل

ولو طرَقت ليلاً قُصيا عظيمةٌ ... إذا ما لجأنا دونَهم في المَداخلِ

ولو صَدقوا ضَرْبا خلالَ بيوتِهم ... لكنَّا أُسًى عندَ النساءِ المَطافِلِ[5]

فكلُّ صديقٍ وابنِ أختٍ نعدُّه ... لَعَمْري وَجَدْنا غِبَّه غيرَ طائلِ

سوى أنَّ رهطاً من كلابِ بنِ مُرةٍ ... بَراءٌ إلينا من معقَّةِ خاذلِ[6]

---

(١) الواغل: الهاجم على القوم في شرابهم ولم يُدْع.

(٢) مخطئ للمفاصل: بعيد عن الصواب.

(٣) نثئر: نأخذ بثأرنا. واللقحة: الناقة ذات اللبن والباهل: الناقة المباحة للحلب. يقال: ناقة مصرورة، إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع، وليست المصراة من هذا المعنى، وإنما هي التي جمع لبنها في ضرعها، فهو من الماء الصري، وقد غلط أبو علي في البارع، فجعل المصداة بمعنى المصرورة، وله وجه بعيد، وذلك أن يحتج له بقلب إحدى الراءين ياء مثل، قصيت أظفاري، غير أنه بعيد في المعنى، وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهلة التي لا صرار على أخلافها، أطعمتك مأدومي وأبثثتك مكتومي، وجئتك باهلا غير ذات صرار، وفي الحديث: « لا تورد الإبل بهلا، فإن الشياطين ترضعها » أي، لا أصرة عليها.

(٤) الحلاحل: السيد الشجاع.

(٥) الأسى: جمع أسوة، والمطافل: ذوات الأطفال.

(٦) قوله: براء إلينا من معقة خاذل. يقال قوم براء وبراء بالفتح، وبراء بالكسر، فأما براء بالكسر فجمع بريء، مثل كريم وكرام، وأما براء فمصدر، مثل سلام والهمزة =

وهَنَّا لهم حتى تبددَّ جمعُهم ... ويَحْسُر عنا كلُّ باغٍ وجاهلِ
وكان لنا حوضُ السقايةِ فيهمُ ... ونحنُ الكُدى من غالبٍ والكَواهلِ[1]
شبابٌ من المطيِّبين وهاشم ... كبيضِ السيوفِ بينَ أيدِي الصَّياقِلِ
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سفكوا دماً ... ولا حالفوا إلا شِرارَ القبائلِ
بضرْبٍ ترى الفِتيانَ فيه كأنهم ... ضَوَارِي أسودٍ فوق لحمٍ خَرادِلِ[2]
بني أمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكيَّةٍ ... بني جُمَح عُبَيْد قيسِ بنِ عاقلِ[3]
ولكننا نسلٌ كرامٌ لسادةٍ ... بهم نُعِيَ الأقوامُ عندَ البَواطلِ
ونعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مُكَذَّبٍ ... زُهَيرٌ حُساماً مُفْرَداً من حَمائلِ
أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ البهاليلِ ينتَمِي ... إلى حسبٍ في حَوْمةِ المجدِ فاضلِ
لعَمْري لقد كُلفتُ وَجْداً بأحمد ... وإخوتِه دَأْبَ المحِبِّ المواصلِ
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلِها ... وزَيْناً لمن والاه ربُّ المَشاكلِ
فمن مِثلُه في الناس أيُّ مُؤَمَّلٍ ... إذا قاسه الحكامُ عندَ التفاضلِ
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ ... يوالي إلاهاً ليسَ عنه بغافلِ
فواللهِ لولا أن أجيءَ بسُبَّةٍ ... تُجَرُّ على أشياخِنا في المحافلِ
لكنا اتبعناه على كلِّ حالةٍ ... من الدهرِ جِدًّا غير قولِ التهازلِ
لقد علموا أن ابنَنا لا مُكذَّبٌ ... لدينا ولا يُعْنَى بقولِ الأباطلِ

= فيه وفي الذي قبله لام الفعل، ويقال: رجل براء ورجلان براء، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا في الجمع، وأما براء بضم الباء: فالأصل فيه برءاء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين، فحذفوا الأولى، وكان وزنه فعلاء، فلما حذفوا التي هي لام للفعل صار وزنه فعاء، وانصرف لأنه أشبه فعالا، والنسب إليه إذا سميت به، براوي، والنسب إلى الآخرين بَرائي وبِرائي، [بفتح الباء وكسرها] وزعم بعضهم إلى أن بُراء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فُعال، ومنها هذه الألفاظ، فرير وفرار وعرن وعران، وقال النحاس: براء بضم الباء.

(١) الكُدى: جمع كُدية، وهي الصخرة العظيمة، والكواهل جمع كاهل: وهو سند القوم.

(٢) الخرادل: القطع العظيمة.

(٣) الهندكي: منسوب إلى الهند.

فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ ... تُقَصِّر عنه سَوْرةُ المتطاولِ[1]
حَدِبْتُ بنفسي دونَه وحَميْتُه ... ودافعتُ عنه بالذُّرَا والكَلاكِلِ[2]
فأيَّده ربُّ العبادِ بنصرِه ... وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ باطلِ
رجالٌ كرامٌ غيرُ ميلٍ نَماهُمُ ... إلى الخيرِ آباءٌ كرامُ المحاصلِ[3]
فإن تكُ كعبٌ من لُؤيٍّ صُقَيْبةً ... فلا بُدَّ يوماً مرةً من تَزايُلِ[4]

قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويود لو أن أبا طالب حي ليرى ذلك: قال ابن هشام: وحدثني من أثق به، قال: أقحط أهلُ المدينة، فأتَوْا رسول الله ﷺ، فشكوا ذلك إليه، فصعد رسولُ الله ﷺ المنبر فاستسقى[5] فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي[6] يشكون منه الغرق؛ فقال رسول الله ﷺ: « اللهم حوالينا ولا علينا »[7]، فانجاب السحاب عن المدينة فصار

---

(١) السورة: الشدة والبطش.

(٢) حدبت: عطفت. والذرا: جمع ذروة أعلى ظهر البعير، والكلاكل: عظام الصدور.

(٣) الميل: جمع أميل وهو الذي لا يحسن الركوب.

(٤) صقيبة: قريبة.

(٥) حديث استسقاء رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو حديث مروي من طرق كثيرة، وبألفاظ مختلفة ــ انظر للمحقق: مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(٦) الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر، ولا منجاة من السيول، وقيل: ضاحية كل بلد، خارجه.

(٧) وقوله عليه السلام: « اللهم حوالينا، ولا علينا » كقوله في حديث آخر « اللهم منابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام »، فلم يقل، اللهم ارفعه عنا هو من حسن الأدب في الدعاء، لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه رفع نعمته، وكشف رحمته، وإنما يسئل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء.

حواليها كالإكليل، فقال رسول الله ﷺ: « لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره »، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهِه ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

قال: « أجل ».

قال ابن هشام: وقوله « وشبرقة » عن غير ابن إسحاق.

ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب:

قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بنْ هَصيص، وأبو سفيان ابن حرب بن أمية. ومُطْعِم بن عَدِيِّ بن نوفل بن عبد مناف. وزُهير ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، أمه عاتكة بنت عبد المطلب.

قال ابن إسحاق: وأسيد، وبِكْره: عَتَّاب بن أُسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وعثمان بن عُبيد الله، أخو طلحة بن عُبيد الله التيْمي. وقنفذ بن عُمَير بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة. وأبو الوليد عتبة بن ربيعة. وأبو الأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زُهرة بن كلاب.

قال ابن هشام: وإنما سمي الأخنس. لأنه خنس بالقوم يوم بدر، وإنما اسمه أُبيّ، وهو من بني علاج، وهو عِلاج بن أبي سلمة بن عَوْف بن عقبة. والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زُهرة بن كلاب. وسُبيع بن خالد، أخو بَلْحَارث بن فهر. ونَوْفل ابن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي، وهو ابن العدوية. وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنهما في حبل حين أسلما، فبذلك كانا يسميان

القرينين؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر. وأبو عمرو قُرْظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف.

« وقومٌ علينا أظنَّة »: بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، فهؤلاء الذين عدَّد أبو طالب في شعره من العرب.

انتشار ذكر الرسول خارج مكة: فلما انتشر أمرُ رسول الله ﷺ في العرب، وبلغ البلدان، ذُكر بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذُكر، وقبل أن يُذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود، وكانوا لهم حلفاء، ومعهم في بلادِهم. فلما وقع ذكره بالمدينة، وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قيس بن الأَسْلَت[1]، أخو بني واقف :

نسب ابن الأسلت: قال ابن هشام: نسب ابنُ إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف، ونسبه في حديث الفيل إلى خَطْمة، لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخي جده الذي هو أشهر منه.

---

(١) واسم الأسلت: عامر، والأسلت: هو الشديد الفطس يقال: سلتَ الله أنفه، ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله، فلما كتب له عهده أبى أن يقبله، وقال: لا حاجة لي به. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الولاة يجاء بهم يوم القيامة، فيقفون على جسر جهنم، فمن كان مطاوعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه، ومن كان عاصياً لله انحرف به الجسر إلى واد من نار تلتهب التهاباً، قال: فأرسل عمر إلى أبي ذر وإلى سلمان، فقال لأبي ذر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال: نعم والله، وبعد الوادي واد آخر من نار. قال: وسأل سلمان، فكره أن يخبره بشيء، فقال عمر: من يأخذها بما فيها؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وعينيه، وأضرع خده إلى الأرض. ذكره ابن أبي شيبة.

قال ابن هشام: حدثني أبو عُبَيدة: أن الحكم بن عمرو الغِفاري من ولد نُعَيْلة أخي غِفار وهو غِفار بن مُلَيْل، ونُعَيلة بن مُلَيل بن ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة، وقد قالوا عتبة بن غزوان السُّلَمي وهو من ولد مازن بن منصور وسُلَيْم بن منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت: من بني وائل؛ ووائل، وواقف، وخَطْمة إخوة من الأوس.

شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: فقال أبو قيس بن الأسلت ــ وكان يحب قريشاً، وكان لهم صهراً، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته ــ قصيدة يعظم فيها الحرمة، وينهى قريشا فيها عن الحرب، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول الله ﷺ، ويذكِّرهم بلاءَ الله عندهم، ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم، فقال:

يـا راكبـاً إمـا عَـرَضتَ فبلِّغـنْ ... مُغَلغلَةً عنـي لُـؤيَّ بـنَ غـالبِ[1]
رسول امرئٍ قد راعـه ذات بينِكـم ... على النأْيِ محزونٍ بذلكِ ناصبِ[2]
وقـد كـان عنـدي للهمـومِ مَعـرَّسٌ ... فلم أقضِ منها حاجتـي ومآربـي[3]
نُبِّيتُكـم شَرْجَيْـن كـل قبيلـةٍ ... لها أزْمَلٌ من بين مُـذْكٍ وحـاطبِ[4]

---

(١) المغلغلة: الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها، ومنه تغلغل في البلاد: إذا بالغ في الدخول فيها، وأصله: تغلل ومغللة، ولكن قلبوا إحدى اللامين غيناً، كما فعلوا في كثير من المضاعف، وأصله من الغلل والغلالة، فأما الغلل فماء يستره النبات والشجر، وأما الغلالة فساترة لما تحتها. ويراد بالمغلغلة في البيت الرسالة.

(٢) الناصب: المعيي.

(٣) أصل المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرون ليلا للاستراحة.

(٤) شرجين. أي: فريقين مختلفين، « ونبئتكم » لفظ مشكل وفي حاشية الشيخ: نبيتكم =

أعيذكم بالله من شرِّ صنعِكم ... وشرِّ تباغيكم ودسِّ العقاربِ
وإظهارِ أخلاقٍ ونجْوَى سقيمةٍ ... كوخزِ الأشافي وقعُها حقُّ صائبِ[1]
فذكِّرْهمْ باللهِ أولَ وهلةٍ ... وإحلال أحرام الظِّباءِ الشوازبِ[2]
وقل لهم والله يحكمُ حُكْمَهُ ... ذروا الحربَ تذهبْ عنكم في المَراحبِ[3]
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... هي الغُولُ للأقصينَ أو للأقاربِ[4]
تُقطِّعُ أرحاماً وتُهلك أمةً ... وتُبري السَّديفَ من سَنامٍ وغاربِ[5]
وتستبدلوا بالأتحميةِ بعدَها ... شَليلاً وأصداءً ثيابَ المحاربِ[6]
وبالمسكِ والكافورِ غُبْراً سوابغاً ... كأن قَتِيرَيْها عيونُ الجنادبِ[7]
فإياكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكُمْ ... وحَوْضاً وخيم الماءِ مُرَّ المشاربِ

= شرجين، وهو بين في المعنى، وفيه زحاف خرم، ولكن لا يعاب المعنى بذلك، وأما لفظ النبيت في هذا البيت، فبعيد من معناه، والأزمل: الصوت، والمذكى: الذي يوقد النار، والحاطب: الذي يحطب لها، ضرب هذا مثلا لنار الحرب، كما قال الشاعر:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام

(١) الأشافي: المخارز.

(٢) إحلال أحرام الظباء الشوازب: أي، إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التى تأتيه من بعد، لتأمن فيه فهي شازبة أي، ضامرة لبعد المسافة، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم، وإحرام الظباء، كونها في الحرم، يقال لمن دخل في الشهر الحرام، أو في البلد الحرام، محرم.

(٣) المراحب: الأماكن المتسعة.

(٤) الغول: أي: هي الهلاك، يقال: الغضب. غول الحلم؛ أي يهلكه، والغول بفتح الغين: وجع البطن، قاله البخاري في تفسير قوله ﴿ **لا فيها غول** ﴾ انظر كتاب التفسير في فتح الباري من تحقيقنا حـ ١٨. راجع مفاتيح القارئ.

(٥) تبري: تقطع. السديف: لحم السنام، الغارب: أعلى الظهر.

(٦) الأتحمية: ثياب رقاق تصنع باليمن. والشليل: درع قصيرة، والأصداء: جمع صدأ الحديد.

(٧) القتير: حلق الدرع شبهها بعيون الجراد وأخذ هذا المعنى التنوخي فقال:

كأثواب الأراقم مزقتها ... فخاطتها بأعينها الجراد =

تَزَيَّـــنَ للأقـــوامِ ثـــم يَرَوْنَهـــا ... بعاقبـــةٍ إذ بَيَّـــنَتْ، أمَّ صـــاحبِ[1]

تحرِّق لا تُشْـوِي ضعيفـاً وتنتحـي ... ذوي العزِّ منكم بالحُتوف الصوائبِ[2]

ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ ... فتعتبروا أو كان في حربِ حاطبِ[3]

وكم قد أصابت من شريفٍ مُسَوَّدٍ ... طويـلِ العمـادِ ضيفُـه غيـرُ خـائِب

عظيـمِ رمـادِ النـارِ يُحمَـدُ أمـرُه ... وذي شيمةٍ محضٍ كريمِ المضـاربِ[4]

ومـاء هُريـق فـي الضـلالِ كأنمـا ... أذاعت به ريـحُ الصَّبـا والجنـائبِ[5]

يُخبِّركـم عنهـا امـرؤٌ حـقُّ عالـمٍ ... بأيامِهـا والعلـمُ علـمُ التجـاربِ

فبيعوا الحرابَ مِلْمُحَارِبِ واذكـروا ... حسابَكـمُ واللهُ خيـرُ محـاسبِ

= وكقول عمرو بن معدي كرب في وصف الحرب:

الحـرب أول مـا تكـون فتيـة ... تسعـى ببذتهـا لكـل جهـول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ... ولت عجـوزا غيـر ذات خليـل

شمطـاء جزت رأسهـا، فتنكـرت ... مكروهـة للشـم والتقبيـل.

(١) أم صاحب، أي عجوزا كأم صاحب لك، إذا لا يصحب الرجل إلا رجل في سنه، وفي جامع البخاري. كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الأبيات، يعني أبيات عمرو بن معدي كرب المتقدمة.

(٢) لا تشوى: لا تخطئ. وتنتحي: تقصد.

(٣) ألم تعلموا ما كان في حرب داحس: يذكر معنى داحس إذ ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى.

(٤) كريم المضارب، وفي حاشية كتاب الشيخ: لعله الضرائب، يريد: جمع ضريبة، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال: المضارب. يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم.

(٥) وماء هريق في الضلال: ويروى في الصلال جمع صلة، وهي الأرض التي لا تمسك الماء، أي رب ماء هريق في الضلال من أجل السراب، لأن من يهريق ماء من أجل السراب إلا ضال غير مميز بمواضع الماء، وأذاعت به، أي: بددته، فلم ينتفع به، وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور، ويروى: وما أهريق في أمر، ومعناه: والذي أهريق في أمر الضلال، فوصل ألف القطع ضرورة، ويقال: أريق الماء، وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء، وهي أقلها.

ولِيّ امرئٍ فاختار دينا فلا يَكنْ ... عليكم رقيباً غيرُ ربِّ الثواقبِ[1]
أقيموا لنا دِيناً حنيفاً فأنتمُ ... لنا غايةٌ قد يُهتَدى بالذوائبِ[2]
وأنتم لهذا الناسِ نورٌ وعصمةٌ ... تُؤَمُّون، والأحلامُ غيرُ عوازبِ[3]
وأنتم، إذا ما حُصِّل الناسُ، جوهرٌ ... لكم سُرَّةُ البطحاءِ شُمُّ الأرانبِ[4]
تصونون أجساداً كراماً عتيقةً ... مهذَّبةَ الأنسابِ غيرَ أشائبِ[5]
ترى طالبَ الحاجاتِ نحوَ بيوتِكم ... عصائبَ هَلْكَى تهتدي بعصائبِ
لقد علم الأقوامُ أن سَراتَكم ... على كلِّ حالٍ خيرُ أهلِ الجباجبِ[6]
وأفضلُه رأياً وأعلاه سُنةً ... وأقولُه للحقِّ وسطَ المواكبِ
فقوموا فصلوا ربَّكم وتمسَّحوا ... بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشبِ[7]
فعندكمُ منه بلاءٌ ومصْدَق ... غداةَ أبي يَكْسومَ هادي الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تُمسي ورَجْلُه ... على القاذفاتِ في رءوسِ المناقبِ[8]
فلما أتاكم نصرُ ذي العرشِ ردَّهم ... جنودُ المليكِ بين سافٍ وحاصبِ[9]

---

(١) ولي امرئ فاختار دينا فإنما. أي: هو ولي امرئ اختار ديناً، والفاء زائدة على أصل أبي الحسن، قال في قولهم: زيدا فاضرب: الفاء معلقة أي: زائدة، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر، كأنه قال: ولي امرئ تدين، فاختار ديناً، أو نحو هذا. والثواقب: النجوم. انظر الروض الأنف من تحقيقنا.

(٢) الذوائب: الأعالي.

(٣) الأحلام: العقول، والعوازب: البعيدة.

(٤) السرة: العلو، والشم المرتفعة.

(٥) الأشائب: المختلطة، ويريد بغير الأشائب أن نسبهم خالص لا عيب فيه.

(٦) الجباجب: وهي منازل منى. كذا قال ابن إسحاق، وقال البرقي: هي حفر بمنى، يجمع فيها دم البدن، والهدايا، والعرب تعظمها وتفخر بها، وقيل الجباجب: الكروش. يقال للكرش: جبجبة بفتح الجيم، والذي تقدم واحده: جبجبة بالضم.

(٧) الأخاشب: جبال مكة.

(٨) القاذفات: قمم الجبال، والمناقب: الطرق التي فيها.

(٩) بين ساف وحاصب: السافي: الذي يرمى بالتراب، والحاصب الذي يقذف بالحصباء.

فَوَلَّوْا سِراعا هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهلِه مِلْحُبْشِ غيرِ عصائب
فإن تَهْلِكوا نَهْلِكْ وتهلكْ مواسمٌ يُعاش بها. قولُ امرئٍ غيرِ كاذبِ

قال ابن هشام: أنشدني بيته، « وماء هريق »، وبيته: « فبيعوا الحراب »، وقوله: « ولي امرئ فاختار »، وقوله:

* على القاذفات في رءوس المناقب *

أبو زيد الأنصاري وغيره.

حرب داحس والغبراء: قال ابن هشام: وأما قوله:

* ألم تعلموا ما كان في حرب داحس *

فحدثني أبو عُبَيدة النحوي: أن داحساً فرس كان لقيس بن زُهَير ابن جَذيمة بن رَواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عِبْس بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان؛ أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عَمرو بن زيد بن جُؤَيَّة بن لُوذان بن ثعلبة بن عدي بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقال لها: الغبراء. فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقاً، فجاء داحس سابقاً فضربوا وجهه، وجاءت الغبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر، فوثب أخوه مالك بن زُهَيْر فلطم وجه الغبراء، فقام حَمَلُ بن بدر فلطم مالكاً. ثم إن أبا الجُنَيْدب العَبْسي لقي عوفَ بنَ حذيفة فقتله، ثم لقي رجلٌ من بني فزارة مالكاً فقتله[1]، فقال حَمَل بن بدر أخو حذيفة بن بدر:

---

(١) داحس بمعنى: مدحوس، كما قيل: ماء دافق، أي: مدفوق، والدحس: إدخال اليد بقوة في ضيق، كما روي أن رسول الله ﷺ مر بغلام يسلخ شاة، فأمره أن يتنحى ليريه، ثم دحس عليه السلام بيده بين الجلد واللحم، حتى بلغ الإبط ثم صلى، =

قتلنا بعوف مالكاً وهو ثأرُنا فإن تطلبوا منا سوى الحقِّ تَنْدَموا

وهذا البيت في أبيات له. وقال الربيع بن زياد العَبْسي:

أفبعدَ مقتل مالكِ بن زُهَير ترجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ

وهذا البيت في قصيدة له.

فوقعت الحربُ بين عَبْس وفَزارة، فقُتل حذيفةُ بن بدر وأخوه حَمَلُ ابن بدر، فقال قيس بن زُهير بن جَذِيمة يرثي حُذيفة، وجزع عليه:

كم فارس يُدْعَى وليس بفارسٍ وعلى الهَباءةِ فارس ذو مَصْدق[1]

= ولم يتوضأ، فداحس: سمي بهذا الاسم، لأن أمه كانت لرجل من بني تميم، ثم من بني يربوع اسمه: قرواش بن عوف؛ وكان اسم الفرس: جلوى، وكان ذو العقال فرساً عتيقاً لحوط بن جابر، فخرجت به فتاتان له، لتسقياه، فبصر بجلوى، فأدلى حين رآها، فضحك غلمة كانوا هناك؛ فاستحيت الفتاتان، ونكستا رأسيهما، فأفلت ذو العقال حتى نزا على جلوى، وقيل ذلك لحوط فأقبل مغضباً، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب؛ ثم دحسها في رحم الفرس؛ فسطا عليها، فأخرج ماء الفحل منها: واشتملت الرحم على بقية الماء، وحملت بمهر فسموه: داحساً.

وأظهر ما فيه أن يكون مثل لابن وتامر، وأن لا يكون فاعلا بمعنى مفعول، فهو داحس بن ذي العقال بن أعوج الذي تنسب إليه الخيل الأعوجية من قول بعضهم. يقال: إن حرب داحس دامت أربعين سنة، لم تحمل فيها أنثى، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة، وكان آخر أيام حرب داحس بقلهي من أرض قيس، وهناك اصطلحت عبس ومنولة، وهي أم بني فزارة، شمخ وعدي ومازن، فيقال لهذا الموضع: قلهى، وأما قلهي فبالحجاز، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان، وأمر ألا يحدث بشيء من أخبار الناس، وألا يسمع منها شيئاً، حتى يصطلحوا، ويقال، إن الحنفاء كانت فرس حذيفة، وأنها أجريت مع الغبراء في ذلك اليوم ــ قال الشاعر:

إذا كان غير الله للمرء عدة أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عدة للشدائد

(١) الهباءة: مكان في بلاد غطفان.

فابكوا حذيفةَ لن تُرَثُّوا مثلَه حتى تبيدَ قبائلٌ لم تُخْلَق

وهذان البيتان في أبيات له. وقال قيس بن زهير:

على أن الفتى حَمَلَ بنَ بدر بغى والظلمُ مرتعُه وخيمُ

وهذا البيت في أبيات له. وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

تركتُ على الهباءةِ غيرَ فَخْرٍ حُذيفةَ عندَه قِصَدُ العوالي[1]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيس داحساً والغبراء، وأرسل حذيفة الخَطَّار والحَنْفاء، والأول أصح الحديثين. وهو حديث طويل، منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله ﷺ.

حرب حاطب: قال ابن هشام: وأما قوله: « حرب حاطب ». فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أمية ابن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهوديا جاراً للخزرج، فخرج إليه يزيد بن الحارث ابن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج — وهو الذي يقال له: ابن فُسْحُم، وفُسْحُم أمه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر — ليلا في نفر من بني الحارث ابن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً، فكان الظَّفَر للخزرج على الأوس، وقُتل يومئذ سُوَيد بن صامت ابن خالد بن عطية بن حَوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، قتله المُجَذَّر بن زياد البلوي، واسمه عبدالله، حليف بني عَوْف بن الخزرج. فلما كان يوم أحد خرج المجَذَّر بن زياد

---

(١) القصد: القطع المتكسرة. والعوالي: الرماح.

مع رسول الله ﷺ، وخرج معه الحارث بن سُوَيْد بن صامت، فوجد الحارث بن سُوَيْد غِرَّة من المجذر فقتله بأبيه. وسأذكر حديثه في موضعه ــ إن شاء الله تعالى. ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس.

شعر حكيم بن أمية في نهي قومه عن عداوة الرسول:

قال ابن إسحاق: وقال حكيم بن أُمية بن حارثة بن الأوْقَص السُّلَمي، حليف بني أمية وقد أسلم، يُوَرِّع[1] قومَه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفا مطاعا:

هل قائلٌ قولاً من الحقِّ قاعد ... عليه وهل غضبانُ للرشْدِ سامعُ
وهل سيِّدٌ ترجو العشيرةُ نفعَه ... لأقصى الموالي والأقارب جامعُ
تبرأتُ إلا وجه من يملك الصَّبَا ... وأهجرُكم ما دام مُدْلٍ ونازع[2]
وأُسْلم وجهي للإله ومنطقي ... ولو راعني مِنَ الصَّديقِ روائع

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه

سفهاء قريش يأذونه: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا اشتد أمرُهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغْرَوْا برسول الله ﷺ سفهاءَهم ؛ فكذَّبوه وآذَوْه، ورموه بالشِّعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مُظهِر لأمر الله لا يستخفي به، مبادٍ لهم بما يكرهون من عَيْب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

---

(١) يورع: يصرف.

(٢) المدل: المرسل للدلو في البئر، والنازع: الجاذب لها.

أشد ما أوذي به الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ، سفَّه أحلامَنا، وشتم آباءَنا، وعاب دينَنا، وفرَّق جماعَتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا. فبينَا هُم في ذلك إذْ طلع رسولُ الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركنَ، ثم مَرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلِها، فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم مرَّ الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشرَ قُريش، أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذَّبْح[1]. قال: فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك لَيرْفَؤُه[2] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرفْ يا أبا القاسم، فوالله ما كنتَ جهولاً. قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادَاكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسولُ الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؛ لما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: نعم: أنا الذي

---

(١) يعرض ﷺ بهلاكهم.

(٢) رفأه: هدأه.

أقول ذلك. قال: فلقد رأيتُ رجلا منهم أخذ بمجْمَع ردائه. قال: فقام: أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربيَ الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيتُ قريشا نالوا منه قطُّ.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ آل أم كلثوم بنت أبي بكر، أنها قالت: رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فَرْقَ رأسِه؛ مما جبذوه بلحيته، وكان كثير الشعر.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: أشدُّ ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذَّبه وآذاه، لا حُر ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله، فتدثر من شدةِ ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿**يا أيها المدثِّر. قُمْ فأنذرْ**﴾[1].

إسلام حمزة رضي الله عنه

سبب إسلامه: قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم، كان واعيةً: أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العَيْب لدينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلمه رسولُ الله ﷺ، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن

---

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: في تسميته إياه بالمدثر: في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها، كقوله عليه السلام لحذيفة: قم يا نَوْمان، وقوله لعلي بن أبي طالب ــ وقد ترب جنبه: قم أبا تراب.

سعد بن تَيْم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ[1] من قريش عند الكعبة، فجلس معهم. فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسَه، راجعاً من قَنَص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعزَّ فتى في قريش، وأشدَّ شكيمة. فلما مر بالمَوْلاةِ، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة، ولو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام: وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجةً منكَرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُد ذلك عليَّ إنِ استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سببتُ ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسولَ الله ﷺ من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريشٌ أن رسولَ الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[2].

---

(١) أي أهل ناد.

(٢) أم حمزة: هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زُهرة، وأهيب: عم آمنة بنت وهب تزوجها عبد المطلب، وتزوج ابنه عبد الله آمنة في ساعة واحدة، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله ﷺ ثم أرضعتهما ثُوَيْبَة. =

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرظي، قال: حُدثتُ أن عُتبة بن ربيعة، وكان سيداً، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبلُ بعضَها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزةُ، ورأَوْا أصحابَ رسول الله ﷺ يزيدون ويكثُرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمْه؛ فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمتَ من السِّطَة[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك أتيت قومَك بأمر عظيم فرَّقتَ

= وزاد غير ابن اسحاق في إسلام حمزة أنه قال: لما احتملني الغضب، وقلت أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق ويذهب عني الريب فما استتممت دعائي حتى زاح عني الباطل، وامتلأ قلبي يقينا ــ أو كما قال ــ فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يثبتني الله، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم:

حمدتُ الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربٍّ عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحرر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ... ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع ... عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف ... به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس حشر جزاء قوم ... ولا أسقاهم صَوْب الخريف

(١) السطة: الشرف.

به جماعتهم وسفهتَ به أحلامَهم وعِبتَ به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرضْ عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: قُلْ يا أبا الوليد، أسمعْ، قال: يا بنَ أخي، إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا: وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا[1] تراه لا تستطيع ردّه عن نفسِك، طلبنا لك الطبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئَك منه، فإنه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يُدَاوَى منه أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم؛ قال: فاسمع مني؛ قال: أفعل.

فقال: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم. حمٓ. تنزيلٌ من الرحمنِ الرحيمِ. كتابٌ فصِّلت آياتُه قرآناً عربيا لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً، فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبُنا في أكنَّةٍ مما تدعونا إليه** ﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك.

رأي عتبة: فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضُهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغيرِ الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعتُ قولا

---

(١) الرئي: ما يظهر للناس من الجن.

والله ما سمعت مثلَه قطُّ، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزِلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيم، فإن تصبْه العرب فقد كُفيتموه بغيرِكم، وإن يظهر على العرب فملْكه ملكُكم، وعزُّه عزكم، وكنتم أسْعَدَ الناس به؛ قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه؛ قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

قريش تفتن المسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء؛ وقريش تحبس من قدرت على حبسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة، كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد ابن جبير، وعن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال:

زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ: اجتمع عتبةُ بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سُفيان بن حرب، والنَّضْر بن الحارث، أخو بني عبد الدار، وأبو البَخْتَري بن هشام، والأسود بن المطَّلب بن أسد، وزَمَعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أُمية، والعاص بن وائل، ونُبَيْه ومُنبَّه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف، أو من اجتمع منهم. قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه: إنَّ أشرافَ قومِك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتهمْ.

فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بَداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدَهم، ويعز عليه عَنَتُهم،

حتى جلس إليهم؛ فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعِبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلامَ، وفرقت الجماعةَ، فما بقي أمرٌ قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك ــ أو كما قالوا له ــ فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ــ وكانوا يسمعون التابع من الجن رَئِيًّا ــ فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالَنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نُعْذر فيك؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئتُ بما جئتكم به أطلب أموالَكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملكَ عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم، أو كما قال ﷺ.

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً، ولا أقل ماءً، ولا أشد عيشاً منا، فسَلْ لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادَنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم: قُصَيُّ بن كلاب، فإن كان شيخ صِدْق، فنسألهم عما تقول: أحقٌّ هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولا كما تقول.

فقال له صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بُعثتُ إليكم من الله، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبرْ لأمر الله تعالى، حتى يحكم اللهُ بيني وبينكم.

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربَّك بأن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك وسَلْه فليجعل لك جِناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلَك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربَّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ــ أو كما قال ــ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبرْ لأمر الله حتى يحكمَ الله بيني وبينكم.

قالوا: فأسقط السماءَ علينا كِسفاً كما زعمت أن ربَّك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

قال: فقال رسول الله ﷺ: ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعلَه بكم فعل.

قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكَك، أو تهلكنا. وقال قائلهم:

نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا[1].

(١) وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم، وإنزال الملائكة عليه، وغير ذلك، جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحان الخلق، وتعبدهم بتصديق الرسل، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة، فيقع الثواب على حسب ذلك، ولو كشف الغطاء، وحصل لهم العلم الضروري، بطلت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس من كسبه، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضي النظر فيه العلم الكسبي، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب، وهو النظر في الدليل، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم، بكلام يسمعونه، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين، فجعل الأمر يعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار، لأنها دار تعبد واختبار، وجعل الأمر يُعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار، لا يستحق به ثواب ولا جزاء، وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى، حكمة دبرها، وقضية أحكمها، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون** ﴾ يريد ــ فيما قال أهل التأويل ــ إن التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب في حكم الله، ألا يُلبث الكافرين بها، وأن يعاجلهم بالنقمة، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون، فلو أعطيت قريش ما سألوه من الآيات، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا، ولكن الله أكرم محمداً في الأمة التي أرسله إليهم، إذ قد سبق في علمه أن يكذب به من يكذب، ويصدق به من يصدق، وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر، أما البر فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة، وأما الفاجر، فإنهم أمنوا من الخسف والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء. كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ مع أنهم لم يسألوا ما سألوا من الآيات الا تعنتاً واستهزاء، لا على جهة الاسترشاد، ودفع الشك، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف، قال الله سبحانه: ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب** ﴾. وهم أهل الفصاحة والبلاغة. وقد ذكر ابن اسحاق في غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يدعوَ الله لهم، فنزل جبريل، فقال لهم: ما شئتم فعلت ما سألتم، ثم لا نلبثكم إن كذبتم بعد معاينة الآية، فقالوا: لا حاجة لنا بها. عن الروض الأنف للإمام السهيلي من تحقيقنا ــ بتصرف.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنهم، وقام معه عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم ـــ وهو ابن عمته، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب ـــ فقال له: يا محمد، عرض عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبلْه منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعلْ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجلَ لهم بعضَ ما تخوِّفهم به من العذاب، فلم تفعل ـــ أو كما قال له ـــ فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما، ثم ترقَى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيهَا، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله، لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسولُ الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه[1].

أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ: فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما تَرَوْنَ من عَيْب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامِنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حملَه ـــ أو كما قال ـــ فإذا سجد في صلاته فضَخْتُ به رأسَه، فأسْلِموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً، فامضِ لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخَذَ حجرا كما وصف، ثم جلس لرسول

---

(١) وقد أسلم عبدالله بن أبي أمية قبل فتح مكة، وسيأتي ذكر إسلامه.

الله ﷺ ينتظره، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يغدو. وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسولُ الله ﷺ يصلِّي وقد غدت قريشٌ فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجرَ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونُه مرعوباً قد يَبست يداه على حجره، حتى قذف الحجرَ من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنوتُ منه عَرض لي دونَه فحلٌ من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامتِه، ولا مثل قَصَرَته[1] ولا أنيابِه لفحلٍ قطُّ، فَهَمَّ بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذُكر لي أن رسول الله ﷺ، قال: ذلك جبريلُ عليه السلام لو دنا لأخذه.

النضر بن الحارث ينصح قريشاً: فلما قال لهم ذلك أبو جهل[2]، قام النَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي.

قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة ابن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: فقال يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم

---

(١) قصرته: أصل عنقه.

(٢) ذكر النسوي بإسناده إلى إبن عباس أن أبا جهل قال له: ألم أنهك؟ فوالله ما بمكة ناد أعز من ناديَّ، فأنزل الله تعالى: ﴿ **أرأيت الذي ينهى، عبداً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فليدع ناديه، سندع الزبانية** ﴾.

أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعدُ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيْه الشيبَ، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرةَ ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالُجهم وسمعنا سَجْعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافَه كلَّها: هَزَجه ورجزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخَنْقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

أذى النضر للرسول ﷺ: وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوةَ، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديثَ ملوك الفرس، وأحاديث رُسْتم واسبنديار، فكان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلساً فذكَّر فيه بالله، وحذَّر قومَه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نِقْمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلمّ إليَّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟.

قال ابن هشام:وهو الذي قال فيما بلغني : « سأُنزل مثل ما أنزل الله ».

قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول، فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿ **إذا تُتلَى عليه آياتُنا قال أساطيرُ الأولين** ﴾[1]. وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن[1].

---

(١) واحد الأساطير: أسطورة كأحدوثة وأحاديث، وهو ما سطره الأولون، وقيل: أساطير: =

قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام:

فلما قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عقبة بن أبي مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سَلاهم عن محمد، وصِفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله، فإنهم أهلُ الكتاب الأول، وعندهم علمٌ ليس عندَنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قَدِما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمرَه، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ: فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فرَوْا فيه رأيكم. سَلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرُهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسَلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نبؤُه، وسلوه عن الرّوحِ ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي، وإن لم يفعل، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضرُ بنُ الحارث، وعقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبارُ يهود أن نسألَه عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعلْ فالرجلُ متقوِّلٌ، فَرَوْا فيه رأيكم.

= جمع أسطار، وأسطار جمع: سطر بفتح الطاء، وأما سطر بسكون الطاء، فجمعه: أسطر، وجمع الجمع: أساطر بغير ياء، وذكر أن النضر بن الحارث كان يحدث قريشا بأحاديث رستم وأسفنديار، وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله، وقد قيل فيه نزلت: ﴿ **ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾.

قريش تسأل والرسول يجيب: فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصةٌ عجب، وعن رجل كان طوَّافاً قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها، وأخبرْنا عن الروح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يستثن[1]، فانصرفوا عنه.

فمكث رسول الله ﷺ ــ فيما يذكرون ــ خمسَ عشَرةَ ليلة لا يُحْدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أوجف أهلُ مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمسَ عشَرةَ ليلةً، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسولَ الله ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبرُ ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجلُ الطواف، والروح.

الرد على قريش فيما سألوه: قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤْتُ ظنا؛ فقال له جبريل ﴿ **وما نتنزلُ إلا بأمرِ ربِّك، له ما بين أيدينا وما خلفَنا وما بينَ ذلك، وما كان ربُّك نَسِيًّا** ﴾. فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله، لما أنكروه عليه من ذلك، فقال: ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾، يعني محمدا ﷺ، إنك رسول مني: أي تحقيق لما سألوه عنه من

---

(١) فقال لهم: سأخبركم غدا، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً، وفي سيرة التيمي وموسى بن عقبة أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام، ثم جاء جبريل بسورة الكهف.

نبوتك. ﴿ **ولم يجعلْ له عوجا. قيما** ﴾: أي معتدلا، لا اختلاف فيه، ﴿ **لِيُنذِرَ بأساً شديداً من لدنه** ﴾: أي عاجل عقوبته في الدنيا، وعذابا أليما في الآخرة: أي من عند ربك الذي بعث رسولا. ﴿ **ويبشرَ المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ أنَّ لهم أجراً حَسناً. ماكثين فيه أبداً** ﴾ أي دار الخلد. لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال، ﴿ **ويُنذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً** ﴾ يعني قريشاً في قولهم: إنا نعبد الملائكة وهي بناتُ الله ﴿ **ما لهم به من علم ولا لآبائهم** ﴾ الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم. ﴿ **كبرت كلمةً تخرج من أفواهِهم** ﴾: أي لقولهم: إن الملائكة بنات الله ﴿ **إن يقولون إلا كذبا. فلعلك باخع نفسك** ﴾ يا محمد ﴿ **على آثارِهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديثِ أسفاً** ﴾: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أي لا تفعل[1].

قال ابن هشام: باخع نفسك: أي مهلك نفسك فيما حدثني أبو عبيدة. قال ذو الرُّمَّة:

---

(١) وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه، وذكر نبوة نبيه حمده لنفسه تعالى خبر باطنه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسميته، والعبارات عن جلاله، لقصور كل عبارة عما هناك من الجلال، وأوصاف الكمال، ولما كان الحمد واجباً على العبد قُدم في هذه الآية ليقترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه، وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه، وفي سورة الفرقان قال: ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده** ﴾ وبدأ بذكر الفرقان الذي هو الكتاب المبارك. قال الله سبحانه: ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك** ﴾ فلما افتتح السورة بـ ﴿ **تبارك الذي** ﴾، بدأ بذكر الفرقان، وهو الكتاب المبارك، ثم قال: ﴿ **على عبده** ﴾، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان، وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتئام الكلام تـرَ الإعجاز ظاهراً، والحكمة باهرة، والبرهان واضحاً.

ألا أيُّهذا الباخع الوَجْدُ نفسَه لشيءٍ نَحَتْهُ عن يَدَيْه المقَادِرُ

وجمعه: باخعون وبَخَعة. وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب: قد بخعْتُ له نصحي ونفسي: أي جهدت له. ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرضِ زينةً لها لنبْلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملا** ﴾.

قال ابن إسحاق: أي أيهم أتبعُ لأمري، وأعملُ بطاعتي. ﴿ **وإنا لجاعلونَ ما عليها صَعيداً جُرُزاً** ﴾: أي الأرض، وإن ما عليها لفانٍ وزائل، وإن المرجع إليَّ، فأجزي كلا بعمله، فلا تأسَ ولا يحزنْك ما تسمع وترى فيها.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه: صُعُد. قال ذو الرِّمة يصف ظبياً صغيراً:

كأنه بالضُّحَى ترمي الصعيدَ به دبَّابةٌ في عِظام الرأسِ خُرطومُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له. والصعيد: الطريق. وقد جاء في الحديث: « إياكم والقعودَ على الصُّعَداتِ »، يريد الطرقَ. والجُرُز: الأرض التي لا تنبت شيئاً، وجمعها: أجْراز. ويقال؛ سَنة جُرز، وسنون أجْراز، وهي التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جدوبة ويُبس وشدة. قال ذو الرمة يصف إبلاً:

طوى النحْزُ والأجْراز ما في بُطونها فما بقيتْ إلا الضُّلوعُ الجَراشِعُ[2]

---

(١) الدبابة والخرطوم: من أسماء الخمر، أي كأنه من نشاطه دبت الخمر في رأسه، يصف ولد الظبية.

(٢) النحز النخس، والنحاز داء يأخذ الإبل والنحيزة: العزيزة، والنحيزة: نسيجة كالحزام والضلوع الجراشع. وهو جمع جرشع. قال صاحب العين. الجرشع: العظيم الصدر، فمعناه إذاً في البيت على هذا: الضلوع من الهزال قد نتأت، وبرزت كالصدر البارز.

وهذا البيت في قصيدة له.

أهل الكهف: قال ابن إسحاق: ثم استقبل قصةَ الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية، فقال ﴿ **أم حسبتَ أن أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانوا من آياتنا عجباً** ﴾: أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُججي ما هو أعجب من ذلك.

قال ابن هشام: والرقيم[1]. الكتاب الذي رُقِمَ فيه بخبرِهم، وجمعُه: رُقُم. قال العَجَّاج:

ومُسْتَقر المصحفِ المرَقَّمِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿ **إذ أوى الفتيةُ إلى الكهفِ فقالوا ربَّنا آتنا من لَدُنْكَ رحمةً وَهَيِّئْ لنا من أمرِنا رشداً. فضربنا**[2]

---

(١) معنى الرقيم: روي عن أنس أنه قال: الرقيم: الكلب، وعن كعب أنه قال: هو اسم القرية التي خرجوا منها، وقيل: هو اسم الوادي وقيل: هو صخرة، ويقال: لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم، وقال ابن عباس: كل القرآن أَعْلَمُ إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأوَّاه، وقد ذُكرت أسماؤهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي: مليخا، كسليما، مرطوش، ابن أنس، أريطانس، أيونس، شاطيطوش. وقيل في اسم مدينتهم: أفوس، واختلف في بقائهم إلى الآن، فروي عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم، بل صاروا ترابا قبل مبعث النبي ﷺ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا، وأن الأرض لم تأكلهم، ولم تغيرهم مثل أجساد الشهداء، وأنهم على مقربة من القسطنطينية، فالله أعلم. وروي أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى ابن مريم. ألفيت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة. عن الروض الأنف للإمام السهيلي ــ انظره من تحقيقنا. وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

(٢) فضربنا على آذانهم: أي أنمناهم، وإنما قيل في النائم: ضرب على أذنه؛ لأن النائم ينتبه من جهة السمع، والضرب هنا مستعار من ضرب القفل على الباب.

على آذانِهم في الكهفِ سنين عدداً. ثم بعثناهم لنعلم: أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾. ثم قال تعالى: **﴿ نحن نقصُّ عليك نبأَهم بالحقِّ ﴾**: أي بصدق الخبر عنهم **﴿ إنهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم وزدناهم هُدى، وربطنا على قلوبِهم إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السمواتِ والأرضِ لن ندْعُوَ مِن دونِه إلهاً، لقد قُلنا إذا شَططا ﴾**: أي لم يشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الغُلو ومجاوزة الحق. قال أَعْشَى بني قَيْس بن ثَعْلبة:

لا يَنْتهون ولا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ هؤلاءِ قومُنا اتخذوا من دونِه آلهةً لولا يأتونَ عليهم بسلطانٍ بيِّنٍ ﴾.

قال ابن إسحاق: أي بحجة بالغة.

﴿ فمن أظلمُ ممن افترى على اللهِ كذباً. وإذ اعتزلتُموهم وما يعبدون إلا الله فَأْوُوا إلى الكهفِ يَنْشُرْ لكم ربُّكم من رحمتِه، ويهيِّئْ لكم من أمرِكم مِرْفقاً. وترى الشمسَ إذا طلعت تَزَاوَرُ عن كهفِهم ذاتَ اليمين، وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهم[1] ذَات الشمالِ، وهم في فَجْوَةٍ منه ﴾.

---

(١) تقرضهم: تحاذيهم وقيل: تتجاوزهم شيئاً شيئاً، من القرض، وهو القطع، أي: تقطع ما هنالك من الأرض. وهذا كل شرح اللفظ، وأما فائدة المعنى، فإنه بين أنهم في مقنوة من الأرض، لا تدخل عليهم الشمس، فتحرقهم، وتبلى ثيابهم، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال. لئلا تأكلهم الأرض، والفائدة العظمى في هذه الصفة =

قال ابن هشام: تَزَاور: تميلُ، وهو من الزور. وقال امرؤ القيس ابن حُجْر.

وإني زعيمٌ إن رجعتُ مُملَّكاً بسَيْر ترى منه الفُرانِق أزْوَرَا

= بيان كيفية حالهم في الكهف، وحال كلبهم، وأين هو من الكهف، وأنه بالوصيد منه، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وان هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم، فإن المطَّلع يُملأ منهم رعباً، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من حالهم، والنبي عليه السلام لم يرهم قط، ولا سمع بهم، ولا قرأ كتاباً فيه صفتهم؛ لأنه أمي في أمة أمية، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل إليهم حتى إن كلبهم قد ذكر، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد، وهم في الفجوة، وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته، ودليل واضح على صدقه، وأنه غير متقول، كما زعموا، فقف بقلبك على مضمون هذه الأوصاف، والمراد بها تعصم إن شاء الله مما وقعت فيه الملحدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أي فائدة في أن تكون الشمس تزَّاور عن كهفهم، وهكذا هو كل بيت يكون في مقنوة، أي: بابه لجهة الشمال، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مقنوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب، فكيف من لم يرهم، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان الكافي، والرعب الذي كان يلحق المطلع عليهم قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم. ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿ **في فجوة منه** ﴾ أي: في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه، فلا تصيبهم الشمس. قال ابن سلام: فهذه آية. قال: وكانوا يقلبون في السنة مرتين، ومن فوائد الآية: أنه أخرج الكلب عن التقليب، فقال: باسط ذراعيه: ومع أنه كان لا يقلب لم تأكله الأرض: لأن التقليب كان من فعل الملائكة بهم، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والكلب خارج من هذه الآية، ألا تراه كيف قال بالوصيد، أي: بفناء الغار لا داخلا معهم؛ لأن الملائكة لا تدخل بيناً فيه كلب فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام. قال ابن سلام: وإنما كانوا يقلبون في الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا.

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو الزحف الكلبي يصف بلداً:

جَأْبُ المُندَّى عن هَوانا أزورُ يُنْضِي المطايا خِمْسُه العَشَنْزرُ[1]

وهذا البيتان[2] في أرجوزة له. و﴿ **تَقْرِضُهم ذاتَ الشمال** ﴾: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. قال ذو الرِّمة:

إلى ظُعْنٍ يَقْرِضن أقْواز مُشرِف شمالاً وعن أيمانِهن الفوارسُ[3]

وهذا البيت في قصيدة له. والفجوة: السِّعة، وجمعها: الفِجاء. قال الشاعر:

ألبسْتَ قومَك مَخْزاةً ومَنْقَصةً حتى أُبيحوا وخَلَّوْا فجوةَ الدارِ

﴿ **ذلك من آياتِ الله** ﴾ أي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم: ﴿ **مَن يَهْدِ اللهُ فهو المهْتَدِ، ومَن يُضْلِلْ فلنْ تجدَ له وَلِيّاً مُرشِداً. وتحسَبهم أيقاظاً وهم رقود، ونقلِّبُهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ وكلبُهم باسطٌ ذراعَيْه بالوَصيدِ** ﴾.

قال ابن هشام: الوصيد: الباب. قال العَبْسي، واسمه عُبَيْد بن وهب:

بأرضٍ فَلاةٍ لا يُسَدّ وَصيدُها عليَّ ومعروفي بها غَيرُ مُنْكَرِ

وهذا البيت في أبيات له. والوصيد (أيضاً) الفناء، وجمعه: وصائد، ووُصُد، ووصْدان وأُصُد، وأُصْدَان.

﴿ **لو اطَّلعتَ عليهم لولَّيتَ منهم فراراً، ولملئْتَ منهم رُعباً** ﴾.

---

(١) الجأب: الغليظ، وينضى: يهزل، والعشنزر: المتين الخلق.

(٢) اعتبر الشطرتين بيتين من مشطور الرجز.

(٣) الأقواز: ما استدار من الرمل.

إلى قوله: ﴿ **قال الذين غَلبوا على أمرِهم** ﴾ أهل السلطان والملك منهم: ﴿ **لنتخذن عليهم مسجدا**[1]. **سيقولون** ﴾ يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم: ﴿ **ثلاثةٌ رابِعُهم كلبُهم، ويقولون خمسةٌ سادسُهم كلبُهم، رجماً بالغيبِ** ﴾: أي لا علم لهم. ﴿ **ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم**[2]؛ **قل ربي أعلم بعدَّتِهم ما يعلمهم إلا قليل، فلا تمارِ فيهم إلا مراءً ظاهراً** ﴾: أي لا تكابرهم، ﴿ **ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً** ﴾ فإنهم لا علم لهم بهم.

﴿ **ولا تقولن لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً. إلا أن يشاء الله، واذكر ربَّك إذا نسيتَ، وقل عسى أن يهدينِ ربي لأقرب من هذا رشداً** ﴾: أي ولا تقولن لشيء سألوك عنه كما قلت في هذا: إني مخبركم غداً. واستثن مشيئة الله، واذكر ربك إذا نسيت، وقل عسى أن يهدين ربي لخير مما سألتموني عنه رشداً، فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك.

﴿ **ولبثوا في كهفِهم ثلاثَ مئةٍ سنين وازدادوا تسعاً** ﴾[4]: أي

---

(١) استدل أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله: ﴿ **لنتخذن عليهم مسجداً** ﴾.

(٢) ﴿ **ويقولون سبعة وثامنهم كلب** ﴾: حرف الواو يدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمر، تقديره: نعم، وثامنهم كلب، وذلك أن قائلا لو قال: إن زيدا شاعر، فقلت له: وفقيه كنت قد صدقته، كأنك قلت: نعم هو كذلك، وفقيه أيضا.

(٣) ﴿ **ولا تقولن لشيء** ﴾: وفسره: فقال: أي استثن مشيئة الله.

(٤) ﴿ **ولبثوا في كهفهم** ﴾ فقال: معناه أي سيقولون ذلك، وهو أحد التأويلات فيها. وقالوا: لبثوا، بزيادة قالوا. ثم قال ابن إسحاق: قل: ربي أعلم بما لبثوا، وهم من المؤلف أو غيره، وإنما التلاوة: ﴿ **قل: الله أعلم بما لبثوا** ﴾ وقد قيل: إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار لبثهم، ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار، وعلم أن فيه تنازعا بين الناس، فمن ثم قال: ﴿ **قل: الله أعلم بما لبثوا** ﴾ وقوله: ﴿ **ثلاثمائة سنين، وازدادوا تسعا** ﴾ أي : إنها ثلاثمائة بحساب العجم، وإن حسبت الأهلة، فقد زاد العدد تسعا، لأن ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر. انظر الموضوع مفصلا في الروض الأنف بتحقيقنا.

سيقولون ذلك. ﴿ **قل اللهُ أعلمُ بما لبثوا، له غيبُ السمواتِ والأرضِ أبصرْ به وأسمِعْ ما لهم من دونِه من وليٍّ، ولا يُشركُ في حكمِه أحداً** ﴾ أي لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه.

ذو القرنين: وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطوَّاف: ﴿ **ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكمْ منه ذكراً. إنا مكَّنَّا له في الأرضِ وآتيناه من كلِّ شيءٍ سبباً** ﴾[1] حتى انتهى إلى آخر قصة خبره.

خبر ذي القرنين: وكان من خبر ذي القرنين أنه أُوتي ما لم يؤتَ أحدٌ غيره، فمُدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضاً إلا سُلط على أهلِها، حتى انتهى من المشرقِ والمغربِ إلى ما ليس وراءَه شيءٌ من الخلق.

قال ابن إسحاق: فحدثني من يسوق الأحاديثَ عن الأعاجم فيما

---

(١) ﴿ **وآتيناه من كل شيء سبباً** ﴾ أي: عِلماً يتبعه، وفي قوله تعالى: ﴿ **فأتبع سبباً** ﴾ أي: طريقاً موصلة.

وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السبب: حبل من نور، كان ملك يمشي به بين يديه، فيتبعه، وقد قيل في اسم ذلك الملك: زاياقيل، وهذا يقرب من قول من قال: ﴿ **سبباً** ﴾ أي: طريقاً، ويصير [illegible] تفسيراً لقول النبي ﷺ: مسح الأرض بالأسباب، واختلف في تسميته بذي القرنين، كما اختلف في اسمه، واسم أبيه، فأصح ما جاء في ذلك ما روي عن أبي الطفيل عامر بن [illegible] قال: سأل ابن الكواء علي بن أبي طالب، فقال: أرأيت ذا القرنين، أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: لا نبيا كان، ولا ملكا، ولكن كان عبداً صالحاً دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه على قرني رأسه ضربتين، وفيكم مثله. يعني: نفسه، وقيل: كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمي الخصلة من الشعر: قرنا، وقيل إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بقرني الشمس، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب، وذكر هذا الخبر علي ابن أبي طالب القيرواني العابد في كتاب البستان له.

توارثوا من علمه: أن ذا القرنين كان رجلاً من أهلِ مصر. اسمُه مُرْزُبان بن مَرْذبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بني الإسكندرية فنسبت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعيِّ، وكان رجلا قد أدرك: أن رسول الله ﷺ سُئل عن ذي القرنين فقال: مَلِك مسح الأرضَ من تحتِها بالأسبابِ.

وقال خالد: سمع عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال عمر: اللهم غُفْراً، أما رَضَيْتم أن تَسَمَّوْا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكةِ[1].

قال ابن إسحاق: الله أعلم أي ذلك كان، أقال ذلك رسول الله ﷺ، أم لا؟ فإن كان قاله، فالحق ما قال.

أمر الروح: وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح: ﴿ **ويسألونك عن الروحِ، قل الروحُ من أمر ربي، وما أُوتيتم من العلمِ إلا قليلاً** ﴾.

ما أوتيتم من العلم إلا قليلا: قال ابن إسحاق: وحُدثت عن ابن عباس، أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قالت أحبارُ يهود: يا محمدُ، أرأيت قولك: ﴿ **وما أوتيتم من العلمِ إلا قليلا** ﴾ إيانا تريد، أم قومَك؟ قال: كُلاًّ؛ قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: أنا

---

(١) إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام، فهو ملك، لا يقول رسول الله ﷺ إلا الحق؛ وإن كان قاله بتأويل تأوله فقد خالف عليا في الخبر المتقدم، والله أعلم أي الخبرين أصح نقلا؛ غير أن الرواية المتقدمة عن علي يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذي القرنين. والله أعلم.

قد أوتينا التوراةَ فيها بيانُ كل شيء. فقال رسول الله ﷺ: إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه. قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿ **ولو أنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ، والبحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحر ما نَفِدَتْ كلماتُ الله إن الله عزيز حكيم** ﴾: أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل.

تسيير الجبال وبعْث الموتى: قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسِهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: ﴿ **ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ، أو قُطِّعت به الأرضُ، أو كُلِّم به الموتى، بل للهِ الأمرُ جميعا** ﴾: أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت.

خذ لنفسك: وأنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك، ما سألوه أن يأخذ لنفسه، أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً، ويبعث معه ملكا يصدقه بما يقول، ويرد عنه: ﴿ **وقالوا مالِ هذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ، ويمشي في الأسواقِ لولا أُنزل إليه مَلَكٌ فيكون معه نذيراً. أو يُلْقَى إليه كنزٌ، أو تكونُ له جنةٌ يأكل منها، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً. انظرْ كيف ضربوا لك الأمثالَ فضلُّوا فلا يستطيعون سبيلا. تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك** ﴾: أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش ﴿ **جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ ويجعل لك قصوراً** ﴾.

لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لفعلت: وأنزل عليه في ذلك من قولهم ﴿ **وما أرسلنا قبلَك من المرسلين إلا إنَّهم ليأكلونَ الطعامَ، ويمشون في الأسواقِ، وجعلنا بعضُكم لبعضٍ فتنةً، أتصبرون**

وكان ربُّك بصيراً ﴾. أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يُخَالفوا لفعلتُ.

القرآن يرد على ابن أبي أمية: وأنزل الله عليه فيما قال عبدُالله ابن أبي أمية: ﴿ **وقالوا لن نؤمنَ لك حتى تفجِّرَ لنا من الأرضِ ينبوعاً. أو تكونَ لك جنةٌ من نخيلٍ وعِنبٍ فتفجِّرَ الأنهارَ خلالَها تفجيراً. أو تُسْقِطَ السماءَ كما زعمت علينا كسفاً، أو تأتِيَ باللهِ والملائكةِ قبيلاً. أو يكونَ لك بيتٌ من زُخْرفٍ أو تَرْقَى في السماءِ، ولن نُومِنَ لِرُقِيِّك حتى تُنَزِّلَ علينا كتاباً نقرؤُه، قل سبحانَ ربِّي هل كنتُ إلا بشراً رسولاً** ﴾.

قال ابن هشام: الينبوع: ما نبع من الماء من الأرض وغيرها، وجمعه ينابيع. قال ابن هَرْمة واسمه إبراهيم بن علي الفِهري:

وإذا هَرقتَ بكلِّ دارٍ عَبْرةً نُزِفَ الشئونُ ودَمْعُك اليَنْبوعُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له. والكِسَف: القِطَع من العذاب، وواحدته: كِسْفة، مثل سِدْرة وسِدَر. وهي أيضاً: واحدة الكِسْف. والقبيل: يكون مقابلة ومعاينة، وهو كقوله تعالى: ﴿ **أو يأتيَهم العذابُ قُبُلاً** ﴾: أي عيانا. وأنشدني أبو عُبَيْدة لأعشَى بني قَيْس بن ثَعْلبة:

أصالحكم حتى تَبوءُوا بمثلِهَا كصرخةِ حُبْلَى يسَّرتها قبيلُها

---

(١) ابن هرمة: نسبه فقال: فهري، وإنما هو خلجي، والخلج اسمه: قيس بن الحارث ابن فهر، واختلف في تسمية بني قيس بن الحارث الخلج، فقيل: لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة، وقيل: لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء، ونسبوا إليه، وابن هرمة واسمه: إبراهيم بن علي بن هرمة، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية.
والشئون: مجاري الدمع، وهي أطباق الرأس، وهي أربعة للرجل، وثلاثة للمرأة، كذلك ذكروا عن أهل التشريح، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل، والله أعلم.

يعني القابلة، لأنها تقابلها وتَقبل ولدها. وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: القبيل جمعه قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ قُبلاً** ﴾ فقُبل: جمع قبيل مثل سُبل: جمع سبيل، وسُرر: جمع سرير، وقُمص: جمع قميص، والقبيل أيضاً: في مَثَل من الأمثال، وهو قولهم: ما يَعرف قبيلاً من دبيرٍ: أي لا يعرف ما أقبل مما أدبر، قال الكُميْت بن زيد:

تفرقَت الأمورُ بوَجْهَتَيْهم فما عَرَفوا الدبيرَ من القبيلِ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنما أريد بهذا القبيل: الفَتل، فما فُتل إلى الذراع فهو القبيل، وما فُتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت. ويقال: فَتْل المِغْزَل. فإذا فُتل المِغْزل إلى الركبة فهو القبيل، وإذا فُتل إلى الوَرِك فهو الدَّبير. والقبيل أيضاً: قوم الرجل. والزُّخرف: الذهب. والمزخْرَف: المزيَّن بالذهب. قال العجاج:

مِن طللٍ أمسى تخال المصْحَفا رسومه والمُذْهَب المزخْرَفا

وهذان البيتان[1] في أرجوزة له، ويقال أيضاً لكل مُزَيَّن: مُزَخْرَف.

نفي القرآن أن رجلا من اليمامة يعلمه: قال ابن إسحاق: وأنزل في قولهم: إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجلٌ باليمامة، يقال له الرحمنُ، ولن نؤمن به أبداً: ﴿ **كذلك أرسلناك في أمةٍ قد خلت من قبلِها أممٌ لتتلوَ عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمنِ، قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت، وإليه مَتاب** ﴾[2].

---

(١) اعتبر الشطرتين بيتين من مجزوء الرجز.

(٢) وذكر قول قريش: إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا لا نؤمن بالرحمن، فأنزل الله سبحانه: ﴿ **وهم يكفرون بالرحمن قل : هو ربي** ﴾ كان مسيلمة بن حبيب =

ما نزل في أبي جهل: وأُنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام، وما هَمَّ به ﴿ **أرأيتَ الذي ينهى عبدا إذا صلَّى. أرأيت إن كان على الهُدَى أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذَّب وتولى. ألم يعلم بأن اللهَ يرى. كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية. ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة. فليدعُ ناديه، سندع الزبانية. كلاَّ لا تطعه واسجد واقتربْ** ﴾.

قال ابن هشام: لنسفعاً: لنجذبن ولنأخذن. قال الشاعر:

قومٌ إذا سَمِعوا الصراخَ رأيتَهم من بين مُلْجِمِ مُهْرِه أو سافِع

والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورَهم، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ وهو النديُّ. قال عَبيد بن الأبرص:

أذهبْ إليك فإني من بني أَسَدٍ أهل النديِّ وأهل الجودِ والنادي

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **وأحسن نَدِيّاً** ﴾ وجمعه: أندية. فليدع أهل ناديه. كما قال تعالى: ﴿ **واسأل القرية** ﴾[1] يريد أهل القرية. قال سلامة بن جَنْدَل، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم:

يومان يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداءِ تأويبِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الكُمَيْت بن زيد:

لا مهاذيرَ في النديّ مكاثيـ ـر ولا مُصْمتين بالإفحامِ

وهذا البيت في قصيدة له. ويقال النادي: الجلساء. الزبانية: الغلاظ

= الحنفي، ثم أحد بني الدؤل قد تسمى: بالرحمن في الجاهلية، وكان من المعمرين، وذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أو رسول الله ﷺ.

(١) فيها مجاز مرسل علاقته المحلية.

(٢) التأويب: السير كل النهار.

الشداد، وهم في هذا الموضع خزنة النار. والزبانية أيضاً في الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه، والواحد: زِبْنِيَة. قال ابن الزِّبَعْرَى في ذلك:

مطاعيمُ في المَقْرَى مطاعينُ في الوَغَى زبانيةٌ غُلْبٌ عظامٌ حلومُها

يقول: شداد. وهذا البيت في أبيات له. وقال صخر بن عبدالله الهُذلي، وهو صخر الغي:

ومن كبير نفرٌ زبانيهْ[1]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم: **﴿ قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم، إن أَجْرِيَ إلا على الله، وهو على كلِّ شيءٍ شهيد ﴾.**

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ: فلما جاء رسولُ الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقَه فيما حدَّث، وموقع نبوتِه فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه، حال الحسدُ منهم له بينَهم وبين اتِّباعه وتصديقه: فعَتَوْا على الله وتركوا

---

(١) وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت: كبير: حي من هُذَيْل قال المؤلف: وفي أسد أيضا: كبير بن غنم بن دودان بن أسد، ومن ذريته: بنو جحش بن ريان ابن يعمر بن صبوة بن مرة بن كبير، ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء، فإنهم أشهر، والله أعلم، وبنو كبير أيضا: بطن من بني غامد، وهم من الأزد، والذي ذكره من هذيل هو: كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل ــ وانظر الروض الأنف من تحقيقنا.

أمرَه عياناً، ولجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآنِ والغَوْا فيه لعلكم تَغْلبون** ﴾ أي اجعلوه لغوا وباطلا، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك. فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم.

فقال أبو جهل يوماً يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء من الحق: يا معشر قريش يزعم محمدٌ أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار يحبسونكم فيها تسعةَ عشرَ، وأنتم أكثر الناس عدداً، وكثرة، أفيعجز كلُّ مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله: ﴿ **وما جعلنا أصحابَ النارِ إلا ملائكةً، وما جعلنا عدَّتَهم إلا فتنةً للذين كفروا** ﴾ إلى آخر القصة، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلي، يتفرقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعضَ ما يتلُو من القرآن وهو يصلي، استرق السمعَ دونَهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشيةَ أذاهم فلم يستمعْ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوتَه فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمعُ منه.

قال ابن إسحاق: حدثني داود بن الحُصَيْن، مولى عُمر بن عثمان، أن عِكْرِمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿ **ولا تجهرْ بصلاتِك ولا تخافتْ بها وابتغِ بينَ ذلك سبيلا** ﴾ من أجل أولئك النفر يقول: لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك، ولا تخافتْ بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعَها ممن يسترق ذلك دونَهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به.

أول من جهر بالقرآن

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بنُ عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ، فقالوا: والله ما سمعتْ قريش هذا القرآن يجهر لها به قطُّ، فمَنْ رجل يُسْمِعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه؛ قال دعوني فإن الله سيمنَعُني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عندَ المقام ثم قرأ: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ رافعاً بها صوته ﴿ **الرحمنُ علَّم القرآن** ﴾ قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ما ذا قال ابنُ أمِّ عَبْد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلُو بعضَ ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجْهِه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغَ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خَشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداءُ الله أهونَ عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً؛ قالوا لا، حَسْبُك، قد أسمعتَهم ما يكرهون.

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ

قال ابن إسحاق : وحدثني محمدُ بنُ مسلمِ بنِ شهابٍ الزهريُّ أنه حُدِّث : أن أبا سُفْيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شَرِيق بن عَمرو بن وهب الثَّقفي، حليف بني زُهْرة خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي من الليل في

بيته، فأخذ كلُّ رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا فجمعهم الطريقُ، فتلاوموا، وقال بعضُهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثانية، عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثالثةُ أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا، فجمعهم الطريق. فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهدَ ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا.

الأخنس يستفهم عما سمعه: فلما أصبح الأخنسُ بن شَرِيق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعتُ أشياءَ أعرفها وأعرف ما يُراد بها، وسمعت أشياءَ ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها؛ قال الأخنسُ: وأنا والذي حلفتَ به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيتَه، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سَمِعْتَ من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحازينا على الرُّكب[1]، وكنا كفرسَيْ رهان، قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السماء؛ فمتى ندرك مثلَ هذه، والله لا نؤمنُ به أبداً ولا نصدقه قال: فقام عنه الأخنسُ وتركه.

---

(١) فلما تحازينا على الركب: وقع في الجمهرة: « الجاذي »: المقعي على قدميه قال: وربما جعلوا الجاذي والجاثي سواء.

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله: قالوا يهزءون به: ﴿ **قلوبُنا في أَكِنَّةٍ مما تدعونا إليه** ﴾ لا نفقه ما تقول ﴿ **وفي آذانِنا وقر** ﴾ لا نسمع ما تقول ﴿ **ومن بيننا وبينك حجابٌ** ﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿ **فاعمل** ﴾ بما أنت عليه ﴿ **إننا عاملون** ﴾ بما نحن عليه، إنا لا نفقه عنك شيئاً، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم: ﴿ **وإذا قرأت القرآنَ جعلنا بينَك وبينَ الذين لا يؤمنون بالآخرةِ حجاباً مستوراً** ﴾[1]... إلى قوله: ﴿ **وإذا ذكرتَ ربَّك في القرآنِ وحدَه ولَّوْا على أدبارِهم نفورا** ﴾: أي كيف فهموا توحيدَك ربَّك إن كنتَ جعلتَ على قلوبِهم أكنة هو في آذانهم وقراً، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم؛ أي إني لم أفعل ذلك. ﴿ **نحن أعلمُ بما يستمعون إليك، وإذ هم نَجْوَى، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً** ﴾: أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثك به إليهم. ﴿ **انظر كيفَ ضربوا لك الأمثالَ فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً** ﴾: أي أخطئوا المثل الذي ضربوا لك، فلا يصيبون به هُدًى، ولا يعتدل لهم فيه قول ﴿ **وقالوا أءذا كنا عظاماً ورُفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً** ﴾: أي قد جئتَ تخبرنا أنا سنُبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا، وذلك ما لا يكون. ﴿ **قل كونوا حجارةً أو حديداً، أو خَلْقاً مما يَكْبُر في صدورِكم فسيقولون من يُعيدنا، قل الذي خلقكم أولَ مرةٍ** ﴾: أي الذي خلقكم مما تعرفون، فليس خلقكم من تراب بأعزِّ من ذلك عليه.

---

(١) قول الله سبحانه خبراً عنهم: ﴿ **وجلعنا بينك، وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً** ﴾: قال بعضهم: « مستور » بمعنى: ساتر كما قال: ﴿ **وكان وعده مأتياً** ﴾ أي: آتياً، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه، لأنه حجاب على القلب، فهو لا يرى.

قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن مُجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿ **أو خلقاً مما يكبرُ في صدورِكم** ﴾ ما الذي أراد به الله؟ فقال: الموت[1].

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم، واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضاء مكة إذا اشتد الحرُّ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفتَن من شدةِ البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصْلُب لهم، ويعصمه الله منهم.

ما لقيه بلال وتخليص أبي بكر له: وكان بلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، لبعض بني جُمَح، مُوَلَّدا من مُوَلِّديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه حمامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب، وكان أميةُ بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح يُخرجه إذا حَميت

---

(١) أراد ابن عباس أن الموت سيفني كما يفني كل شيء كما جاء أنه يُذبح على الصراط، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديدا لأدرككم الفناء والموت، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم، فلا بد لكم من الفناء ــ والله أعلم ــ بتأويل ذلك.

الظهيرةُ، في بَطْحاءِ مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموتَ، أو تكفرَ بمحمد، وتعبد اللات والعُزَّى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَد أَحَد.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشامِ بن عُروة عن أبيه، قال: كان ورقة بن نَوْفل يمر به وهو يُعَذَّب بذلك، وهو يقول: أَحَد أَحَد؛ فيقول: أَحَد أَحَد والله يا بلال، ثم يُقْبِل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حَنَاناً[1]، حتى مر به أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة رضي الله عنه يوما، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟! قال: أنت الذي أفسدتَه فأنقذْه مما ترى؛ فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلامٌ أسود أجلد منه وأقوى، على دينِك، أُعْطِيكه به؛ قال: قد قبلتُ فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامَه ذلك، وأخذه فأعتقه.

من أعتقهم أبو بكر: ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجرَ إلى المدينة سِتَّ رقابٍ، بلالٌ سابعهم: عامر بن فهيرة، شهد بدراً وأحدا، وقُتل يوم بئر معونة شهيداً؛ وأم عُبَيْس[2] وزِنِّيرة[3]، وأصيب

---

(١) حَنَّانا: أي إذا مات أجعل قبره مُتبركاً به.

(٢) أم عُمَيس، كانت لبني تيم بن مرة أعتقها أبو بكر، وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عُذبوا في الله لما أعطوا بألسنتهم ما سئلوا من الكفر، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الأُدم فيها الماء، فوضعوهم فيها وأخذوهم بأطراف الأنطاع، واحتملوهم إلا بلالا.

(٣) وذكر زنيرة التي أعتقها أبو بكر، وأول اسمها: زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فعيلة، هكذا صحت الرواية في الكتاب، والزنيرة: واحدة الزنانير، =

بصرُها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرَها إلا اللاتُ والعزَّى؛ فقالت: كذَبُوا وبيتِ الله ما تضرُّ اللاتُ والعزى وما تنفعان، فرد اللهُ بصرَها.

وأعتق الهَدِيةَ وبنتَها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقهما أبداً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: حلٌّ[1] يا أم فلان؛ فقالت: حِلَّ، أنت أفسدتهما فأعتقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا؛ قال: وقد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أونفرُغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما.

ومر بجارية بني مُؤمَّل، حَيٍّ من بني كعب، وكانت مُسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربُها، حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذر إليكِ، إني لم أتركْك إلا ملالة؛ فتقول: كذلك فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

أبو قحافة يلوم أبا بكر: قال ابن إسحاق: وحدثني محمدُ ابن عبد المطلب بن أبي عَتِيق، عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن بعض أهله، قال:

قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بُنَي، إني أراك تُعْتِق رقاباً ضِعافاً فلو أنك إذا ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونَك؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبتِ، إني إنما أريد ما أريد لله

= وهي الحصا الصغار، قاله أبو عبيدة، وبعضهم يقول فيها: زنبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها، ولا تعرف زنبرة في النساء.

(١) أي تحللي من يمينك.

عز وجل. قال: فيُتَحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿ **فأمَّا من أعطَى واتَّقى وصدَّق بالحسنى** ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ **وما لأحدٍ عندَه من نعمةٍ تُجْزى. إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأعلى. ولسوف يرضى** ﴾.

تعذيب آل ياسر: قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يَخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وأمه، وكانوا أهلَ بيت إسلام، إذا حَمِيت الظهيرة، يعذبونهم برَمْضاء[1] مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول فيما بلغني: « صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة ». فأما أمه فقتلوها وهي تأبَى إلا الإسلامَ[2].

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغْرِي بهم في رجالٍ من قريش، إذا سمع بالرجلِ قد أسلم له شرف ومَنَعة، أنَّبه وأخْزاه وقال: تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك، لنُسَفهنَّ حلمَك، ولنفيِّلن[3] رأيك، ولنضعنَّ شرفَك؛ وإن كان تاجراً قال: والله لنُكْسِدَنَّ تجارتَك، ولنُهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرَى به.

فتنة المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن جُبَير عن سعيد بن جُبَير، قال: قلتُ لعبدالله بن عباس: أكان المشركون يبلغون

---

(١) الرمضاء: الرمال شديدة الحرارة.

(٢) أم عمار بن ياسر: هي سُمية، وهي أول شهيدة في الإسلام، وروي أن عماراً قال لرسول الله ﷺ، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ، فقال له النبي ﷺ: صبراً أبا اليقظان، ثم قال: اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار، وسُمية أمه، وهي بنت خياط، كانت مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة، واسمه مهشم، وهو عم أبي جهل، ومن ولد عمار: عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن عمار ابن ياسر، وهو المقتول بالأندلس، قتله عبد الرحمن بن معاوية.

(٣) لنفيلن: لنقبِّحن.

من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعْذَرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليُضربون أحدَهم ويجيعونه ويُعَطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيَهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له؛ آللاتُ والعُزَّي إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، حتى إن الجُعْلَ ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجُعْلُ إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده.

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش: قال ابن إسحاق: وحدثني الزبير بن عُكَّاشة بن أبي أحمد أنه حُدِّث أن رجالا من بني مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم: سَلَمة ابن هشام، وعياش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له وخَشَوْا شرَّهم: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا، فإنا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به، فعاتبوه وإياكم ونفسَه، وأنشأ يقول:

ألا لا يقتلنَّ أخي عُيَيْش فيبقى بيننا أبداً تلاحِي

احذروا على نفسِه، فأُقْسم بالله لئن قتلتموه لأقتلنَّ أشرفَكم رجلاً قال: فقالوا: اللهم العنْه، من يُغَرِّر بهذا الخبيث، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتلَ أشرفَنا رجلا. قال: فتركوه ونزعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع اللهُ به عنهم.

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابَه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعَهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرضِ الحبشة فإن بها مَلَكا[1] لا يُظْلَم عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ، حتى يجعلَ اللهُ لكم فرجاً مما أنتم؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابِ رسول الله ﷺ إلى أرضِ الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أولَ هجرة كانت في الإسلام.

أوائل المهاجرين إلى الحبشة: وكان أولَ من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر: عثمانُ بن عفان بن أبي العاص بن أمية، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، معه امرأته: سَهْلة بنت سُهَيْل بن عَمرو، أحد بني عامر بن لُؤَي، وَلَدت له بأرض الحبشة محمدَ بن أبي حُذَيفة. ومن بني أسد بن عبد العُزى بن قصي: الزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد. ومن بني عبد الدار بن قصي: مُصْعَب بن عُمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار. ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة. ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن

---

(١) ملكاً: يطلق عليه النجاشي لأنه اسم لكل ملك يلي الحبشة، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس، وخاقان اسم لملك الترك كائنا من كان، وبطليموس: اسم لمن ملك اليونان، واسم هذا النجاشي: أصحمة بن أبحر وتفسيره: عطية.

عبدالله بن عُمر بن مخزوم، ومعه امرأته: أم سَلَمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم. ومن بني جُمَح بن عمرو ابن هُصَيْص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح. ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عَنْز بن وائل ــ معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف بن عبيد بن عُوَيج ابن عدي بن كعب. ومن بني عامر بن لؤي: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزى بن أبي قَيْس بن عبد وُد بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ويقال: هو أول من قدمها. ومن بني الحارث بن فهر: سُهَيْل ابن بيضاء، وهو سُهَيْل ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغني.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمانُ بن مظعون، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهلَ له معه.

المهاجرون من بني هاشم: ومن بني هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر: جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، معه امرأتُه أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خَثْعم، ولدت له بأرض الحبشة: عبدَالله بن جعفر، رجل.

المهاجرون من بني أمية: ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته: رقيةُ ابنة رسول الله ﷺ، وعَمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية، معه امرأته: فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّث بن شِق بن رَقَبة بن مُخْدِج الكناني، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية، معه امرأته أُمَيْنة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ابن سبيع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو، من خزاعة.

قال ابن هشام: ويقال هُمَيْنة بنت خلف.

قال ابن إسحاق: ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد، وأمَةَ بنت خالد، فتزوج أمةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوام، فولدت له عمرو ابن الزبير، وخالد بن الزبير.

المهاجرون من بني أسد: ومن حلفائهم، من بني أسد بن خُزَيمة: عبدالله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مرة بن كبير ابن غَنْم بن دُودان بن أسد؛ وأخوه عُبَيْد الله بن جَحْش، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. وقيس بن عبدالله، رجل من بني أسد بن خُزَيمة، معه امرأته بركة بنت يسار، مولاة أبي سفيان ابن حرب بن أمية؛ ومعيقيب بن أبي فاطمة. وهؤلاء آل سعيد بن العاص، سبعة نفر.

قال ابن هشام: مُعَيْقيب من دوس.

المهاجرون من بني عبد شمس: قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شمس[1] بن عبد مناف أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد

---

(١) عبد شمس أو عبشمس: ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال، وأما عبشمس بن =

شمس؛ وأبو موسى الأشعري، واسمه عبدالله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة، رجلان.

المهاجرون من بني نَوْفل: ومن بني نَوْفل بن عبد مناف: عُتبة ابن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نَسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة، بن قيس بن عَيْلان، حليف لهم، رجل.

المهاجرون من بني أسد: ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصي: الزبير بن العوام بن خُوَيْلد بن أسد، والأسْوَد بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسد، ويزيد بن زَمْعة بن الأسْوَد بن المطلب بن أسد. وعُمر بن أمية بن الحارث بن أسد، أربعة نفر.

المهاجرون من بني عبد بن قُصي: ومن بني عبد بن قُصي: طُلَيب بن عُمَيْر بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي، رجل.

المهاجرون من بني عبد الدار بن قصي: ومن بني عبد الدار ابن قُصي: مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسُوَيْبط بن حرملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السبَّاق بن عبد الدار، وجَهْم بن قَيْس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، معه امرأته: أم حَرْملة بنت عبد الأسْود بن جُذيمة بن أُقَيْش ابن عامر بن بَيَاضة بن سُبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو،

= سعيد بن زيد مناة بن تميم، فقال فيه أبو عبيد والقتبي: عبد شمس كما في الأول. وقال أكثر الناس فيه، عبشمس، ثم اختلفوا في معناه، فقيل، معناه: عبد شمس، لكن أدغمت الدال، وقيل: بل عبشمس وعب الشمس هو ضوؤها أو صفاؤها، وقيل في المثل: هو أبرد من عبقر أي: البرد. وفيه قول ثالث: أعني: عبشمس. وهو مروي عن ابن عمر. وقال معناه: عبء شمس بالهمزة، ثم حذفت الهمزة تسهيلا.

من خزاعة؛ وابناه: عَمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جَهْم. وأبو الرُّوم بن عُمَير بن هاشم بـن عبد مناف بن عبد الدار؛ وفِراس بن النضْر بن الحارث بن كَلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بني زهرة: ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبْد عَوْف بـن عبد بن الحارث بن زُهرة؛ وعامر بن أبي وقَّاص وأبو وقَّاص مالك بن أُهَيْب بـن عبد مناف ابن زُهرة؛ والمطَّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث ابن زُهْرة، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وَلدت له بأرض الحبشة: عبدَالله بن المطلب[1].

المهاجرون من بني هذيل: ومن حلفائهم من هُذَيل: عبدالله ابن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صَاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل: وأخوه: عُتبة بن مسعود.

المهاجرون من بهراء: ومن بهراء: المِقْداد بن عَمرو بن ثعلبة ابن مالك بن ربيعة بن ثُمامة بـن مطرود بن عَمرو بن سعد بن زُهَير بن لُؤَي بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن أبي أهْوز بن أبي فائش بـن دُرَيم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عَمرو بن الحاف ابن قضاعة.

قال ابن هشام: ويقال هزل بن فاس بن ذَر، ودَهِير بن ثَوْر.

قال ابن إسحاق: وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث

---

(١) ذكر من بني زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة، وهم ستة نفر، ولم يذكر السابع، وهو: عبد الله بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، وكان اسمه: عبد الجان، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين، ثم أسلم.

ابن وهب بن عبد مناف بـن زُهرة، وذلك أنه تبناه في الجاهلية وحالفه، ستة نفر.

المهاجرون من بني تَيْم: ومن بني تَيْم بن مرة: الحارث بن خالد بن صخر بن عَامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، معه امرأته: رَيْطة بنت الحارث بن جَبَلَة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، ولدت له بأرض الحبشة: موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث. وعَمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، رجلان.

المهاجرون من بني مخزوم: ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، ومعه امرأته أم سَلَمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بـن عمر ابن مخزوم، ولدت له بأرض الحبشة: زينبَ بنت أبي سلمة، واسم أبي سلمة عبدالله، واسم أم سلمة: هند. وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّرِيد ابن سُوَيْد بن هَرْمِي بن مخزوم.

خبر الشماس: قال ابن هشام: واسم شَمَّاس: عثمان، وإنما سُمي شماسا، لأن شماسا من الشمامسة قَدِم مكة في الجاهلية، وكان جميلا فعجب الناس من جماله، فقال عتبة بن ربيعة، وكان خال شماس: أنا آتيكم بشماس أحسن منه، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان، فسمي شماسا، فيما ذكر ابن شهاب وغيره.

قال ابن إسحاق: وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسَد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، وأخوه عبدالله بن سفيان: وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم؛ وعَيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم؛ ومن حلفائهم، مُعَتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كُلَيب بن حَبشية ابن سلول ابن كعب بن عمرو، من خزاعة، وهو الذي يقال له: عَيْهامة، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال حُبْشية ابن سلول، وهو الذي يقال له معتِّب ابن حمراء.

المهاجرون من بني جُمح: ومن بني جُمح بن عَمرو بن هُصَيْص ابن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح؛ وابنه السائب بن عثمان: وأخواه قُدامة بن مظعون، وعبدالله ابن مظعون؛ وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، معه امرأته: فاطمةُ بنت المجلَّل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر: وابناه: محمد ابن حاطب، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المجلَّل؛ وأخوه حطاب ابن الحارث، معه امرأته فُكَيهة بنت يسار؛ وسفيان بن معمر بن حبيب ابن وهب بن حُذافة بن جُمَح، معه ابناه جابر بن سفيان، وجُنادة ابن سفيان، ومعه امرأته حَسنة، وهي أمهما، وأخوهما من أمهما شَرَحْبيل ابن حسنة، أحد الغوث.

قال ابن هشام: شرحبيل بن عبدالله أحد الغَوث بن مُرّ، أخي تميم بن مر.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح، أحد عشر رجلا.

المهاجرون من بني سهم: ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص ابن كعب، خُنَيْس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛

وعبدالله بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سهل، وهشام ابن العاص بن وائل بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم.

قال ابن إسحاق: وقَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عَدِي بن سعد ابن سهم، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وعبدالله بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، والحارث ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، ومَعْمَر بن الحارث بن قَيْس ابن عدي بن سعد بن سهم؛ وبِشر بن الحارث بن قَيْس بن عَدِيٍّ ابن سعد بن سهم، وأخ له من أمه من بني تميم، يقال له: سعيد ابن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛ والسَّائب بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سهم. وعُمَيْر ابن رِئاب بن حُذيفة بن مُهَشِّم بن سعد بن سهم. ومَحْمِية بن جَزْء، حليف لهم، من بني زبيد، أربعة عشر رجلا.

المهاجرون من بني عدي: ومن بني عدي بن كعب: مَعْمر ابن عبدالله بن نَضْلَة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيد ابن عُوَيْج بن عدي؛ وعُروة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عَدِيّ، وعدي بن نَضْلَة بن عبد العُزى بن حُرْثان ابن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدي، وابنه النعمان بن عَدِيٍّ، وعامر ابن ربيعة، حليف لآل الخطاب من عنز بن وائل، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم. خمسة نفر.

المهاجرون من بني عامر: ومن بني عامر بن لؤي: أبو سَبْرة ابن أبي رُهْم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأته: أم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو

ابن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالله بن مَخْرَمة بن عبد العُزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالله بن سُهَيل بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن مالك بن حِسْل بن عامر، وسَلِيط بن عَمرو ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وأخوه السكران بن عمرو، معه: امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ومالك بن زَمْعَة بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه: امرأته عمرة بنت السَّعْدي بن وَقْدان ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر، وسعد بن خَولة، حليف لهم، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَولة من اليمن.

المهاجرون من بني الحارث: قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث ابن فِهْر: أبو عُبَيْدة بن الجراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهر، وسُهَيل ابن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، ولكن أمه غلبت على نسبه، فهو ينسب إليها، وهي دعد بنت جحدم ابن أمية من ظرب بن الحارث بن فِهْر، وكانت تدعى بيضاء، وعمرو ابن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، ويقال: بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن مالك بن ضَبة بن الحارث، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شداد بن

ربيعة بن هلال بن مالك بن ضَبة بن الحارث، وسعد بن عبد قيس ابن لَقيط بن عامر بن أمية بن ظَرَب بن الحارث، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أمية بن ظَرَب بن الحارث بن فهر. ثمانية نفر[1].

عدد مهاجري الحبشة: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يُشَك فيه[2].

شعر عبدالله بن الحارث في هجرة الحبشة: وكان مما قيل من الشعر في الحبشة أن عبدالله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سَهْم، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشيُّ جوارَهم حين نزلوا به قال:

يا راكباً بَلِّغَنْ عني مُغَلْغَلةً ... من كان يرجو بلاغَ اللهِ والدينِ[3]
كلُّ امرئٍ من عبادِ الله مضطهد ... ببطن مكةَ مقهورٍ ومفتونِ
أنا وجدنا بلادَ الله واسعةً ... تُنجي من الذلِّ والمَخْزاةِ والهونِ
فلا تقيموا على ذلِّ الحياةِ وخِز ... يٍ في الممات وعيبٍ غيرِ مأمونِ
إنا تبعنا رسولَ الله واطَّرحوا ... قولَ النبيِّ وعالوا في الموازينِ[4]

---

(١) لم يذكر فيهم تميم بن الحارث، وذكره الواقدي وغيره. والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم: ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾.

(٢) شك ابن إسحاق في عمار بن ياسر: هل هاجر إلى أرض الحبشة، أم لا؟ والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة. وغيرهما أنه لم يكن فيهم.

(٣) المغلغلة: الرسالة.

(٤) عالوا: خانوا.

فاجعل عذابَك في القومِ الذين بَغَوْا وعائـذاً بك أن يغلـوا فيطغونـي

وقال عبدالله بن الحارث أيضاً، يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم، ويعاتب بعض قومه في ذلك:

أبَتْ كَبِدي، لا أكْذِبَنْكَ، قتالَهم عليَّ وتأبـاه عليَّ أناملـي
وكيف قتالي مَعشراً أدَّبوكمُ على الحقِّ أن لا تَأْشِبوه بباطلِ[1]
نفتهمْ عبادُ الجنِّ من حُرِّ أرضِهم فأضْحَوْا على أمرٍ شديدِ البلابلِ[2]
فإن تكُ كانت في عَدِيٍّ أمانةٌ عديّ بن سعد عن تُقًى أو تواصلِ
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكمُ بحمدِ الذي لا يُطَّبِي بالجعائلِ[3]
وبُدِّلت شِبلاً شِبْلَ كلِّ خبيئةٍ بذي فَجَرٍ مأْوَى الضِّعافِ الأرامل[4]

وقال عبدالله بن الحارث أيضاً:

وتلك قريشٌ تجحَدُ اللهَ حقَّه كما جحدت عادٌ ومدينُ والحِجْرُ[5]
فإن أنا لم أبْرِقْ فلا يَسَعَنَّني من الأرضِ برٌّ ذو فضاءٍ ولا بحرُ[6]
بأرضٍ بها عَبد الإلهَ محمدٌ أبيِّنُ ما في النفسِ إذ بلغ النَّقْرُ[7]

---

(١) أن لا تأشبوه: أي أن لا تخلطوه.
(٢) البلابل: وساوس الأحزان.
(٣) لا يطبي بالجعائل: لا يستمال بالرِّشوة.
(٤) الفجر: العطاء.
(٥) الحجر: ليست بأمَّة. ولكنها ديار ثمود. أراد: أهل الحجر، وأما مدين فأنه شعيب، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام، وأمهم: قطورا بنت يقظان الكنعانية، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم، ذكرهم السهيلي في كتابه التعريف والإعلام ونقله السيوطي عنه.
(٦) وبالبيت سمي المبرق بهذا الاسم.
(٧) النقر: البحث.

فسمي عبدالله بن الحارث ــ يرحمه الله ــ لبيته الذي قال: « المُبْرِق ».

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أُمية بن خلف بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح، وهو ابن عمه وكان يؤذيه في إسلامه، وكان أمية شريفا في قومه في زمان ذلك:

أَتَيْمَ بنَ عمرو للذي جاء بغضُه ... ومن دونه الشَّرمان والبرك أكتع
أأخرجتني من بطنِ مكةَ آمناً ... وأسكنتني في صرحِ بيضاءِ تقذع[2]
تَريشُ نبالاً لا يواتيك ريشُها ... وتَبْري نبالاً ريشُها لكَ أجمعُ
وحاربتَ أقواماً كراماً أعزَّةً ... أهلكتَ أقواماً بهم كنتَ تَفْزعُ
ستعلم إن نابتْك يوماً مُلِمَّةٌ ... وأسلمك الأوباشُ ما كنتَ تصنعُ[3]

وتَيْم بن عمرو، الذي يدعو عثمان، جمحُ، كان اسمه تَيْما.

---

(١) الشرمان: تثنية شرم وهو لجة البحر، والبرك: الإبل الباركة.

(٢) صرح بيضاء: مدينة الحبشة. وأصل الصرح: القصر، يريد: أنه ساكن عند صرح النجاشي. وتقذع: أي: تكره كأنه من أقذعت الشيء، إذا صادفته قذعاً، ويقال أيضاً: قذعت الرجل إذا رميته بالفحش، ويريد أن أرض الحبشة مقذوعة، وأحسب هذه الرواية تصحيفاً، والصحيح: عن قول الزبير وروايته، أنه بيطاء بالطاء وتقدع بالدال ــ وانظر: الروض الأنف للإمام السهيلي من تحقيقنا.

(٣) الأوباش: ويريد أخلاطا من الناس، يقال: أوشاب وأوباش، والأوباش أيضاً شجر متفرق والوبش بياض في أظفار الأحداث.

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

من أرسلتهما قريش في طلب المهاجرين: قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينَهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلْدَين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارِهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبدَالله بن أبي ربيعة، وعَمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته[1]، ثم بعثوهما إليه فيهم.

شعر أبي طالب للنجاشي: فقال أبو طالب، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتا للنجاشي يحضه على حسنِ جوارِهم والدفع عنهم:

لَيتَ شِعْري كيفَ في النأْيِ جعفرٌ ... وعمرٌو وأعداءُ العدوِّ الأقاربُ[2]

وهل نالت افعالُ النجاشيِّ جعفراً ... وأصحابَه أو عاق ذلك شاغبُ

---

(١) بطارقته: قواده.

(٢) النأي: البعد.

تعلَّـم أبـيتَ اللعـنَ، أنك ماجـدٌ كريمٌ فلا يَشْقَى لديك المُجانِبُ[1]
تعلَّـم بـأن الله زادك بَسْطـةً واسبابَ خيرٍ كلُّهـا بك لاَزِبُ
وأنك فَـيْضٌ ذو سِجـالٍ غزيـرةٍ ينـال الأعـادي نفعَهـا والأقـاربُ

حديث أم سلمة[3] عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي: قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهريّ عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خيرَ جار: النجاشيَّ، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا اللهَ تعالى لا نُؤْذَي ولا نسمعُ شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جَلْدَينِ؛ وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستظرِف من متاعِ مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَم[4]، فجمعوا له أَدَماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو ابن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كلِّ بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عندَه بخير دار، عند خيرِ جارٍ، فلم يبقَ من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل

---

(١) المجانب: الداخل في الحمى.

(٢) لازب: لاصق.

(٣) أم سلمة وبعلها أبو سلمة، توفي عنها بالمدينة، وخلف عليها رسول الله ﷺ وقيل في اسمها: رملة، وأبوها أبو أمية اسمه حذيفة يعرف بزاد الراكب. انظر الإصابة، للحافظ ابن حجر وعلى ذيلها الاستيعاب للإمام ابن عبد البر ــ تصدر قريباً من تحقيقنا.

(٤) الأدم: الجلود.

أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوَى[1] إلى بلد الملك منا غلمان سُفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدَع، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلَى بهم عيناً[2]، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفُه نحنُ ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو ابن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشيُّ. قالت: فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمْهم إليهما فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لاهَا الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومِهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتَهم منهما، وأحسنت جوارَهم ما جاوروني.

---

(١) ضوى: لجأ.

(٢) أي أبصر بهم من غيرهم.

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي: قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه المِلل؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكلُ الميتةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطع الأرحام. ونسيء الجوار ويأكل القويُّ منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبَه وصدقَه وأمانته وعفافَه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤُنا من الحجارةِ والأوثانِ وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلةِ الرَّحمِ وحسنِ الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ــ قالت: فعدد عليه أمور الإسلام ــ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا اللهَ وحدَه، فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارِك، ورجونا أن لا نُظلَم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشي: فاقرأه علي؛ قالت: فقرأ عليه صدراً من: « كهيعص » قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفَهم، حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلِقَا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكَادون.

رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشي: قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خَضْرَاءَهم. قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال : والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسِلْ إليهم فسلْهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها قطُّ. فاجتمع القوم، ثم قال بعضُهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته[1] ألقاها إلى مريم

---

(١) روح الله وكلمته: معنى: كلمته أي: قال له، كما قال لآدم حين خلقه من تراب، ثم قال له: كن فكان.

أما روح الله، فلأنه نفخه روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة، والقدس: الطهارة =

العذراء البتول قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عُوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العودَ. قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ــ والشيوم[1]: الآمنون ــ من سبَّكم غَرِم، ثم قال: من سبكم غَرِم، ثم قال: من سبكم غَرِم. ما أُحبُّ أن لي دَبراً من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم.

قال ابن هشام: ويقال دبري من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم. والدبر بلسان الحبشة: الجبل ــ ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله من الرِّشْوَة حين ردَّ عليَّ ملكي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مَقْبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار[2].

= من كل ما يشين، أو يعيب، أو تقذره نفس، أو يكرهه شرع، وجبريل: روح القدس، فهو مضاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم، لأنه صادر عن الحضرة المقدسة وعيسى عليه السلام صادر عنه، فهو: روح الله على هذا المعنى جل جلال الله.

(١) الشيوم: هم الآمنون، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية، وأن تكون من شمت السيف إذا أغمدته، لأن الآمن مغمد عنه السيف، أو لأنه مصون في صوان وحرز كالسيف في غمده. الروض الأنف جـ ٢ ص ٩٢.

(٢) حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي، فيه من الفقه: الخروج عن الوطن، وإن كان الوطن مكة على فضلها، إذا كان الخروج فراراً بالدين، وإن لم يكن إسلام، فإن الأحباش كانوا نصارى يعبدون المسيح، ولا يقولون: هو عبد الله. وقد تبين ذلك في هذا الحديث، وسموا بهذه مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: ﴿ **والسابقون الأولون** ﴾ وجاء في التفسير: أنهم الذين صلوا القبلتين، وهاجروا الهجرتين، وقد قيل أيضاً: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم، ورجاء أنْ يخلي بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين.

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي: قالت: فوالله إنا لعلى ذلك، إذا نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه. قالت: فوالله ما علمتُنا حَزِنَّا حزناً قطُّ كان أشدَّ علينا من حزن حزناه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقِّنا ما كان النجاشيُّ يعرف منه. قالت: وسار إليه النجاشيُّ، وبينهما عَرضُ النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضرَ وقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت. فقال الزبير بن العوام. أنا. قالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سِنّاً. قالت: فنفخوا له قربةً فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقَى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا اللهَ تعالى للنجاشيِّ بالظهور على عدوِّه، والتمكين له في بلاده.

قالت: فوالله إنا لعلَى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبيرُ وهو يسعَى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشيُّ، وأهلك اللهُ عدوَّه، ومكَّن له في بلاده. قالت: فوالله ما علمتنا فَرِحنا فرحةً قط مثلَها قالت: ورجع النجاشيُّ، وقد أهلك الله عدوَّه، ومكن له في بلاده، واستوثق عليه أمرُ الحبشة فكنا عنده في خير مَنْزِل، حتى قَدِمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

قصة تملك النجاشي على الحبشة

قتل أبي النجاشي وتملك عمه: قال ابن إسحاق: قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرِّشْوَة حين رد عليَّ ملكي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإن عائشة أمّ المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشةُ بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا، فتوارثوا ملكَه من بعده، بقيت الحبشةُ بعدَه دهراً، فَغَدَوْا على أبي النجاشي فقتلوه، وملَّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينا.

الحبشة تبيع النجاشي: ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيبا حازما من الرجال، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزِلة، فلما رأت الحبشةُ مكانَه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملِّكه علينا، وإن ملَّكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه. فمشَوْا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خِفناه على أنفسنا؛ قال: ويلكم! قتلت أباه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم؛ فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كان العشيّ من ذلك اليوم، هاجت سحابةٌ من سحائبِ الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته. قالت: ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا

هو مُحمَّق، ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرُهم[1].

تولية النجاشي الملك: فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضُهم لبعض: تَعلَّموا والله أن مَلِكَكم الذي لا يقيم أمرَكم غيرُه للذي بعتم غَدوةً، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن قالت: فخرجوا في طلبه، وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منه؛ ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، فملَّكوه.

حديث التاجر الذي اشتراه: فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلمه في ذلك؟ قالوا: لا نعطيك شيئا، قال: إذن والله أكلمه؛ قالوا: فدونَك وإياه. قالت: فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلاما من قوم بالسوق بست مئة درهم، فأسلموا إليَّ غلامي وأخذوا دراهمي، حتى إذا سرت بغلامي أدركوني، فأخذوا غلامي، ومنعوني دراهمي. قالت: فقال لهم النجاشي: لتُعْطُنَّه دراهمه، أو ليضعن غلامُه يدَه في يده، فليذهبن به حيث شاء؛ قالوا: بل نعطيه دراهمه قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله مني رِشوة حين ردَّ عليّ ملكي، فآخذ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه. قالت: وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما مات النجاشي، كان يتحدث أنه لا يزال يُرَى على قبره نورٌ.

---

(١) مرج الأمر: اختلط.

إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشةُ فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت دينَنا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سُفناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإذا هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرتُ فاثبتوا ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبدُه ورسولُه وروحُه، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفُّوا له؛ فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقَّ الناس بكم؟ قالوا. بلى؛ قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا. خير سيرة؛ قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت دينَنا، وزعمت أن عيسى عبدٌ؛ قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله؛ فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا[1]. فبلغ ذلك النبي ﷺ؛ فلما مات النجاشي صلى عليه، واستغفر له[2].

---

(١) فيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صراحاً، ولا أن يعطي بلسانه الكفر، وإن أكره ما أمكنته الحيلة، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب.

(٢) كان موت النجاشي في رجب من سنة تسع، ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه، وصلى عليه بالبقيع، رُفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه، وهو بالمدينة فصلى عليه، وتكلم المنافقون، فقالوا: أيصلي على هذا العلج؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم** ﴾ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب، كان ابناً للنجاشي نفسه، وأن عليا وجده عند تاجر بمكة، فاشتراه منه، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين.

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: ولما قَدم عمرُو بنُ العاص وعبدُالله بن أبي ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، ورَدَّهما النجاشي بما يكرهون، وأسلم عُمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحابُ رسول الله ﷺ وبحمزة حتى عازُّوا[1] قريشاً، وكان عبدالله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصليَ عند الكعبة، حتى أسلم عمرُ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه، وإن كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

قال البكائي: قال: حدثني مِسْعر بن كِدَام، عن سعد بن إبراهيم، قال: قال عبدالله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نُصلي عند الكعبة حتى أسلم عمرُ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه.

حديث أم عبدالله بنت أبي حَثْمَة عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عباس ابن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أمِّه أم عبدالله بنت أبي حَثْمَة، قالت:

---

(١) عازوا: غلبوا.

والله إنا لنترحل إلى أرضِ الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليَّ وهو على شركه ــ قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدةً علينا ــ قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبدالله، قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجا. قالت: فقال: صحبكم اللهُ، ورأيت له رقةً لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه ــ فيما أرى ــ خروجُنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيتَ عُمر آنفا ورقته وحزنَه علينا. قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قالت: يأساً منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام.

سبب إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زَيْد بن عَمرو بن نُفَيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بَعْلُها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نُعَيم بن عبدالله النحام من مكة، رجل من قومه، من بني عَدِي بن كعب قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فَرَقا من قومه، وكان خَبَّابُ بن الأَرَتِّ[1] يختلف إلى فاطمة

(١) وخباب تميمي بالنسب، كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي، وكان قد وقع عليه سباء، فاشترته وأعتقته، فولاؤه لها، وكان أبوها حليفاً لعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، فهو زهري بالحلف، وهو ابن الأرت بن جندلة ابن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان قيْنا يعمل السيوف في الجاهلية، وقد قيل: إن أمه كانت أم سباع الخزاعية، ولم يلحقه سباء، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بني زهرة، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا يحيى، وقيل أبا محمد، مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع علي صفين والنهروان، وقيل: بل مات سنة سبع وثلاثين. ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقي في ذات الله، فكشف ظهره، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لي نار، فما أطفأها إلا شحمي. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٩٨.

بنت الخطاب يُقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم، ممن كان أقام من رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة.

فلقيه نُعَيم بن عبدالله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابئ، والذي فرّق أمرَ قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله؛ فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرَهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خَتْنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عَمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب: فقد والله أسلما، وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما.

قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خبابُ بن الأَرَتِّ معه صحيفة، فيها: « طه » يُقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خَبَّاب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فَخِذِها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خَبَّاب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهَيْنَمَة[1] التي سمعتُ؟ قالا له: ما سمعتَ شيئا، قال: بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بِخَتْنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة

(١) الهينمة: كلام لا يفهم، واسم الفاعل منه مهينم، كأنه تصغير، وليس بتصغير.

بنت الخطاب لتكفه عن زوجِها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخَتْنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبا، فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردَّنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهرُ[1]، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفةَ، وفيها: « طه » فقرأها، فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوةِ نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: « اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب »، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خبَّاب علي محمد حتى آتيَه فأسلم، فقال له خَبَّاب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه.

---

(١) قال السهيلي عند الكلام على تطهير عمر ليمس القرآن، وقول أخته له: ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾: والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس ولكنهم وإن كانوا الملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضي ألا يمسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير، ولكنه حكم مندوب إليه، وليس محمولا على الفرض، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية، لأنه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة. لأنه قال المطهرون، وفرق ما بين المتطهر والمطهر: أن المتطهر من فعل الطهور، وأدخل نفسه كالمتفقه من يدخل نفسه في الفقه، وكذلك المتفعل في أكثر الكلام. فالآدميون متطهرون إذا تطهروا، والملائكة مطهرون خلقة، والآدميات إذا تطهرن: متطهرات ــ راجع الروض من تحقيقنا جـ ٢ ص ٩٨ــ٩٩.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خَلَلِ الباب فرآه متوشِّحا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فَزِعٌ، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشِّحاً السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: ائذنْ له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْزَته[1]، أو بمجمع ردائه، ثم جَبَذه به جَبْذةً شديدة، وقال: ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزلَ الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرةً عَرَف أهلُ البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم[2].

فتفرق أصحابُ رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سَيَمْنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوِّهم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم.

---

(١) موضع شد الإزار.

(٢) ذكر البزار في إسلام عمر أنه قال: فلما أخذت الصحيفة، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، فجعلت أفكر: من أي شيء اشتق، ثم قرأت فيها: ﴿ **سبح لله ما في السموات والأرض** ﴾. وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت: ﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وذلك إن كانت وردت رواية أن ما في الصحيفة من سورة الحديد.

ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي نَجِيح المكي عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمن روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأُسَر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحَزْوَرَة، عند دُور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي. قال : فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، قال : فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت: لو أني جئت فلانا الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجده. قال: فقلت: فلو أني جئت الكعبةَ فطفت بها سبعا أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني. قال: فقلت حين أتيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمعَ ما يقول فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأُرَوِّعنَّه؛ فجئت من قِبلِ الحِجْر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رُوَيْدا ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مُسْتقبلَه، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حُسَين، وكانت طريقَه، حتى يَجزع[1] المسْعَى، ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب، وبين دار ابن أزهر بن عبد عَوْف الزهري، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق، حتى يدخل بيته. وكان مسكنُه ﷺ في

---

(١) يجزع: يقطع.

الدار الرَّقْطاء[1]، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان. قال عمر رضي الله عنه: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر، أدركتُه، فلما سمع رسول الله ﷺ حسي عَرَفني، فظن رسول الله ﷺ أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني[2] ثم قال: ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة؟ قال: قلت: لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء به من عندالله قال: فحمد الله رسول الله ﷺ، ثم قال: قد هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفتُ عن رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ بيته.

قال ابن إسحاق، والله أعلم أي ذلك كان.

ثبات عمر في إسلامه: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم أبي: عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن مَعْمر[3] الجُمحي. قال:

---

(١) الرقطاء: الملونة.

(٢) نهمني: زجرني، والنهيم: زجر الأسد، والنهامي: الحداد، والنهام: طائر. وهي كلمة معناها: الأمر بالتنحي، فليس يعمل فيها ما قبلها، كما يعمل إذا قلت: اجلس هكذا، أي: على هذه الحال، وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا، وها: تنبيه، فيقدر العامل إذاً مضمراً، كأنك قلت: ارجعوا هكذا، وتأخروا هكذا، واستغني بقولك: « هكذا » عن الفعل، كما استغني برويداً عن ارفق.

(٣) جميل هذا هو الذي كان يقال له: ذو القلبين، وفيه نزلت في أحد الأقوال ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ وفيه قيل:

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر.

وهو البيت الذي تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله، واستأذن عمر فسمعه، وهو يتغنى، وينشد بالركبانية، وهو غناء يحدي به الركاب، فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن: إنا إذا خلونا، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم: وقلب المبرد هذا =

فغدا عليه. قال عبدالله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صَبا. قال: يقول عمر من خلفه: كَذَب، ولكني قد أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم. قال: وطلح[1]، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك، إذا أقبل شيخ من قريش، عليه حُلة حبْرة[2]، وقميص مُوَشَّى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر؛ فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يُسلمون لكم صاحبكم هكذا! خلّوا عن الرجل. قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كُشط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل: الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أي بُني، العاص بن وائل السهمي.

= الحديث، وجعل المنشد عمر، والمستأذن عبد الرحمن، ورواه الزبير. انظر الروض الأنف جـ ٢ ص ١٠١ من تحقيقنا.

(١) طلح: تعب وأعيا

(٢) الحبرة: نوع من برود اليمن.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أنه قال: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا. قال: يا ابني ذلك، العاص بن وائل، لا جزاه الله خيراً.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدُ الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرتُ أيَّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت؛ قال قلت: أبو جهل ــ وكان عمر لَحَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة ــ قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إليَّ أبو جهل، فقال: مرحباً وأهلا بابن أختي، ما جاء بك؟ قلت؛ جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله ومحمد، وصدَّقت بما جاء به؛ قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله، وقبح ما جئتَ به.

خبر الصحيفة

ائتمار قريش بالرسول: قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشيَّ قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عُمر قد أسلم، فكان هو وحمزةُ بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشُو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني المطَّلب، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي.

قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث.

فدعا عليه رسول الله ﷺ، فَشُلَّ بعضُ أصابعه.

من انحاز إلى أبي طالب ومن خرج عنه: قال ابن إسحاق؛ فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ابن عبد المطلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من

بني هاشم أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش، فظاهرهم.

تهكم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن: قال ابن إسحاق: وحدثني حُسَيْن بنُ عبدالله: أن أبا لهب لقي هندَ بنت عُتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً فقال: يا بنت عتبة؛ هل نصرتِ اللات والعزى، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم: فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة.

قال ابن إسحاق: وحُدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول: يعدني محمد أشياءً لا أراها، يزعم أنها كائنة بعدَ الموت، فماذا وضع في يديَّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبّاً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾[1].

---

(١) ذكر فيه قول أبي لهب ليديه: تبّاً لكما، لا أرى فيكما، شيئاً مما يقول محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿ **تبت** ﴾، هذا الذي ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه يديه، حيث يقول: ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ وأما قوله: ﴿ **وتب** ﴾، فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس، قال لما أنزل الله تعالى: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفا، فصعد عليه، فهتف: يا صباحاه، فلما اجتمعوا إليه، قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيَّ؟! قالوا: ما جربنا عنك كذبا قال: فإني نذير لكم بين يدي، عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ و« قد تب ». في بعض القراءات غير السبعية.

وقال السهيلي: فسرت أنه خبر من الله تعالى، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء، كما قال تعالى: ﴿ **قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون** ﴾، أي: إنهم أهل أن يقال لهم هذا، فتبت يدا أبي لهب، ليس من باب: قاتلهم الله، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله، واليدان: آلة الكسب، وأهله وماله مما كسب فقوله: ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ تفسيره: قوله: ﴿ **ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾ وولد الرجل من كسبه، =

قال ابن هشام: تبت: خسرت. والتباب: الخسران. قال حبيب بن خُدْرة الخارجي: أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة:

يا طيب إنا في معشرٍ ذهبت مَسْعاتُهم في التَّبارِ والتَّبَبِ

وهذا البيت في قصيدة له.

شعر أبي طالب في تظاهر قريش: قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش، وصنعوا فيه الذي صنعوا، قال أبو طالب:

ألا أبلغا عني عَلَى ذاتِ بيننا لُؤَيا وخُصَّا من لؤيٍّ بني كعبِ[1]
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كموسى خُطَّ في أول الكتبِ
وأن عليه في العبادِ محبةً ولا خيرَ ممن خصه اللهُ بالحبِّ[2]
وأن الذي ألصقتمُ من كتابِكم لَكُم كائنٌ نحساً كراغيةِ السَّقْبِ[3]
أفيقوا أفيقوا قبلَ أن يُحْفَرَ الثرى ويصبحَ من لم يَجْنِ ذنباً كذي الذنْبِ
ولا تتبعوا أمرَ الوُشاةِ وتقطعوا أواصرَنا بعدَ المودةِ والقُربِ
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما أمرّ على من ذاقه جَلبُ الحربِ

= كما جاء في الحديث، أي: خسرت يداه هذا الذي كسبت، وقوله: ﴿ **وتب** ﴾ تفسيره: ﴿ **سيصلى ناراً ذات لهب** ﴾ أي: قد خسر نفسه بدخوله النار، وقول أبي لهب: تبا لكما، ما أرى فيكما شيئاً، يعني: يديه: سبب لنزول ﴿ **تبت يدا** ﴾ كما تقدم.

(١) قال قاسم بن ثابت: « ذات بيننا » وما كان نحوه. صفة لمحذوف مؤنث، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه: ﴿ **وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ فكذلك إذا قلت: « ذات يده ». يريد أمواله، أو مكتسباته، كما قال عليه السلام: « .. وأرعاه على زوج في ذات يده ». في حديثه عن نساء قريش.

(٢) قوله: « ممن ». من، متعلقة بمحذوف، كأنه قال: لا خير أخير ممن خصه الله، وخير وأخير: لفظان من جنس واحد، فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ.

(٣) كراغية السقب: يريد: ولد الناقة التي عقرها قدار فرغا ولدها، فصاح برغائه كل شيء له صوت، فهلكت ثمود عند ذلك والمراد بولد الناقة هنا ولد ناقة صالح عليه السلام.

فلسنا وربِّ البيتِ أسلمُ أحمداً ... لعزَّاءَ مِن عضِّ الزمان ولا كَرْب[1]
ولمَّا تَبِنْ منا ومنكم سوالفٌ ... وأيْدٍ أُترَّت بالقُساسيَّةِ الشُّهْب[2]
بمعتَركٍ ضَيْقٍ ترى كِسَرَ القَنَا ... به والنسورَ الطُّخْمَ يعكفن كالشَّرْبِ[3]
كأن مجالَ الخيلِ في حَجَراتِه ... ومَعْمَعة الأبطالِ معركة الحربِ[4]
أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزرَهُ ... وأوصى بنيه بالطِّعان وبالضربِ
ولسنا نَمَلُّ الحربَ حتى تَمَلَّنا ... ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النَّكْبِ
ولكننا أهلُ الحفائِظ والنُّهَى ... إذا طار أرواحُ الكُماةِ من الرعْبِ

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شيء، إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين: وقد كان أبو جهل ابن هشام ــ فيما يذكرون ــ لقي حكيم بن حزام بن خُوَيْلد بن أسد، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خُوَيلد، وهي عند رسول الله ﷺ، ومعه في الشِّعْب، فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرحْ أنت وطعامُك حتى أفضحك بمكة. فجاءه أبو البَخْتري بن هشام بن الحارث بن أسد، فقال: ما لك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم؛ فقال أبو البَخْتري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلِّ سبيلَ الرجل؛ فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البخْتري لَحْي

---

(١) العزاء: الشدة.

(٢) القساسية: سيوف تنسب إلى جبل يسمى قساس، السوالف: صفحات الأعناق، وأترت: قطعت.

(٣) الطخم: قيل، هي السود الرءوس، قاله صاحب العين، وقال أيضاً: الطخمة سواد في مقدم الأنف. والشراب، جماعة الشاربين.

(٤) الحجرات: النواحي.

بعير فضربه به فشجه، ووطئه وطأً شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم، ورسولُ الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، منادياً بأمر الله لا يتقي فيه أحداً من الناس.

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من الأذى

ما نزل من القرآن في أبي لهب وامرأته حمالة الحطب:

فجعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمُّه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونَه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يَهْمِزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سَمى لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذَكر الله من الكفار، فكان ممن سُمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية[1]، حمالة الحطب وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت ــ فيما بلغني ــ تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث تمر، فأنزل الله تعالى فيهما:

---

(١) أم جميل بن حرب عمة معاوية، وذكر أنها كانت تحمل الشوك، وتطرحه في طرق رسول الله ﷺ فأنزل الله فيها: ﴿ **وامرأته حمالة الحطب** ﴾ فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب، والحطب لا يكون إلا في حبل، فمن ثَمَّ جعل الحبل في عنقها، ليقابل الجزاء الفعل.

﴿ تبتْ يدا أبي لهب وتَبَّ. ما أغنى عنه مالُه وما كسب. سيصلى ناراً ذاتَ لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد ﴾[1].

قال ابن هشام : الجِيد: العُنق، قال أَعْشَى بني قَيْس بن ثعلبة:

يومَ تُبدي لنا قتيلةُ عن جيـ ـدٍ أسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: أجياد. والمسَد: شجر يُدَق كما يُدَق الكتان فتفتل منه حبال. قال النابغة الذُّبياني، واسمه زِياد ابن عَمرو بن معاوية:

مقذوفةٍ بدخيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسدِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له، وواحدته: مسدة.

أم جميل امرأة أبي لهب: قال ابن إسحاق: فذكر لي: أن أم جميل، حمالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسولَ الله ﷺ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فِهْر[3] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرِها عن رسولِ الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبُك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو

---

(١) المسد: هو من مسدت الحبل إذا أحكمت فتله، إلا أنه قال: ﴿ من مسد ﴾ ولم يقل: حبل مسد ولا ممسود لمعنى لطيف، ذكره بعض أهل التفسير، قال: المسد يعبر به في العرف عن حبل الدلو، وقد روي أنه يصنع بها في النار ما يصنع بالدلو، ترفع بالمسد في عنقها إلى شفير جهنم، ثم يرمى بها إلى قعرها هكذا أبدا، وقولهم: إن المسد هو حبل الدلو في العرف صحيح فإنا لم نجده في كلام إلا كذلك.

(٢) الدخيس: اللحم الكثير. والنحض: اللحم. والبازل: الناب. والصريف: الصوت، والقعر: ما تدور فيه البكرة.

(٣) الفهر: المعروف في الفهر التأنيث، وتصغيره فهيرة؛ ووقع ههنا مذكرا.

وجدتُه لضربتُ بهذا الفِهْرِ فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّماً عَصَينا وأمرَه أَبَيْنَا
ودينَه قَلَيْنَا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني؛ لقد أخذ اللهُ ببصرِها عني.

قال ابن هشام: قولها « ودينَه قلَيْنا » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تُسمي رسول الله ﷺ مُذمما، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون لِما صرف الله عني أذى قريش، يسبون مُذمما، وأنا محمدٌ »[1].

إيذاء أمية بن خلف للرسول: وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح، كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمزه ولَمزه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **ويلٌ لكلِّ هُمزةٍ لمزة. الذي جمع مالاً وعدَّده. يحسب أن مالَه أخلده. كلا لَيُنبذنَّ في الحُطَمَة. وما أدراك ما الحطَمة. نارُ الله الموقدة. التي تطَّلعُ على الأفئدةِ، إنها عليهم مُؤْصَدة. في عَمَدٍ مُمددة** ﴾.

قال ابن هشام: الهُمزة: الذي يشتم الرجلَ علانية، ويُكسر عينيه

---

(١) أدخل النسوي هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب: « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق فأنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي ﷺ « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني »؛ فجعل أذاهم مصروفا عنه؛ لما سبوا مُذمماً لا يشبه أن يكون اسما له، فكذلك إذا قال لها: كلي واشربي، وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفا عنه، لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق.

عليه، ويَغْمِز به، قال حسان بن ثابت:

هَمْزُتُك فاختُضِعْتَ لذلٍّ نفسٍ بقافيةٍ تَأَجَّجُ كالشُّوَاظِ[1]

وهذا البيت في قصيدة له، وجمعه: همزات، واللُّمَزَة: الذي يعيب الناس سرّاً ويُؤْذيهم.

قال رؤبة بن العجاج:

في ظلِّ عَصْرَيْ باطلي ولمزي

وهذا البيت في أرجوزة له، وجمعه: لمزات.

إيذاء العاص الرسول ﷺ وما نزل فيه من قرآن: قال ابن إسحاق: والعاص بن وائل السَّهْمي، كان خَبَّاب بن الأَرَتّ، صاحبُ رسول الله ﷺ، قيناً بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص ابن وائل سيوفاً عملها له حتى كان له مال، فجاءه يتقاضاه فقال له يا خباب: أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب، أو فضة، أو ثياب أو خدم؟ قال خَباب: بلى. قال: فأنظرني إلى يوم القيامةِ يا خَباب، حتى أُرْجعَ إلى تلك الدار فأقضيَك هناك حقَّك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني، ولا أعظم حظّاً في ذلك؛ فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **أفرأيتَ الذي كفر بآياتِنا وقال لأُوتينَّ مالا وولدا. أطَّلع الغيبَ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **ونرثه ما يقولُ، ويأتينا فرداً** ﴾.

إيذاء أبي جهل الرسول: ولقي أبو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ ــ فيما بلغني ــ فقال له: والله يا محمدُ، لتتركنَّ سبَّ آلهتنا،

---

(١) التأجج: التوقد.

أو لنسبنَّ إلهك الذي تعبد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **ولا تَسُبُّوا الذين يدعون من دونِ الله فيسبوا الله عَدْواً بغيرِ علمٍ** ﴾ فذكر لي أن رسول الله ﷺ كف عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

إيذاء النضر الرسول: والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلدَة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأممَ الخالية، خَلَفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رُستم السنديد، وعن أسفنديار[1]، وملوك فارس، ثم يقول والله ما محمد بأحسن حديثا مني، وما أحاديثُه إلا أساطير الأولين، اكتتبها كما اكتتبتها. فأنزل الله فيه: ﴿ **وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تُملَى عليه بُكرةً وأصيلاً، قل أنزله الذي يعلم السرَّ في السموات والأرض، إنه كان غفوراً رحيماً** ﴾. ونزل فيه: ﴿ **إذا تُتلى عليه آياتُنا قال أساطير الأولين** ﴾. ونزل فيه: ﴿ **ويلٌ لكلِّ أفاكٍ أثيم. يسمع آياتِ الله تُتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً، فبشره بعذاب أليم** ﴾.

قال ابن هشام: الأفاك: الكذاب. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ **ألا إنهم من إفكِهم ليقولون. وَلَدَ اللهُ وإنهم لكاذبون** ﴾.

---

(١) حديث النضر: أنه تعلم أخبار رستم واسفنديار، وكان يقول: أكتتبتها كما اكتتبها محمد، كذا وقع في الأصول التي معنا، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد: أكتتبتها كما اكتتبها، ورستم السنديد بالفارسية معناه: ذو الضياء، والياء في السنديد والألف سواء، ومنه « أمِخشاذ » ومنه « جم شاذ »، وهو من أول ملوك الأرض، وهو الذي قتله الضحاك « بيوراسب » ثم عاش إلى مدة « أفريدون وأبيه جم » وبين « أفريدون » وبين « جم » تسعة آباء، وقال له حين قتله: ما قتلتك بجم، وما أنت له بكفء، ولكن قتلتك بثور كان في داره.

وقال رؤبة:

ما لامرئ أفَّك قولاً إفْكا

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ يوماً ــ فيما بلغني ــ مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضْر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غيرُ واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرضَ له النضرُ بنُ الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دونِ اللهِ حصبُ جهنم أنتم لها واردون، لو كان هؤلاءِ آلهة ما وردوها، وكلٌّ فيها خالدون، لهم فيها زفيرٌ، وهم فيها لا يسمعون** ﴾.

قال ابن هشام: حصب جهنم: كل ما أُوقدت به. قال أبو ذُؤيب الهذلي، واسمه خُوَيْلد بن خالد:

فأطفئ ولا توقد ولا تكُ مُحصباً لنارِ العداةِ أن تطيرَ شداتُها

وهذا البيت في أبيات له. ويروى « ولاتك محضئاً ». قال الشاعر:

حضأت له ناري فأبصر ضوءَها وما كان لولا حضأةُ النارِ يهتدي

ابن الزبعرى وما قيل فيه: قال ابن اسحاق: ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبدالله بن الزبعرى السَّهمي حتى جلس، فقال الوليد ابن المغيرة لعبدالله بن الزبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم[1]؛ فقال عبدالله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته

(١) حصب جهنم: هو من باب القبض والنفض والحصب بسكون الصاد كالقبض والنفض، ومنه الحاصب في قوله سبحانه: ﴿ **أن يرسل عليكم حاصباً** ﴾ ويروى: حضب جهنم بضاد معجمة في شواذ القراءات، وهو من حضيت النار بمنزلة حضأتها.

لخصَمته، فسلوا محمدا: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم[1] عليهما السلام؛ فعجب الوليد، ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم: فذُكر لرسول الله ﷺ من قول ابن الزبعرى: فقال رسول الله ﷺ « كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته ». فأنزل الله تعالى عليه في ذلك: ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى، أولئك عنها مُبْعَدون، لا يسمعون حسيسَها، وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾ أي عيسى ابن مريم، وعزيراً، ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله.

ونزل فيما يذكرون، أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله: ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمنُ ولداً سبحانَه، بل عبادٌ مُكْرَمون، لا يسبقونه بالقولِ، وهم بأمرِه يعملون** ﴾.. إلى قوله: ﴿ **ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونِه، فذلك نجزيه جهنمَ، كذلك نجزي الظالمين** ﴾.

---

(١) وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف، وأما عبادة اليهود عزيرا، وقولهم فيه: إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم، وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الكشي، أن التوراة لما احترقت أيام بخت نصر، وذهب بذهابها دين اليهود، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب، فبينما عزير يبكي لفقد التوراة، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها، فقال لها عزير: من أنت؟ قالت: أنا إيليا أم القرى أبكي على ولدي، وأنت تبكي على كتابك، وقالت له: إذا كان غداً، فأْتِ هذا المكان، فلما أن جاء من الغد للساعة التي وعدته، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة القارورة، فيها نور، فقال له: افتح فاك، فألقاها في جوفه، فكتب عزير التوراة ــ كما أنزلها الله، ثم قدر على التوراة بعدما كانت دفنت أن ظهرت، فعرضت التوراة، وما كان عزير كتب، فوجدوه سواء، فمنها قالوا: إنه ولد الله تعالى عن ذلك.

ونزل فيما ذكروا من أمر عيسى ابن مريم أنه يُعبد من دون الله، وعَجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته: ﴿ **ولما ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يَصِدُّون** ﴾: أي يصدون عن أمرك بذلك من قولهم.

ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال: ﴿ **إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه، وجعلناه مثلا لبني إسرائيل. ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكةً في الأرض يَخْلُفون، وإنه لعلمٌ للساعةِ فلا تمترُنَّ بها واتبعونِ هذا صراطٌ مستقيم** ﴾: أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلا على علم الساعة، يقول: ﴿ **فلا تمتَرُنَّ بها واتبعون، هذا صراط مستقيم** ﴾.

الأخنس وما أُنزل فيه: والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زُهرة، وكان من أشراف القوم وممن يُستمع منه، فكان يصيبُ من رسول الله ﷺ، ويرد عليه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ **ولا تطعْ كلَّ حلاف مهين. همَّازٍ مشاءٍ بنميم** ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ **زنيم** ﴾ ولم يقل: « زنيم » لعيب في نسبه، لأن الله لا يعيب أحداً بنسب، ولكنه حقق بذلك نعتَه ليُعرف. والزنيم: العديد[1] للقوم. وقد قال الخَطِيم التميميُّ في الجاهلية:

زنيـمٌ تداعـاه الرجـالُ زيـادةً كما زِيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ

---

(١) زنيم: قيل نزلت في الوليد بن المغيرة، وقد قيل: في الأسود بن عبد يغوث الزهري، وقال ابن عباس: نزلت في رجل من قريش له زنمتان كزنمتي الشاة. رواه البخاري بإسناده عنه وفي رواية أخرى أنه قال: الزنيم الذي له زنمتان من الشر يعرف بهما، كما تعرف الشاة بزنمتها، وروي عن ابن عباس أيضاً مثل ما قال ابن إسحاق أن الزنيم الملصق بالقوم، وليس منهم، قال ذلك ابن الأزرق الحروري، وقال: أما سمعت قول حسان * زنيم تداعاه الرجال * البيت، وقد أنشد ابن هشام هذا البيت مستشهداً به ونسبه للخطيم التميمي، والأعرف أنه لحسان.

الوليد وما أنزل فيه: والوليد بن المغيرة، قال: أيُنْزل على محمد وأُترَك وأنا كبير قريش وسيدُها! ويُترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين! فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني: ﴿ **وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٍ** ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ **مما يجمعون** ﴾.

أُبي بن خلف وعُقبة بن أبي مُعيط، وما أُنزل فيهما: وأُبي ابن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وعقبة بن أبي مُعيط، وكانا متصافيين، حَسَناً ما بينهما. فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، فبلغ ذلك أُبَيا، فأتى عقبة فقال: ألم يبلغني أنك جالستَ محمداً وسمعت منه! قال: وجهي من وجهك حرام أن أكلِّمَك ــ واستغلظ من اليمين ــ إن أنت جلستَ إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتَتْفل في وجهه. ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي مُعيط لعنه الله فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ **ويوم يَعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسولِ سبيلا** ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ **للإنسانِ خَذولا** ﴾.

ومشى أُبَيُّ بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ قد ارْفَتَّ فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أَرَمَّ[1]، ثم فتَّه بيده، ثم نفخه في الريح نحوَ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك اللهُ النارَ. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسي خلقَه قال: من يُحيي العظامَ وهي رميم؟ قال يحييها الذي أنشأها**

---

(١) أرم: بلي.

أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجرِ الأخضرِ ناراً، فإذا أنتم منه تُوقدون ﴾.

سورة (الكافرون) وسبب نزولها: واعترض رسولَ الله ﷺ، وهو يطوف بالكعبة ــ فيما بلغني ــ الأسودُ بنُ المطلب بن أَسَد ابن عبد العُزى، والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي، وكانوا ذَوي أسنان في قومِهم، فقالوا: يا محمد، هلمَّ فلنعبد ما تعبدُ، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظِّنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحظِّك منه. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ **قل يا أيها الكافرون. لا أعبدُ ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين** ﴾ أي إن كنتم لا تعبدون الله، إلا أن أعبد ما تعبدون، فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم جميعاً، ولي ديني[1].

أبو جهل وما نزل فيه: وأبو جهل بن هشام، لما ذكر الله عز وجل شجرةَ الزقوم تخويفاً بها لهم قال: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا؛ قال:

---

(١) ﴿ **قل: يأيها الكافرون** ﴾ إلى آخرها فقال: ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾ أي: في الحال: ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم** ﴾ أي: في المستقبل، وكذلك: ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ فإن قيل: كيف يقول لهم: ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾، وهم قد قالوا: هلم فلنعبد ربك، وتعبد ربنا، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه علم أنهم لا يفعلون، فأخبر بما علم. الثاني: أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة، ولا يسمى عابداً لله من عبده سنة، وعبد غيره أخرى، انظر الموضوع مفسراً في الروض الأنف من تحقيقنا جـ ٢ ص ١١٧.

عَجْوة يثرب بالزُّبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها[1] تزقما. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **إن شجرة الزقومِ. طعامُ الأثيم. كالمهلِ يَغلي في البطون. كغلي الحميم** ﴾: أي ليس كما يقول.

تفسير لفظ المهل: قال ابن هشام المهل: كل شيء أذبته، من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك، فيما أخبرني أبو عُبيدة.

وبلغنا عن الحسن البصري أنه قال: كان عبدالله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة، وأنه أمر يوماً بفضة فأذيبت، فجعلت تَلَوَّنُ ألواناً، فقال: هل بالباب من أحد؟ قالوا: نعم؛ قال: فأدخلوهم، فأُدخلوا فقال: إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالمهل لهذا. وقال الشاعر:

يسقيه ربي حميمَ المهلِ يجرعُه يشْوِي الوجوهَ فهو في بطنِه صَهِرُ

ويقال: إن المهل: صديد الجسد.

وقال عبدالله بن الزبير الأسدي:

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يمتْ ففي النارِ يُسقَى مهلها وصديدها

وهذا البيت في قصيدة له.

---

(١) الزقوم: يقال: إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب: يقولون تزقمت: إذا أكلت التمر بالزبد، فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء، وقيل: إن لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقياً منه. وذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات: أن شجرة باليمن يقال لها: الزقوم، لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برءوس الحيات، فهي كريهة المنظر، وفي تفسير ابن سلام والماوردي أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعاذنا الله منها، وأن أهل النار ينحدرون إليها. قال ابن سلام: وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر.

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حُضر أمر بثوبين لبيسين يُغْسَلان فيُكَفن فيهما، فقالت عائشة: قد أغناك الله يا أبت عنهما، فاشترِي كفناً، فقال: إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهل، قال الشاعر:

شابَ بالماءِ منه مُهلاً كَريها ثم علَّ المتونَ بعدَ النِّهالِ[1]

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **والشجرة الملعونة في القرآن، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً** ﴾.

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس: ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ يكلمه، وقد طمع في إسلامه، فبينا هو في ذلك، إذ مر به ابنُ أمِّ مكتوم[2] الأعمى، فكلم رسول الله ﷺ، وجعل يستقرئه القرآنَ، فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه. فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه. فأنزل الله تعالى عليه فيه: ﴿ **عبس وتولَّى. أن جاءه الأعمى** ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ **في صحف مُكرَّمة. مرفوعةٍ مطهرة** ﴾ أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً، لم أخص بك أحداً، فلا تمنعْه ممن ابتغاه، ولا تتصدين به لمن لا يريده[3].

---

(١) شاب: خلط. والعلل: الشرب بعد الشرب، والمتون: الظهور، والنهال: جمع نهل، وهو الشرب الأول.

(٢) أم مكتوم: اسمها: عاتكة بنت عبد الله بن عامر بن مخزوم.

(٣) الرجل الذي كان شغل رسول الله ﷺ، وأنه الوليد بن المغيرة، وقد قيل: كان أمية بن خلف، وفي حديث الموطأ: عظيم من عظماء المشركين، ولم يسمِّه، وفي قوله سبحانه: ﴿ **أن جاءه الأعمى** ﴾ من الفقه أن لا عيب في ذكر الإنسان بما ظهرت في خلقته من عمى أو عرج، إلا أن يقصد به الازدراء، فيلحق المأثم به، لأنه من أفعال الجاهلين، قال الله تعالى: ﴿ **أتتخذنا هُزوا قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ وفي ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب، لأنه قال: ﴿ **أن جاءه الأعمى** ﴾ فذكر المجيء مع العمى، وذلك ينبئ عن =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحابَ رسول الله ﷺ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلامُ أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دَنَوْا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً.

من عبد شمس: فكان ممن قدم عليه مكةَ منهم، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدراً ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره، ومن مات بمكة منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته: رقيَّة بنت رسول الله ﷺ. وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، وامرأته سَهلة بنت سُهَيْل.

ومن حلفائهم: عبدالله بن جحش بن رئاب.

من نوفل: ومن بني نوفل بن عبد مناف: عُتبة بن غَزْوان، حليف لهم، من قيس عيلان.

من أسد: ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصي: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

من عبد الدار: ومن بني عبد الدار بن قُصي: مُصْعَب بن عُمَير ابن هاشم بن عبد مناف، وسُوَيْبط بن سعد بن حريملة.

= تجشم القصد إليك على ضعفه، فحقك الإقبال عليه، لا الإعراض عنه، فإذا كان النبي ﷺ، معتوبا على توليه عن الأعمى، فغيره أحق بالعتب، مع أنه لم يكن آمناً بعد، ألا تراه يقول: ﴿ **وما يدريك لعله يزكَّى** ﴾ الآية، ولو كان قد صح إيمانه، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله ﷺ ولو أعرض لكان العتب أشد، والله أعلم.

من عبد: ومن بني عبد بن قصي: طُلَيب بن وهب بن عبد.

من زهرة: ومن بني زهرة بن كلاب: عبدُ الرحمن بن عَوْف ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة. والمقداد بن عَمرو، حليف لهم، وعبدالله بن مسعود، حليف لهم.

من مخزوم: ومن بني مخزوم بن يَقَظة: أبو سَلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبدالله بن عَمرو بن مخزوم، معه امرأته: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وشمَّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِي بن عامر بن مخزوم. وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبسه عمه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق، وعَيَّاش بن أبي ربيعة ابن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل ابن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضي بدر وأحد والخندق.

ومن حلفائهم: عمار بن ياسر، يُشَكُّ فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومُعَتِّب بن عوف بن عامر من خزاعة.

من جمح: ومن بني جُمَح بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب: عثمان ابن مَظْعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح. وابنه السائب ابن عثمان، وقدامة بن مظعون، وعبدالله بن مظعون.

من سهم: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: خُنَيس ابن حذافة بن قيس بن عدي، وهشام بن العاص بن وائل، حبس بمكة بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق.

من عدي: ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف لهم، معه امرأته: ليلى بنت أبي حَثْمة بن حذافة بن غانم.

من عامر: ومن بني عامر بن لؤي: عبدالله بن مَخْرمَة بن عبد العُزى بن أبي قيس. وعبدالله بن سُهَيْل بن عمرو، وكان حُبس عن رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بدر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله ﷺ فشهد معه بدراً، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزى، معه امرأته: أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته: سَوْدة بنت زَمْعة ابن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سَوْدة بنت زَمْعة.

ومن حلفائهم: سعد بن خولة.

من الحارث: ومن بني الحارث بن فِهر: أبو عُبَيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح، وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبي شداد، وسُهَيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا.

من دخل مكة بجوار من مهاجري الحبشة: فكان من دخل منهم بجوار، فيمن سُمي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجُمحي، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب وكان خاله. وأم أبي سلمة: بُرَّة بنت عبد المطلب.

عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد: قال ابن إسحاق: فأما عثمانُ بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عمن حدثه عن عثمان، قال: لما رأى عثمانُ بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غُدُوِّي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقصٌ كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له يا أبا عبد شمس، وفَتْ ذمتُك، قد رددتُ إليك جوارَك، فقال له: يا بن أخي لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟ قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد عليَّ جواري علانيةً كما أجرتُك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردَّ عليّ جواري، قال: صدق، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جوارَه، ثم انصرف عثمان، ولبيد ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد:

* ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ *[1]

---

(١) هنا سؤال واحد، وهو قول رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد: يقصد هذا البيت.

فصدقه في هذا البيت وهو ــ عليه السلام ــ يقول في مناجاته: « أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، والجنة حق، والنار حق، ولقاؤك حق ». فكيف يجتمع هذا مع قوله:

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فالجواب ذو وجهين. أحدهما: أن يريد بقوله: ما خلا الله: ما عداه، وعدا رحمته التي وعد بها من رحمه، والنار وما توعد به من عقابه، وما سوى هذا فباطل أي: مضمحل. =

قال عثمان: صدقت. قال لبيد:

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ *

قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذَى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شَرِيَ[1] أمرُهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينَه فخضَّرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يابن أخي كانتْ عينُك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمةٍ منيعة. قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال

= والجواب الثاني: أن الجنة والنار وإن كانتا حقا، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما، وأنه يخلق الدوام لأهلهما على قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات، وهو قول الأشعري، وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال، وهو القديم الذي انعدامه محال؛ ولذلك قال عليه السلام: « أنت الحق »بالألف واللام، أي المستحق لهذا الاسم على الحقيقة، « وقولك الحق »؛ لأن قوله قديم، وليس بمخلوق فيبيد، « ووعدك الحق »، كذلك لأن وعده كلامه، هذا مقتضى الألف واللام، ثم قال: « والجنة حق، والنار حق » بغير ألف ولام، « ولقاؤك حق » كذلك، لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذي لا يجوز عليه الخلف، لا من جهة استحالة البقاء عليها، كما يستحيل على القديم ــ سبحانه ــ الذي هو الحق، وما خلاه باطل، فإما جوهر وإما عرض، وليس في الأعراض إلا ما يجب له الفناء، ولا في الجوهر إلا ما يجوز عليه الفناء والبطول، وإن بقي ولم يبطل فجائز أن يبطل، وأما الحق ــ سبحانه ــ فليس من الجواهر والأعراض: فاستحال عليه ما يجب لهما، أو يجوز عليهما ــ والله أعلم.

(١) شري: كثر وزاد.

له الوليد: هلم يابن أخي، إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا.

أبو سلمة في جوار أبي طالب: قال ابن إسحاق: وأما أبو سَلَمة بن عبد الأسد، فحدثني أبي: إسحاقُ بن يَسار عن سَلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا: يا أبا طالب، لقد منعتَ منا ابنَ أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابنَ أختي لم أمنع ابنَ أخي، فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جوارِه من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كلِّ ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قال: فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبةَ، وكان لهم وليًّا وناصرا على رسول الله ﷺ، فأبقوا على ذلك، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ، فقال أبو طالب يحرِّض أبا لهب على نُصرتِه ونصرة رسول الله ﷺ:

وإن امرأً أبو عُتَيْبة عَمُّه ... لفي روضةٍ ما إن يُسامُ المَظالمَا
أقول له، وأين منه نصيحتي ... أبا مُعْتب ثبتْ سوادَك قائمَا[1]
ولا تقبلنَّ الدهرَ ما عشتَ خُطةً ... تُسَب بها إما هَبطت المواسما
وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَك منهمُ ... فإنك لم تُخلَقْ على العجزِ لازما
وحاربْ فإن الحربَ نُصْفٌ وما ترى ... أخاالحربِ يُعطي الخسْفَ حتى يُسالما
وكيف ولم يَجْنُوا عليكَ عظيمةً ... ولم يخذلوك غانماً أو مُغارِما
جزى اللهُ عنا عبدَ شمسٍ ونَوْفلاً ... وتَيْماً ومخزوماً عُقوقا ومأثما
بتفريقِهم من بعدِ وُدٍّ وأُلفَةٍ ... جماعتنا كيما ينالوا المحارِما

---

(١) سوادك: شخصك.

كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمداً ولما تَرَوْا يوماً لدى الشِّعْب قائما

قال ابن هشام: نبزى: نسلب. **قال ابن هشام**: وبقي منها بيت تركناه.

دخول أبي بكر في جوار ابن الدغنة ثم رده عليه: قال

ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما حدثني محمد بن مُسلم الزهري عن عُروة عن عائشة رضي الله عنهما، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين، لقيه ابن الدُّغُنَّة، أخو بني عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش[1].

قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خُزيمة بن مُدركة، وبنو المصطلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسُموا الأحابيش للحلف.

ويقال: ابن الدُّغَيْنة.

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقال ابن الدُّغُنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيقوا عليَّ، قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتَزين العشيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتُكسِب المعدوم[2]، ارجع فأنت في

---

(١) ابن الدغنة، واسمه: مالك، وهو سيد الأحابيش، وقد سماهم ابن إسحاق، وهم: بنو الحارث وبنو الهون من كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا، أي تجمعوا، فسموا الأحابيش. قيل: إنهم تحالفوا عند جُبيل، يقال له حبشي، فاشتق لهم منه الاسم.

(٢) إنك تكسب المعدوم، يقال: كسبت الرجل مالا، فتتعدى به إلى مفعولين. هذا قول =

جواري. فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدُّغنة[1] فقال: يا معشر قريش؛ إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرضنَّ له أحد إلا بخير. قالت: فكفوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح، فكان يصلي فيه، وكان رجلا رقيقا؛ إذا قرأ القرآن استبكى. قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء، يعجبون لما يرَوْن من هيئته. قالت: فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغنَّة، فقالوا: يابن الدغنة، إنك تُجِيرُ هذا الرجل ليؤذيَنا! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي؛ وكانت له هيئة ونحو؛ فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم؛ فأته فمرْه أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدغنة إليه؛ فقال له: يا أبا بكر؛ إني لم أجرْك لتؤذي قومَك؛ إنهم قد كرهوا مكانَك الذي أنت فيه وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك، فاصنع فيه ما أحببت قال : أوَأرد عليك جوارَك وأرضى بجوار الله؟ قال فاردُدْ عليَّ جواري؛ قال: قد رددته عليك قالت. فقام ابن الدُّغنَّة، فقال، يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد ردَّ عليَّ جواري فشأنكم بصاحبكم.

قال ابن إسحاق:وحدثني عبدُ الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم ابن محمد، قال: لقيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه تراباً. قال: فمرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل. قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك. قال: وهو يقول: أي رب، ما أحلمك! أي رب، ما أحلمك! أي رب، ما أحلمك!.

= الأصمعي، وحكى غيره: أكسبته مالا، فمعنى تكسب المعدوم، أي: تكسب غيرك ما هو معدوم عنده.

(١) الدغنة: اسم امرأة عرف بها الرجال.

حديث نقض الصحيفة

هشام بن عمرو يسعى في نقض الصحيفة: قال ابن إسحاق: وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفرٌ من قريش، ولم يُبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبيب بن نصر بن جُذَيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، فكان — فيما بلغني — يأتي بالبعير[1]، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشِّعْب ليلاً، قد أوقره طعاماً حتى إذا أقبل به فم الشِّعْب خلع خطامه من رأسه، ثم ضرب على جنبه، فيدخل الشِّعْب عليهم ثم يأتي به قد أوقره بزاً أو براً، فيفعل به مثل ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبي أمية بن المغيرة ابن عبدالله بن عُمر بن مخزوم. وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زُهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثيابَ، وتَنكح النساء، وأخوالُك حيث قد علمتَ، لا يُباعون ولا يُبتاع منهم، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم؟ أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبدا، قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضِها حتى أنقضَها،

---

(١) ذكر أنه كان يأتي بالبعير قد أوقره « بزا » بالزاي المعجمة، وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر: « برا »، وفي رواية يونس: « بزا أو براً » على الشك من الراوي.

قال: قد وجدت رجلا قال: فمن هو؟ قال: أنا ، قال له زُهير: أبغنا رجلا ثالثا.

فذهب إلى المطْعِم بن عدي، فقال له: يا مُطعم أقد رضيتَ أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنَّهم إليها منكم سراعا، قال ويحك! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانيا، قال: من هو؟ قال: أنا، فقال: أبغنا ثالثا، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زُهَير بن أبي أمية، قال أبغنا رابعا.

فذهب إلى البَخْتري بن هشام، فقال له نحواً مما قال للمُطعم ابن عدي، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زُهير بن أبي أمية، والمُطْعِم بن عدي، وأنا معك، قال أبغنا خامسا.

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقَّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمَّى له القوم.

فاتَّعدوا خطم الحجون[1] ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك. فأجمعوا أمرَهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زُهير: أنا أبدؤكم، فأكون أولَ من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زُهير بن أبي أمية عليه حُلة، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهلَ مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثيابَ، وبنو هاشم هلْكَى لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعدُ حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

(١) الخطم: المقدمة. والحجون: موضع بأعلى مكة.

قال أبو جهل: وكان في ناحية المسجد: كذبتَ والله لا تُشق، قال زَمْعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حيثُ كُتبت، قال أبو البختري: صدق زَمعة، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نقرّ به، قال المطعِم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كُتب فيها، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قُضِيَ بليلٍ، تَشُوور فيه بغير هذا المكان. وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطْعِم إلى الصحيفة ليشقَّها، فوجد الأَرَضَة قد أكلتها، إلا « باسمك اللهم ».

شلت يد من كتب الصحيفة: وكان كاتب الصحيفة منصور[1] ابن عكرمة. فشُلت يده فيما يزعمون.

إخباره عليه الصلاة والسلام بأكل الأرضة الصحيفة: قال ابن هشام: وذكر بعضُ أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم؛ إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدعْ فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان؛ فقال: أربُّك أخبرك بهذا؟ قال: نعم، قال: فوالله ما يدخل عليك أحدٌ، ثم خرج إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلمّ صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم: رضينا. فتعاقدوا على ذلك. ثم نظروا. فإذا هي كما

---

(١) قد ذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة، فشُلَّت يده، وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة هو: بغيض بن عامر بن هشام بن عبد الدار، والقول الثاني: أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هشام من بني عبد الدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم.

قال رسولُ الله ﷺ. فزادهم ذلك شرّاً. فعند ذلك صنع الرهْط من قريش في نقض الصحيفةِ ما صنعوا[1].

قال ابن إسحاق: فلما مُزقت الصحيفة وبطل ما فيها. قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بَحْرِيَّنا صُنْعُ ربنا ... على نأيهم واللهُ بالناسِ أرْوَدُ[2]
فيخبرهم أن الصحيفةَ مُزقت ... وأنْ كلُّ ما لم يَرْضه الله مُفسِد
تراوحها إفكٌ وسحرٌ مجمَّعٌ ... ولم يُلفَ سِحر آخر الدهر يَصْعَد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر ... فطائرها في رأسها يتردد[3]

---

(١) وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله ﷺ في الشعب من ضيق الحصار لا يُبايعون ولا يُناكحون، وفي الصحيح: أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص. روي أنه قال: لقد جُعت، حتى أني وطئت ذات ليلة على شيء رطب، فوضعته في فمي وبلعته، وما أدري ما هو إلى الآن. وفي رواية يونس: أن سعداً قال: خرجت ذات ليلة لأبول، فسمعت قعقعة تحت البول، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة، فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ثم رضضتها، وسففتها بالماء، فقويت بها ثلاثا، وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله، فيقوم أبو لهب عدو الله، فيقول: يا معشر التجار: غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة، قيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله، وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المؤمنون، ومن معهم جوعاً وعرياً.

(٢) بحرينا: يعني الذين بأرض الحبشة، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه. أرود: أي: أرفق، ومنه: رويدك، أي رفقاً جاء بلفظ التصغير؛ لأنهم يريدون به تقليلا أي: ارفق قليلا، وليس له مكبر من لفظه.

(٣) من ليس فيها بقرقر: أي: ليس بذليل، لأن القرقر: الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكها، ويجوز أن يريد به: ليس بذي هزل، لأن القرقرة الضحك.. وطائرها في رأسها يتردد. أي: حظها من الشؤم والشر، وفي التنزيل: ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾.

وكانت كفاء رقعة بأثيمة ... ليقطع منها ساعد ومقلد[1]
ويَظْعنُ أهلُ المكَّتين فيهربوا ... فرائصُهم من خشيةِ الشرِّ تَرْعَد
ويُتْرَك حَرَّاثٌ يقلب أمرَه ... أيْتِهم منهم عند ذاك ويُنجِدُ[2]
وتصعد بين الأخْشَبَيْن كتيبةٌ ... لها حُدُجٌ سهم وقوس ومِرْهد[3]
فمن يَنْشَ من حضَّار مكة عزه ... فعِزتنا في بطنِ مكة أتلدُ
نشأنا بها والناسُ فيها قلائل ... فلم ننْفكك نزداد خيراً ونُحمد
ونُطعم حتى يترك الناسُ فضلَهم ... إذا جعلت أيدي المُفيضين تُرعَد[4]
جزى الله رهطاً بالحَجون تتابعوا ... على ملإٍ يهدي لحزم ويُرشِد
قُعوداً لدى خَطْمِ الحَجون كأنهم ... مقاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجدُ[5]
أعان عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا ما مشى في رَفْرفِ الدرعِ أحردُ[6]
جرى على جُلَّى الخطوبِ كأنه ... شِهاب بكَفَّيْ قابسٍ يتوقدُ[7]
من الأكرمين من لُؤيِّ بنِ غالب ... إذا سِيم خسفاً وجهُه يتربَّدُ
طويلُ النِّجاد خارجٌ نصفُ ساقِه ... على وجهِه يُسْقَى الغَمامُ ويُسْعَد
عظيمُ الرمادِ سيدٌ وابنُ سيدٍ ... يَحُضُّ على مَقْرَى الضيوفِ ويحْشِدُ
ويبني لأبناءِ العشيرةِ صالحاً ... إذا نحن طُفنا في البلادِ ويَمْهَدُ

---

(١) المقلد: العنق.

(٢) الحراث: المكتسب.

(٣) الحدج: الحمل. والمرهد: الناعم أي السيف الناعم بالري من الدماء.

(٤) المفيضون: الضاربون بقداح الميسر.

(٥) المقاولة: الملوك.

(٦) رفرف الدرع: ما فضل منه. وقيل في معنى: رفرف خضر: فضول الفرش والبسط، وهو قول ابن عباس، وعن علي أنها: المرافق، وعن سعيد بن جبير: الرفارف: رياض الجنة.. والأحرد الذي في مشيه تثاقل، وهو من الحرد وهو: عيب في الرجل. وقيل بطيء المشي لثقل ما عليه من لباس الحرب.

(٧) الجلي: الأمر العظيم.

أَلَظَّ بهذا الصِلح كل مُبَرإٍ ... عظيم اللواء أمرُه ثَمَّ يُحمدُ[1]
قَضَوْا ما قَضَوْا في ليلِهم ثم أصبحوا ... على مَهَلٍ وسائر الناس رُقَّدُ
همُ رَجعوا سهلَ بنَ بيضاء راضياً ... وسُر أبو بكرٍ بها ومحمدُ
متى شُرِّك الأقوامُ في جُلِّ أمرِنا ... وكنا قديماً قبلَها نتوددُ
وكنا قديما لا نُقِرُّ ظلامةً ... وندرك ما شئنا ولا نتشددُ
فيا لَقُصيٍّ هل لكم في نفوسِكم ... وهل لكم فيما يجيءُ به غَدُ
فإني وإياكم كما قال قائل ... لديك البيانُ لو تكلمت أسودُ[2]

ما رثى به حسان المطعم بن عدي وذكره نقضه الصحيفة:

وقال حسان بن ثابت: يبكي المطْعِم بن عدي حين مات، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة:

أيا عينُ فابكي سيدَ القومِ واسفحي ... بدمعٍ وإن أنزَفْتِه فاسكبي الدمَا
وبكِّي عظيمَ المُشعرين كليْهما ... على الناسِ معروفاً له ما تكلما
فلو كان مجدٌ يُخلد الدهرَ واحداً ... من الناسِ، أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِمَا[3]
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبيدَك ما لي مُهِلٌّ وأحْرَمَا
فلو سُئلتْ عنه مَعَدٌّ بأسرِها ... وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرْهُمَا
لقالوا هو الموفِي بخُفْرَةِ جاره ... وذمتُه يوماً إذا ما تذمَّما[4]
فما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقَهم ... على مثلِه فيهم أعَزَّ وأعظمَا
وآبَى إذا يأبى وألْينَ شيمةً ... وأنومَ عن جار إذا الليلُ أظلما

---

(١) ألظ: ألح.

(٢) أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا.

(٣) هذا عن النحويين من أقبح الضرورة، لأنه قدم الفاعل، وهو مضاف إلى ضمير المفعول؛ فصار في الضرورة.

(٤) الخفرة: العهد.

قال ابن هشام: قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وأما قوله: « أجرْت رسول الله منهم »، فإن رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من تصديقه ونصرته، صار إلى حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير. فبعث إلى سُهيل ابن عمرو، فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب. فبعث إلى المطْعِم بن عدي فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المطعم وأهلُ بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن أدخل، فدخل رسول الله ﷺ، فطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله. فذلك الذي يعني حسان بن ثابت.

حسان يمدح هشام بن عمرو لقيامه في نقض الصحيفة:

قال ابن إسحاق: وقال حسانُ بن ثابت أيضا: يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة:

هل يُوفينَّ بنو أُميةَ ذمةً ... عَقْداً كما أوْفَى جِوارُ هشامِ
من معشرٍ لا يَغْدِرون بجارِهم ... للحارث بن حُبَيِّب ابن سُخَامِ[1]
وإذا بنو حِسْلٍ أجاروا ذمةً ... أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلامِ

وكان هشام أحد سُحام.

قال ابن هشام: ويقال: سخام.

---

(١) ابن سخام، سخام: اسم أمه، وأكثر أهل النسب يقولون فيه: شحام بشين معجمة.

إسلام الطفيل بن عمرو الدَّوْسي

قريش تحذره من استماعه للرسول: قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ، على ما يرى من قومه، يبذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه. وجعلت قريش، حين منعه الله منهم يحذِّرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب.

وكان الطُّفَيْل بن عَمرو الدوسي يحدث: أنه قدم مكةَ ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطُّفيل رجلا شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادَنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضَل بنا[1]، وقد فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنما قوله كالسحرِ يفرِّق بين الرجلِ وبينَ أبيه، وبينَ الرجلِ وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجتِه، وإنا نخشى عليك وعلى قومِك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه ولا تسمعنَّ منه شيئا.

استماعه للرسول ﷺ: قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوتُ في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[2] فَرَقاً من أن يبلغني شيءٌ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعَه. قال: فغدوْت إلى المسجدِ، فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعضَ قولِه. قال: فسمعت كلاماً حَسَناً. قال: فقلتُ في نفسي: وا ثُكْلَ أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي عليَّ الحسنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

---

(١) أعضل: اشتد أمره.

(٢) الكرسف: القطن.

إسلام الطفيل: قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومَك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا؛ فوالله ما بَرحوا يخوِّفونني أمرَك حتى سَددت أذني بكُرْسُف لئلا أسمعَ قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولَك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرَك. قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلامَ، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قطُّ أحسنَ منه، ولا أمراً أعدلَ منه. قال: فأسلمتُ وشهدت شهادة الحقِّ، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤٌ مطاعٌ في قومي وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعلَ لي آيةً تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: اللهم اجعلْ له آيةً.

آية للطفيل ليصدقه قومه: قال: فخرجتُ إلى قومي، حتى إذا كنت بِثَنيَّة[1] تُطلعني على الحاضر[2] وقع نور بين عينيَّ مثل المصباح؛ فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلةٌ وقعتْ في وجهي لفراقي دينَهم قال: فتحول فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سَوْطي كالقنديل المعلَّق، وأنا أهبط إليهم من الثَّنيةِ، قال: حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم.

إسلام والد الطُّفيل وزوجه: قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليكَ عني يا أبت، فلستُ منك ولستَ مني؛ قال: ولم يا بني؟ قال: قلت: أسلمتُ وتَابعت دين محمد ﷺ؛ قال: أي بني، فديني دينُك؛ قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت. قال: فذهب فاغتسل، وطهر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم.

---

(١) الثنية: ما انفرج بين الجبلين.

(٢) الحاضر: القبيلة النازلة على الماء.

قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلتُ: إليك عني، فلستُ منك ولستِ مني؛ قالت: لمْ؟ بأبي أنت وأمي؛ قال: قلت: قد فرق بيني وبينَك الإسلامُ، وتابعتُ دينَ محمد ﷺ؛ قالت: فديني دينك؛ قال: قلت: فاذهبي إلى حِنَا ذِي الشَّرَى[1] ــ قال ابن هشام: ويقال: حِمَى ذي الشَّرَى ــ فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشرى صنماً لدوس، وكان الحمى حمى حموه له، وبه وَشَل[2] من ماء يهبط من جبل.

قال: فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصِّبْية من ذي الشرى شيئاً؟ قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فذهبتْ فاغتسلت، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام، فأسلمت.

دعاؤه قومه للإسلام: ثم دعوت دَوْساً إلى الإسلام، فأبطئوا عليَّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت له: يا نبي الله، إنه قد غلبني على دوس الزِّنا[3]، فادعُ الله عليهم؛ فقال: اللهم اهدِ دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم. قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

---

(١) حنا ذي الشرى: وقد قال ابن هشام: هو حمى، وهو موضع حموه لصنمهم ذي الشرى، فإن صحت رواية ابن إسحاق، فالنون قد تبدل من الميم، كما قالوا: حلان وحلام للجدي، ويجوز أن يكون من حنوت العود، ومن محنية الوادي، وهو ما انحنى منه.

(٢) الوشل: الماء القليل.

(٣) الزنا: هنا: لهو مع شغل القلب.

ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ، حتى إذا فتح الله عليه مكة، قال: قلت يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين، صنم عَمرو بن حُمَمة حتى أحرقه.

إحراق صنم ذي الكفين: قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكفين لستُ من عبادِكا ميلادُنا أقدمُ من ميلادِكا[1]
إني حشوتُ النارَ في فؤادِكا

جهاده معه ﷺ وموته: قال: ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فكان معه بالمدينة حتى قبض اللهُ رسولَه ﷺ، فلما ارتدت العرب، خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيْحة، ومن أرض نجد كلها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبرُوها لي، رأيت أن رأسي حُلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجِها، وأرى ابني يطلبني حثيثاً ثم رأيته حُبس عني؛ قالوا: خيرا؛ قال: أما أنا والله فقد أولتها: قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تُحفر لي، فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقُتل رحمه الله شهيدا باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل[2] منها، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا.

---

(١) أراد: الكفين بالتشديد، فخفف للضرورة، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى: ذا الكفين، وخفف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة، فدل أنه عنده مخفف من غير الشعر، فإن صح هذا فهو محذوف اللام. عن الروض الأنف.

(٢) استبل: شفي.

قصة أعشى بني قيس بن ثعلبة

قدومه على الرسول ومدحه: قال ابن هشام: حدثني خلاد ابن قُرَّة بن خالد السُّدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم: أن أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله ﷺ:

ألم تغتمضْ عيناك ليلةَ أرمدَا ... وبِتَّ كما بات السليمُ مُسهَّدَا[1]
وما ذاك من عشقِ النساءِ وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليومِ خلةَ مَهْددَا[2]
ولكن أرى الدهرَ الذي هو خائنٌ ... إذا أصلحتْ كفايَ عاد فأفسدَا
كُهولاً وشبانا فقدتُ وثروةً ... فللّهِ هذا الدهرُ كيف ترددَا
وما زلت أبغي المالَ مذ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حين شبتُ وأمْردَا
وأبتذلُ العِيسَ المراقيلَ تُغْتلي ... مسافةَ ما بينَ النُّجَيْر فصَرْخَدا[3]

---

(١) لم ينصب ليلة على الظرف، لأن ذلك يفسد معنى البيت، ولكن أراد المصدر فحذفه، والمعنى: اغتماض ليلة أرمد، فحذف المضاف إلى الليلة، وأقامها مقامه، فصار إعرابها كإعرابه، وقد روي هذا البيت: ليلك بالكاف، ومعناه غمض أرمد، وقيل: بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل، أي حال منه على المجاز، كما تقول: ليلك قائم ونهارك صائم وقيل الأرمد: من يشتكي الرمد. والسليم: الملدوغ. والمسهد الذي منع من النوم.

(٢) « تناسيت قبل اليوم خلة مهدداً » فعلل من المهد؛ ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكمنا بأنه مفعل؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميما أو همزة، فحملها على الزيادة، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية؛ والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف في الدال؛ إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف، ولقلت فيه: مهد كما تقول: مرد ومكر ومفر في كل ما وزنه مفعل من المضاعف، وإنما الدال في مهدد ضوعفت للإلحاق، ليلحق ببناء جعفر.

(٣) العيس: نوع من الإبل البيض التي تخالطها حمرة. والمراقيل: السريعة. وتغتلي: تتسابق. =

ألا أيُّهذا السائلي أين يَمَّمتْ ... فإن لها في أهلِ يثربَ مَوْعدَا
فإن تسألي عني فيا رُبَّ سائلٍ ... حَفِيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجدَّتْ برجليها النجاءَ وراجعتْ ... يداها خِنافاً لَيِّناً غيرَ أَحْردَا[1]
وفيها إذا ما هجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إذا خِلْتَ حَرْباءَ الظهيرةِ أَصْيدَا[2]
فآليتُ لا أرثي لها من كُلالةٍ ... ولا من حَفًى حتى تُلاقي محمدَا[3]
متى ما تُنَاخِي عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ ... تُراحي وتَلْقَى من فواضلِه نَدَى
نبيًّا يرى ما لا ترَوْن وذِكْرُه ... أغار لَعَمْرِي في البلادِ وأَنْجدَا[4]
له صدقاتٌ ما تُغِبُّ ونائِلٌ ... وليس عطاءُ اليومِ مانعَه غدَا[5]

= والنجير والصرخة: مكانان بعينهما، وأهل النجير أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل دبا وكان أهل دبا قد حاصرهم حذيفة بن أسيد. وحاصر أهل النجير زياد ابن لبيد بأمر أبي بكر.

(١) لينا غير أحردا. أي: تفعل ذلك من غير حرد في يديها. أي اعوجاج. وقيل الأحرد: الذي يبطئ في السير.
والنجاء: ضرب من السرعة. والخناف: لوي يديها في السير نشاطا.

(٢) هجرت: مشت في الهاجرة وهي الظهيرة. والعجرفية: التي لا تهاب شيئا. والحرباء: دويبة يدور وجهها مع الشمس كيفما دارت، كانت في وسط السماء في أول الزوال. والأصيد: المائل العنق.

(٣) أرثي: أشفق.

(٤) « أغار لعمري في البلاد وأنجدا »: المعروف في اللغة: غار وأنجد، وقد أنشد هذا البيت: « لعمري غار في البلاد وأنجدا ». والغور: ما انخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها، وإنما تركوا القياس في الغور، ولم يأت على أفعل إلا قليلا، وكان قياسه أن يكون مثل أنجد، لأنه من أمّ الغور، فقد هبط ونزل، فصار من باب غار الماء، ونحو ذلك.

(٥) وليس عطاء اليوم مانعه غدا: معناه على « رفع » العطاء « ونصب » مانع، أي: ليس العطاء الذي يعطيه اليوم مانعاً له غدا من أن يعطيه، فالهاء عائدة على الممدوح، فلو كانت عائدة على العطاء لقال: وليس عطاء اليوم مانعه هو، بإبراز ضمير الفاعل، لأن الصلة إذا جرت على غير من هي له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل، ولو =

أَجِدُّك لم تسمعْ وَصَاةَ محمدٍ نبيِّ الإلهِ حيثُ أوْصَى وأشْهدَا
إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقَى ولاقيْتَ بعدَ الموتِ من قَد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلِه فَتُرْصِدُ للموتِ الذي كان أرْصَدا
فإياك والميتَاتِ لا تقربنَّها ولا تأخذَنْ سهماً حديداً لتُفْصِدَا
ولا النَّصَب المنصوب لا تنسكُنَّه ولا تعبد الأوثانَ والله فاعبُدَا[2]
ولا تَقْرَبَنْ حُرَّةً كان سِرُّها عليك حراماً فانْكَحَنْ أو تَأَبَّدَا[3]
وذا الرحِمِ القُرْبَى فلا تَقْطعَنَّه لعاقبةٍ ولا الأسيرِ المقيَّدَا
وسبِّح على حينِ العشياتِ والضُّحَى ولا تَحْمَدِ الشيطانَ والله فاحمدَا
ولا تسْخَرَنْ من بائسٍ ذي ضَرارَةٍ ولا تحسَبَنَّ المالَ للمرءِ مُخلِدَا[4]

نهاية الأعشى: فلما كان بمكة أو قريبا منها، اعترضه بعضُ المشركين من قريش، فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم، فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرِّم الزنا، فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرَب، فقال له: يا أبا بصير، فإنه يحرم الخمر، فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في النفس منها لعُلالات، ولكني منصرف فأتروَّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأُسْلم[5]، فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يَعُدْ إلى رسول الله ﷺ.

= نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره، ويكون اسم ليس على هذا مضمراً فيها عائداً على النبي ﷺ.

(١) أرصد: أعد.

(٢) وقف على النون الخفيفة بالألف ولذلك كتبت في الخط بالألف والوقف عليها بالألف وقيل إنه لم يرد النون الخفيفة، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين.

(٣) تأبد: بعد عن النساء.

(٤) ضراوة: ضرورة.

(٥) قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام، ومن قال بقوله: فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأُحد، وحرمت في =

أبو جهل يُذَل للرسول: قال ابن إسحاق: وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله ﷺ وبغضه إياه، وشدته عليه، يُذلُّه اللهُ له إذا رآه.

أبو جهل والإراشي

مماطلة أبي جهل الإراشي: قال ابن إسحاق: حدثني عبدُ الملك بن عبدالله بن أبي سفيان الثقفي، وكان واعيةً، قال: قدم رجل من إرَاش[1] ــ **قال ابن هشام:** ويقال إراشة[2] ــ بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها. فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤدِّيني[3] على أبي الحكم بن هشام فإني

= سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل؛ وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها، وغنته القينتان * ألا يا حمز، للشرف النواء * فبقر خواصر الشارفين، واجتب سنميهما.

فإن صح خبر الأعشى، وما ذكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمت أنه يحرم الخمر، من المنافقين، أو من اليهود، فالله أعلم. وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله * فإن لها في أهل يثرب موعدا * وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي عبيدة قال: لقي الأعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس، وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ فذكر له أنه يحرم الخمر، فرجع، فهذا أولى بالصواب.

(١) وهو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهو والد أنمار ولد بجيلة وخثعم.

(٢) إراشة: بطن من خثعم، وإراشة مذكورة في العماليق في نسب فرعون صاحب مصر، وفي بلي أيضاً بنو إراشة.

(٣) يؤديني: يساعدني على استرداد حقي، وهو من الأداة التي توصل الإنسان إلى ما =

رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس ــ لرسول الله ﷺ، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ــ اذهب إليه فإنه يؤديك عليه.

الرسول ينصف الإراشي من أبي جهل: فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا عبدالله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقٍّ لي قِبَلَه، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه، يرحمك الله؛ قال: انطلقْ إليه، وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام معه. قالوا لرجل ممن معهم: اتبَعْه، فانظر ماذا يصنع.

قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليَّ، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة[1]، قد انتُقع لونُه، فقال: اعط هذا الرجل حقه؛ قال: نعم، لا تبرحْ حتى أعطيَه الذي له، قال: فدخل، فخرج إليه قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي الحق بشأنك، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي.

ما خافه أبو جهل من رسول الله ﷺ: قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال عجباً من العجب

= يريد، كأداة الحرب، وأداة الصانع، فالحاكم يؤدي الخصم، أي يوصله إلى مطلبه، وقد قيل: إن الهمزة بدل من عين، ويؤدي ويعدي بمعنى واحد، أي: يزيل العدوان، والعداء وهو: الظلم، كما تقول: يشكيك أي: يزيل شكواك.

(١) فخرج إليه، وما في وجهه رائحة، أي: بقية روح، فكان معناه: روح باقية، فلذلك جاء به على وزن فاعلة.

والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابَه، فخرج إليه وما معه روحُه فقال له: أعط هذا حقه فقال: نعم، لا تبرح حتى أُخرج إليه حقَّه. فدخل فخرج إليه بحقه، فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا: ويلك! ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قطُّ! قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي، وسمعت صوته، فملئت رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قَصَرته، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني.

أمر ركانة المطلبي ومصارعته النبي ﷺ

من معجزاته ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني أبي: إسحاقُ بن يسار، قال: كان رُكَانة[1] بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش؛ فخلا يوما برسول الله ﷺ في بعض شِعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: يا رُكانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك؛ فقال له رسول الله ﷺ: أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم قال: فقم حتى أصارعَك. قال: فقام إليه ركانة يصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قال: عُد يا محمد، فعاد فصرعه، فقال ــ يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعني؟! فقال رسول الله ﷺ: وأعجب من ذلك

---

(١) ركانة: من مسلمة الفتح وتوفي في خلافة معاوية، وهو الذي طلق امرأته ألبتة، فسأله رسول الله ﷺ عن نيته فقال: إنما أردت واحدة، فردها عليه، ومن حديثه عن النبي ﷺ: أنه قال: « إن لكل دين خلقا، وخلق هذا الدين الحياء ».

إن شئت أن أريكه، إن اتقيت الله واتبعت أمري؛ قال: ما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني، قال: ادعها، فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. قال: فقال لها ارجعي إلى مكانك. قال: فرجعت إلى مكانها.

قال: فذهب رُكانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهلَ الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قَطُّ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.

قدوم وفد النصارى من الحبشة

أبو جهل يحاول ردهم عن الإسلام: قال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة، عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة. فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسُكم عندَه، حتى فارقتم دينَكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركْباً أحمق منكم. أو كما قالوا. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ أنفسَنا خيراً.

ما نزل فيهم من القرآن: ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان. فيقال ــ والله أعلم ــ فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ **الذين آتيناهم الكتابَ من قبلِه هم به يؤمنون. وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنا به، إنه الحق من ربِّنا، إنا كنا من قبلِه مسلمين** ﴾.. إلى قوله: ﴿ **لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم، سلامٌ عليكم لا نبتغِي الجاهلين** ﴾.

قال ابن إسحاق: وقد سألت ابنَ شهاب الزهريَّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن فقال لي: ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه. والآية من سورة المائدة من قوله: ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأنهم لا يستكبرون** ﴾... إلى قوله: ﴿ **فاكتبْنا مع الشاهدين** ﴾.

تهكم المشركين بالمستضعفين وما نزل في ذلك: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خَبَّاب، وعمار، وأبو فَكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن مُحرّث، وصُهَيب، وأشباههم من المسلمين، هزئت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه، كما ترون ؛ أهؤلاء مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهدى والحق! لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ **ولا تطردِ الذين يدعون ربَّهم بالغَداة والعَشِيِّ يريدون وجهَه، ما عليك من حسابِهم من شيءٍ وما من حسابِك عليهم من شيءٍ فتطردَهُم فتكون من الظالمين. وكذلك فتنا بعضَهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا، أليس اللهُ بأعلمَ بالشاكرين. وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتِنا، فقل سلامٌ عليكم كتب ربُّكم على نفسِه**

الرحمةَ أنه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تاب من بعدِه وأصلحَ فإنه غفورٌ رحيمٌ ﴾.

ادعاء المشركين أنه يعلمه بشر ورد القرآن عليهم: وكان رسول الله ﷺ ــ فيما بلغني ــ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مَبْيَعة غلام نصراني، يقال له: جبر، عبد لبني الحضرمي، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني، غلام بني الحَضْرمي، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ. لسانُ الذي يُلحدون إليه أعْجميٌّ، وهذا لسانٌ عربيٌّ مبينٌ ﴾.**

قال ابن هشام: يُلحِدون إليه: يميلون إليه. والإلحاد: الميل عن الحق.

قال رؤبة بن العَجَّاج:

إذا تَبِع الضحاكَ كُلُّ مُلْحِدِ

قال ابن هشام: يعني الضحاك الخارجي، وهذا البيت في أرجوزة له.

سبب نزول سورة الكوثر

نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل: قال ابن إسحاق: وكان العاص بن وائل السَّهْمي ــ فيما بلغني ــ إذا ذُكر رسول الله ﷺ، قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر[1] لا عَقِب له لو مات لا نقطع ذكرُه واسترحتم منه، فأنزل الله في ذلك: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ما هو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر: العظيم.

معنى الكوثر: قال ابن إسحاق: قال لَبيد بن ربيعة الكِلابيُّ:

وصاحبُ مَلْحوبٍ فُجعنا بيومِه وعندَ الرداعِ بيتُ آخر كوثر

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له. وصاحبُ ملحوبٍ: عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، مات بملحوب. وقوله: « وعند الرداع بيت آخر كوثر »: يعني شُرَيح بن الأَحْوص بن جعفر بن كلاب، مات بالرّداع. وكوثر: أراد: الكثير. ولفظه مشتق من لفظ الكثير. قال الكُميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:

وأنت كثيرٌ يابنَ مروان طيبٌ وكان أبوك ابنَ العقائل كوْثرا

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أمية بن أبي عائذ الهُذلي يصف حمار وحش:

---

(١) رجل أبتر: إذا مات انقطع ذكره. قال: كان القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيبة، فلما قبضه الله، قال العاص: أصبح محمد أبتر من ابنه، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ عوضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم.

يُحامي الحَقيقَ إذا ما احتدَمْن وحَمْحَمْنَ في كوثرٍ كالجِلال[1]

يعني بالكوثر: الغبار الكثير، شبهه لكثرته عليه بالجلال. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: حدثني جعفر بن عمرو ــ **قال ابن هشام**: هو جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْري ــ عن عبدالله بن مسلم أخي محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك قال: « سمعت رسول الله ﷺ، وقيل له يا رسول الله: ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ قال: نهر كما بين صنعاء إلى أَيْلة، آنيته كعدد نجوم السماء، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل. قال: يقول عمرُ بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، قال: آكلُها أنعم منها ».

قال ابن إسحاق: وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال ﷺ: من شرب منه لا يظمأ أبدا.

---

(١) الحقيق: ما يجب أن يحميه الإنسان ويريد هنا حماية أتنه، والاحتدام سرعة الجري. والجلال: ما تلبسه الدواب لحمايتها.

نزول ﴿ وقالوا لولا أُنزل عليه ملك ﴾

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله ﷺ قومَه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ إليهم، فقال زَمَعَة بن الأسود، والنضْر بن الحارث، والأسود ابن عبد يَغوث، وأبيُّ بن خلف، والعاص بن وائل: لو جُعل معك يا محمد مَلَك يحدث عنك الناس ويُرَى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿ **وقالوا لولا أُنزل عليه ملك؟ ولو أَنزلنا مَلَكاً لقُضِيَ الأمرُ ثم لا يُنْظَرون. ولو جعلناه مَلَكاً لجعلناه رجلاً، وللبْسنا عليهم ما يَلْبِسون** ﴾.

نزول ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾

قال ابن إسحاق: ومر رسول الله ﷺ ــ فيما بلغني ــ بالوليد ابن المغيرة، وأمية بن خلف وبأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزءوا به، فغاظه ذلك. فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: ﴿ **ولقد استُهزئ برسلٍ من قبلِك، فحاق بالذين سَخِروا منهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾[1].

---

(١) استهزئ برسل، أي: أُسمعوا من الكلام الذي يسمى استهزاء ما ساءهم تأنيساً له، ليتأسى بمن قبله من الرسل، وإنما سمي استهزاءً إذا كان مسموعاً، وهو من فعل الجاهلين. وأما السخر والسخري، فقد يكون في النفس غير مسموع، ولذلك تقول: سخرت منه. فالنبي يسخر: أي يعجب من كفر من يسخر به، ومن سخف عقولهم.

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام: حدثنا زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي قال: ثم أُسْري[1] برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام، بمكة في قريش، وفي القبائل كلها.

قال ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مَسراه ﷺ، عن عبدالله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وعائشة زوج النبي ﷺ؛ ومعاوية بن أبي سفيان، والحسن بن أبي الحسن البصري، وابن شهاب الزهري، وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانئ بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلٌّ يحدِّث عنه بعض ما ذكر من أمرِه حين أُسري به ﷺ، وكان في مسراه، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص، وأمْر من أمر الله عز وجل في قدرته وسلطانه، فيه عِبرةٌ لأُولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله سبحانه

---

(١) اتفقت الرواة على تسميته إسراء، ولم يسمه أحد منهم: سري، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: سرى وأسرى بمعنى واحد. والسرى من سريت إذا سرت ليلا.

وتعالى على يقين، فأسري به سبحانه وتعالى كيف شاء، ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرتِه التي يَصنعُ بها ما يريد.

رواية ابن مسعود عن الإسراء: فكان عبدالله بن مسعود ــ فيما بلغني عنه ــ يقول:

أُتي رسول الله ﷺ بالبراق ــ وهي الدابة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبلَه، تضع حافرَها في منتهى طرفِها ــ فحُمل عليها، ثم خرج به صاحبُه، يرى الآياتِ فيما بين السماءِ والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيمَ الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له، فصلى بهم. ثم أُتي بثلاثة آنية، إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. قال: فقال رسول الله ﷺ: فسمعت قائلا يقول حين عُرضتْ علي: إن أَخذ الماء غرق وغرقت أمتُه، وإن أخذ الخمر غَوي وغَوتْ أمتُه، وإن أخذ اللبن هُدِيَ وهُديت أمتُه. قال: فأخذتُ إناء اللبن، فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام: هُديتَ وهُدِيت أمتُك يا محمد.

رواية الحسن: قال ابن إسحاق: وحُدثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم في الحِجْر، إذ جاءني جبريل، فهمزني بقدمه، فجلست فلم أرَ شيئاً فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمه، فجلست، فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضدي، فقمت معه، فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز[1] بهما رجله، يضع يده في منتهى طرفه،

(١) الحفز: الدفع.

فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

رواية قتادة: قال ابن إسحاق: وحُدثتُ عن قتادة أنه قال: حُدثت أن رسول الله ﷺ قال: لما دنوت منه لأركبه شمس[1]، فوضع جبريل يده على مَعْرفته، ثم قال: ألا تستحي يا براق[2] مما تصنع، فوالله ما ركبك عبدٌ للهِ قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحيا حتى ارفضَّ[3] عرقا، ثم قرَّ حتى ركبته.

عودة إلى رواية الحسن: قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله ﷺ، ومضى جبريل عليه السلام معه، حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأمَّهم رسول الله ﷺ فصلى بهم، ثم أُتي بإناءين، في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن. قال: فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن، فشرب منه، وترك إناء الخمر. قال: فقال له جبريل: هُديت للفطرة، وهُديَتْ أمتك يا محمد، وحُرمت عليكم الخمر. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس: هذا والله الإمْر[4] البين، والله إن العير لتطرد، شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة؟! قال: فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة. قال: فقال لهم

---

(١) شمس: حرن.

(٢) وإنما نفر لبعد عهد البراق بركوب الأنبياء، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

(٣) ارفض: سال.

(٤) الإمر: العجب.

أبو بكر: إنكم تكذبون عليه؛ فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس؛ فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله. أحدَّثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم؛ قال: يا نبي الله، فصفه لي، فإني قد جئته ـــ قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: فرفع لي حتى نظرت إليه ـــ فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئاً، قال صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصِّدِّيقُ؛ فيومئذ سماه الصديق.

قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، والشجرة الملعونة في القرآن، ونخوفهم، فما يزيد إلا طغياناً كبيراً** ﴾.

فهذا حديث الحسن عن مَسرَى رسول الله ﷺ. وما دخل فيه من حديث قتادة.

رواية عائشة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض آل أبي بكر: أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول: ما فُقد جسدُ رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

رواية معاوية: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سُئل عن مَسْرَى رسول الله ﷺ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة.

الإسراء رؤيا: فلم ينكر ذلك من قولهما، لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك، قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾، ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه: ﴿ **يا بُني إني أرى في المنام أني أذبحك** ﴾ ثم مضى على ذلك. فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ ــ فيما بلغني ــ يقول: تنام عيناي وقلبي يقظان. والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله، على أي حاليه كان نائما، أو يقظان، كل ذلك حق وصدق[1].

---

(١) هنا يظهر سؤال. هل كان الإسراء في يقظة بجسده، أو كان في نومه بروحه؟ كما قال سبحانه: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حق، وأن عائشة قالت: لم تفقد بدنه، وإنما عرج بروحه تلك الليلة، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾. ولم يقل « الرؤية »، وإنما يسمى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة، ويحتجون أيضا بحديث البخاري عن أنس بن مالك قال: « ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم، خذوا خيرهم فكان تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه، حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل ». الحديث بطوله، وقال في آخره: « واستيقظ، وهو في المسجد الحرام، وهذا نص لا إشكال أنها كانت رؤيا صادقة، وقال أصحاب القول الثاني: قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة، قالوا: في الآية بيان أنها كانت في اليقظة لأنه قال: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممَّنْ أسلم، ولو كانت رؤيا نوم، لم يستبعد أحد منهم هذا، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء، وفي المشرق والمغرب، فلا يستبعد منه ذلك. وذهبت طائفة ثالثة، منهم: شيخنا القاضي أبو بكر رحمه الله إلى تصديق المقالتين، وتصحيح =

وصفه ﷺ إبراهيم وموسى وعيسى: قال ابن إسحاق: وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ وصف لأصحابه إبراهيمَ وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال: أما إبراهيمُ، فلم أر رجلا أشبه قط بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى[1] كأنه من رجال شنوءة[2]؛ وأما عيسى ابن مريم، فرجل أحمر، بين القصير والطويل، سبط الشعر، كثير خيلان[3] الوجه، كأنه خرج من ديماس[4]: تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ما أشبِّه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي.

علي يصف الرسول ﷺ: قال ابن هشام: وكانت صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام: إذا نعت رسول الله ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغَّط[5]، ولا القصير المتردِّد، وكان رَبْعة من القوم، ولم يكن بالجعْد القطط[6] ولا السبط: كان جعداً رجلا[7]، ولم يكن بالمطهَّم[8] ولا المكلثم[9]. وكان أبيض

= الحديثين، وأن الإسراء كان مرتين، إحداهما: كان في نومه توطئة له وتيسيراً عليه، ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء، وأنهم قالوا: كان الإسراء مرتين: مرة في نومه ومرة في يقظته ببدنه ﷺ. عن الروض الأنف من تحقيقنا، وانظر أقوالا أخرى شافية في فتح الباري لابن حجر ــ من تحقيقنا أيضا. وراجع مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري ــ للمحقق.

(١) الضرب: خفيف اللحم. والجعد: المتكسر الشعر. والأقنى: المرتفع الأنف.

(٢) شنوءة: قبيلة.

(٣) الخيلان: الشامات السوداء.

(٤) الديماس: الحمام.

(٥) الممغط: الممتد.

(٦) القطط: الشديد خشونة الشعر.

(٧) رجلا: مسرح الشعر.

(٨) المطهم: كثير اللحم، وقال الأصمعي: هو التام في كل شيء، فهو بارع الجمال.

(٩) المكلثم: المستدير الوجه، ويقول الأصمعي: ليس كذلك، ولكنه مسنون.

مشربا[1]، أدعج[2] العينين، أهدب الأشفار[3]، جليل المشاش والكتد[4]، دقيق المسربة[5]، أجرد[6]، شثن[7] الكفين والقدمين: إذا مشى تقلع[8]، كأنما يمشي في صبب، واذا التفت التفت معاً. بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين. أجود الناس كفا، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ[9].

رواية أم هانئ[10] عن الإسراء: قال محمد بن إسحاق: وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، واسمُها هند، في مسرى رسول الله ﷺ: أنها كانت تقول ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي: نائم عندي تلك الليلة في بيتي، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبَّنا[11] رسول الله ﷺ؛ فلما صلى الصبح وصلينا معه، قال: يا أم هانئ، لقد

---

(١) مشربا: الذي أشرب حمرة.

(٢) الدعج: سواد العيون.

(٣) أهدب الأشفار: طويلها.

(٤) المشاش: عظام رءوس المفاصل. والكتد: ما بين الكتفين.

(٥) المسربة: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة.

(٦) الجرد: قلة شعر الجسم.

(٧) شثن: غليظ.

(٨) تقلع: لم يثبت قدميه.

(٩) انظر صفة خُلقه الطاهر وخَلْقه الظاهر في الشمائل النبوية لابن كثير، والشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي.. الاثنين من تحقيقنا.

(١٠) أم هانئ : بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنهما.

(١١) أهبنا: أيقظنا.

صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين، ثم قام ليخرج، فأخذت بطرف ردائه، فتكشف عن بطنه كأنه قبطية[1] مطوية، فقلت له: يا نبي الله: لا تحدث بهذا للناس فيكذبوك ويؤذوك؛ قال: والله لأحدثنهموه. قالت: فقلت لجارية لي حبشية: ويحك اتبعي رسول الله ﷺ حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط؛ قال آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة، فندَّ لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا متوجه إلى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان[2] مررت بعير بني فلان: فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه. ثم غطيت عليه كما كان؛ وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوِّب[3] من البيضاء، ثنية التنعيم، يقدمها جملٌ أورق، عليه غرارتان: إحداهما سوداء، والأخرى برقاء. قالت: فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل[4] كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماءً ثم غطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطًّى كما غطوه، ولم يجدوا فيه ماء. وسألوا الآخرين وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وندّ لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه.

---

(١) القبطية: ثياب كانت تنسج بمصر قديما من الكتان.

(٢) جبل يبعد عن مكة حوالي ٤٠ كيلومتراً.

(٣) يصوب: ينزل. البيضاء: مكان قرب مكة.

(٤) أي كان الجمل المذكور أول ما لقيهم.

قصة المعراج

الرسول ﷺ يصعد إلى السماء الأولى: وقال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما فرغت مما كان في بيت المقدس، أُتي بالمعراج، ولم أر شيئا قط أحسن منه: وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حُضر؛ فأصعدني صاحبي فيه؛ حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء، يقال له: باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة، يقال له: إسماعيل[1]، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك[2] ــ قال: يقول رسول الله ﷺ حين حَدَّث بهذا الحديث: ﴿ **وما يعلم جنودَ ربك إلا هو** ﴾ فلما دُخل بي قال: من هذا يا جبريل؟ قال: محمد. قال: أوَقد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعا لي بخير: وقاله.

صفة مالك خازن النار: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله ﷺ، أنه قال: تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني ملك إلا ضاحكا مستبشرا[2]، يقول

---

(١) وقد جاء ذكر « إسماعيل » في مسند الحارث، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك، هكذا لفظ الحديث في رواية الحارث، وفي رواية ابن إسحاق: اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث.

(٢) وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا مستبشراً إلا مالكا خازن جهنم، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله، ولا هو ضاحك لأحد، ومصداق هذا في كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿ **عليها ملائكة غلاظ شداد** ﴾ وهم موكلون بغضب الله تعالى، فالغضب لا يزايلهم أبداً، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في وصفه ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم، وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطني « أن رسول الله ﷺ تبسم في الصلاة، فلما انصرف سُئل عن ذلك، فقال: رأيت ميكائيل راجعاً من طلب القوم، على جناحيه الغبار فضحك إليّ فتبسمت =

خيرا ويدعو به حتى لقيني ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت من غيره؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك، لضحك إليك، ولكنه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار.

من صفات جهنم أعاذنا الله منهـا: فقال رسول الله ﷺ: فقلت لجبريل، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وُصف لكم ﴿**مُطاعٍ ثَمَّ أمين**﴾: ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال: بلى، يا مالك، أرِ محمداً النار. قال: فكشف عنها غطاءها، فقال: ففارت وارتفعت، حتى ظننت لتأخذن ما أرى. قال: فقلت لجبريل: يا جبريل، مره فليردها إلى مكانها. قال: فأمره، فقال لها: اخْبِي، فرجعتْ إلى مكانها الذي خرجت منه. فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل. حتى إذا دَخلت من حيث خرجت رَد عليها غطاءَها.

عرض الأرواح على آدم عليه السلام: قال أبو سعيد الخدري في حديثه: إن رسول الله ﷺ قال: لما دخلت السماء الدنيا، رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويُسَر به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب؛ ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أفٍّ، ويعبس بوجهه ويقول: روح

= إليه »، وإذا صح الحديثان، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك من خزنة النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله ﷺ فيكون الحديث عاماً يراد به الخصوص، أو يكون الحديث الأول حدَّث به رسول الله ﷺ قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعد ما حَدث به من ضحكه إليه، والله أعلم.

خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال: قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تُعرض عليه أرواح ذريته، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب. وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها، وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.

أكلة أموال اليتامى ظلما: قال: ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل، في أيديهم قطع من نار كالأفهار[1]، يقذفونها في أفواههم، فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما.

أكلة الربا: قال: ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون[2]، يمرون عليهم كالإبل المهيومة[3] حين يُعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

الزناة من بني آدم: قال: ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون السمين الطيب. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن.

---

(١) الأفهار: جمع فهر وهو الحجر.

(٢) وذلك أن آل فرعون أشد الناس عذابا يوم القيامة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾.

(٣) المهيومة: العطاش. والهيام: شدة العطش.

من نسبت ابنا لزوجها من غيره: قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن عمرو، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ، قال: « اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فأكل حرائبهم[1]، وطلع على عوراتهم ».

صعوده ﷺ إلى السموات الأخر وما رأى منها : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري، قال : ثم أصعدني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، قال : ثم أصعدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف ابن يعقوب. قال: ثم أصعدني إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته:

---

(١) الحرائب: الأموال. وهو من الحرب، وهو السلب، يريد أن الولد إذا كان لغير أبيه نسب إلى الذي ولد على فراشه، فيأكل من ماله صغيرا، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته، ولسن بعمات له، وإلى أمه وليست بجدة له، وهذا فساد كبير، وإنما قدم ذكر الأكل من ماله، قبل الاطلاع على عوراته.. وإن كان الاطلاع على العورات أشنع، لأن نفقته عليه أول حال صغره، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته، أو لا يبلغ، فإن الأم أرضعته بلبانها، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزوج أباً له من الرضاعة، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة، وفي ذلك نقصان من الشناعة، فإن بلغ الصبي، وتابت الأم، وأعلمته أنه لغير أبيه ليستعف عن ميراثهم، ويكف عن الاطلاع على عوراتهم، أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وإن كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنا، وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه، هذا أقربها إلى الصواب، لقوله عليه السلام: أكل حرائبهم، واطلع على عوراتهم، ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس. وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شر عمل، وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن في عمل خبيث، من منشئه إلى وفاته، فعمله شر عمل. فهو إذا علم أكثر شراً من الزاني والزانية.

من هو؟ قال: هذا إدريس ـــ قال: يقول رسول الله ﷺ: « ورفعناه مكانا عليا »[1] ـــ قال: ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العثنون[2]، لم أر كهلا أجمل منه، قالت قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبَّب في قومه هارون ابن عمران. قال: ثم أصعدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدم[3] طويل أقنى[4]، كأنه من رجال شنوءة؛ فقلت له: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران. ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أر رجلا أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. قال: ثم دخل بي الجنة، فرأيت فيها جارية لعساء[5] فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها؛ فقالت: لزيد بن حارثة، فبشَّر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة.

---

(١) ورفعناه مكاناً علياً، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس، فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة، ورفعه ملك كان صديقا له، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر، وكان إدريس سأله أن يريه الجنة، فأذن له الله في ذلك، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت، فعجب، وقال أمرت أن قبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة، فقبضه هنالك، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلي خاص له دون الأنبياء.

(٢) عظيم اللحية.

(٣) الآدم: الأسود.

(٤) الأقني: المرتفع قصبة الأنف.

(٥) اللعساء: من لها حمرة في شفتيها تضرب إلى السواد.

فرض الصلاة عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فيما بلغني: أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد؛ فيقولون: أَوَقَدْ بعث إليه؟ فيقول: نعم؛ فيقولون: حيَّاه الله من أخ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم.

موسى بن عمران عليه السلام يطلب منه عليه الصلاة والسلام سؤال ربه التخفيف عن أمته في أمر الصلاة: قال رسول الله ﷺ: فأقبلت راجعا، فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم الصاحب كان لكم، سألني: كم فُرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم؛ فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشرا. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشراً. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلما رجعت إليه، قال: فارجع، فاسأل ربك حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة. ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربي وسألته، حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل.

فمن أداهن منكم إيمانا بهن، واحتسابا لهن، كان له أجر خمسين صلاة.

المستهزئون بالرسول وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى صابرا محتسبا، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى وكان عظماء المستهزئين[1]، كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، خمسة نفر من قومهم، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم.

أسماء المستهزئين: من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلاب: الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، وكان رسول الله ﷺ ـــ فيما بلغني ـــ قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: اللهم أعم بصره، وأثكله ولده.

ومن بني زهرة بن كلاب: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: العاص بن وائل ابن هشام.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم.

---

(١) روي أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الأسود، فقال رسول الله ﷺ: خالي خالي، فقال له جبريل: خل عنك، ثم حنا، حتى قتله، ذكره الدارقطني.

ومن بني خزاعة: الحارث ابن الطلاطلة[1] بن عمرو بن الحارث ابن عبد عمرو بن ملكان.

فلما تمادوا في الشر، وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: ﴿ **فاصدعْ بما تؤمر وأعرض عن المشكرين * إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون** ﴾.

ما فعل الله بالمستهزئين: قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله ﷺ، وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي. ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه فمات منه حَبَنا[2]. ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله، كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يجر سبله[3]، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نَبلا له، فتعلق سهم من نبله بإزاره، فخدش في رجله ذلك الخدش، وليس بشيء، فانتقض به فقتله. ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله وخرج على حمار له يريد الطائف، فربض به على شبارقة[4]، فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحارث ابن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا، فقتله.

---

(١) الحارث ابن الطلاطلة، والطلاطلة: أمه، قاله أبو الوليد الوقشي، والطلاطلة في اللغة: الداهية، قال أبو عبيد: كل داء عضال فهو: طلاطلة.

(٢) الحبن: انتفاخ من داء.

(٣) فضول ثيابه.

(٤) شجرة عالية.

قصة أبي أزيهر الدوسي

وصية الوليد أولاده: قال ابن إسحاق: فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد ابن الوليد، فقال لهم: أي بني، أوصيكم بثلاث، فلا تضيعوا فيهن: دمي في خزاعة فلا تطلنَّه[1]، والله إني لأعلم أنهم منه برآء، ولكني أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم، ورباي في ثقيف، فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقري عند أبي أزيهر[2]، فلا يفوتنكم به. وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتا، ثم أمسكها عنه، فلم يدخلها عليه حتى مات.

عقل الوليد عند خزاعة: فلما هلك الوليد بن المغيرة وثب بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سهم صاحبكم ــ وكان لبني كعب حلف من بني عبد المطلب ابن هاشم ــ فأبت عليهم خزاعة ذلك، حتى تقاولوا أشعاراً، وغلظ بينهم الأمر ــ وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلا من بني كعب ابن عمرو من خزاعة ــ فقال عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم:

ما قيل من الأشعار في مقتل الوليد:

إني زعيم أن تسيروا فتهربوا ... وأن تتركوا الظهرَان تعوي ثعالبُهْ[3]

وأن تتركوا ماءً بجزعة أطرقا ... وأن تسألوا أي الأراك أطايبه؟[4]

---

(١) لا تهدرنه.

(٢) وأصل عقري: من العقر. والعقر: دية الفرج المغصوب، وأصله في الفتاة البكر من أجل التدمية، ومنه عقر السرج الفرس: إذا أدماه، وقيل: عقر بضم العين، لأنه بمعنى بضع.

(٣) الزعيم: الضامن. والظهران: واد قريب من مكة.

(٤) الجزاعة: والجزع بمعنى واحد، وهو معظم الوادي، وقال ابن الأعرابي: هو ما انثنى =

فإنا أناسٌ لا تُطَلُّ دماؤُنا ولا يتعالى صاعداً من نحاربه[1]

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب، من خزاعة. فأجابه الجون ابن أبي الجون، أخو بني كعب بن عمرو الخزاعي، فقال:

والله لا نُؤتَى الوليد ظُلامةً ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويُصرع منكم مُسمن بعد مسمن وتُفتح بعد الموت قسراً مشاربه[2]
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم فكلكم باكي الوليد ونادبه[3]

ثم إن الناس ترادوا وعرفوا إنما يخشى القوم السَّبة فأعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض. فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبي الجون:

وقائلةٍ لما اصطلحنا تعجبا لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تُقسموا تؤتوا الوليد ظلامة ولما تروا يوما كثير البلابل[4]
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت فأمَّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد، وذكر أنهم أصابوه، وكان ذلك باطلا. فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك

= منه، وأطرقا: اسم علم لموضع سمي بفعل الأمر للاثنين، فهو محكي لا يعرب، وقيل أن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مروا بها خائفين، فسمع أحدهم صوتا، فقال لصاحبيه: أطرقا، أي: أنصتا، حتى نرى ما هذا الصوت، فسمي المكان بأطرقا، والله أعلم.

(١) تطل: تهدر.

(٢) المسمن: الشريف الظاهر بين الناس.

(٣) الخزير: نوع من الحساء.

(٤) تؤتوا: أراد: أن تؤتوا، ومعناه: أن لا تؤتوا كما جاء في التنزيل: ﴿ **يبين الله لكم أن تضلوا** ﴾ في قول طائفة، ومعناه: كره لكم أن تضلوا، وإذا كان الكلام محمولا على معناها فالنصب جائز، والرفع جائز أيضا. والبلابل: الوساوس الفكرية.

ما حذر، فقال الجون بن أبي الجون:

ألا زعم المغيرة أن كعبا ... بمكة منهم قدر كبير
فلا تفخر مغير أن تراها ... بها يمشي المعلهج والمهير[1]
بها آباؤنا وبها وُلدنا ... كما أرسي بمثبته ثبير[2]
وما قال المغيرةُ ذاك إلا ... ليعلمَ شأننا أو يستثير
فإن دمَ الوليد يُطَلُّ إنا ... نطل دماء أنت بها خبير
كساه الفاتك الميمون سهما ... زعافا وهْو ممتلئ بهير[3]
فخر ببطن مكة مُسلحبا ... كأنه عند وجبته بعير
سيكفيني مطال أبي هشام ... صغار جعدة الأوتار خور

قال ابن هشام: تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه.

مقتل أبي أزيهر: قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر، وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب عاتكة؛ بنت أبي أزيهر، وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه — فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده، لوصية أبيه إياه، وذلك بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين، فخرج يزيد بن أبي سفيان، فجمع بني عبد مناف، وأبو سفيان بذي المجاز، فقال الناس: أخفر أبو سفيان في صهره، فهو ثائر به. فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد — وكان أبو سفيان رجلا حليما منكراً يحب قومه حبا

---

(١) المعلهج: المتردد في الإماء كأنه منحوت من أصلين: من العلج لأن الأمة: عالجة، ومن اللهج، كأن واطئ الأمة قد لهج بها، فنحت لفظ المعلهج من هذين اللفظين — والمهير: ابن المهيرة الحرة.

(٢) ثبير: جبل بمكة.

(٣) البهير: منقطع النفس.

شديداً ــ انحط سريعاً إلى مكة، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر، فأتى ابنه وهو في الحديد، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربة هدَّه منها، ثم قال له: قبحك الله! أتريد أن تضرب قريشاً بعضَهم ببعض في رجل من دَوْس. سنؤتيهم العَقْل إن قبلوه، وأُطفئ لك الأمرَ.

فانبعث حسانُ بن ثابت يحرض في دم أبي أُزَيْهر، ويعير أبا سفيان خُفْرَته ويُجْبِنه، فقال:

غدا أهلُ ضَوْجَيْ ذى المجاز كليهما ... وجار ابنِ حربٍ بالمغمَّس ما يغدُو[1]

ولم يمنع العيرُ الضَّروطُ ذمارَه ... وما منعت مخزاةَ والدِها هندُ[2]

كساك هشام بنُ الوليد ثيابَه ... فأبْلِ وأخْلِفْ مثلَها جدداً بَعْدُ

قضى وطراً منه فأصبح ماجداً ... وأصبحتَ رخواً ما تُخبُّ وما تعدُو[3]

فلو أن أشياخاً ببدرٍ تشاهدوا ... لَبَلَّ نعالَ القومِ مُعْتَبِطٌ وَرْدُ[4]

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال: يريد حسان أن يضرب بعضَنا ببعض في رجل من دوس، بئس والله ما ظن.

ولما أسلم أهلُ الطائف كلَّم رسولَ الله ﷺ خالدُ بنُ الوليد في ربا الوليد، الذي كان في ثقيف، لما كان أبوه أوصاه به.

---

(١) ضوجى: ما انعطف من الوادي، وذو المجاز: سوق عند عرفة كانت العرب إذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا، ويقال: عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة، فسميت عكاظ لذلك. والمغمس: موضع بطريق الطائف.

(٢) الذمار: ما تجب رعايته. وهند: بنت أبي سفيان.

(٣) الخبب: ضرب من السير.

(٤) المعتبط الورد: الدم العبيط وهو الطري.

خالد يطالب بتنفيذ وصية أبيه وما نزل في ذلك من القرآن:
قال ابن إسحاق: فذكر لي بعضُ أهلِ العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا: ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ، وذَروا ما بقيَ من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ إلى آخر القصة فيها.

دوس تحاول الثأر لأبي أزيهر: ولم يكن في أبي أزيهر ثأر نعلمه، حتى حجز الإسلام بين الناس؛ إلا أن ضرار بن الخطاب بن مِرْداس الفِهْري خرج في نفر من قريش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأة يقال لها أُمُّ غَيْلان، مولاة لدوس، وكانت تمشِّط النساء، وتجهِّز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر، فقامت دونهم أُمُّ غيلان ونسوة معها، حتى منعتهم، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك:

جزى اللهُ عنا أمَّ غَيْلان صالحاً ... ونسوَتها إذ هن شُعْثٌ عواطلُ
فهن دفعن الموتَ بعدَ اقترابِه ... وقد برزتْ للثائرين المقاتلُ
دعت دعوةً دوساً فسالت شعابُها[1] ... بعزٍّ وأدَّتها الشَّراجُ القوابلُ[2]
وعَمراً جزاه اللهُ خيراً فما وَنَى ... وما بردتْ منه لديَّ المفاصلُ
فجردت سيفي ثم قمتُ بنصلِه ... وعن أيِّ نفسٍ بعدَ نفسي أُقاتلُ

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن التي قامت دون ضرار أمّ جميل، ويقال أم غيلان؛ قال: ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه.

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل، وهي ترى أنه أخوه. فلما انتسبت له عرف القصة فقال: إني لست بأخيه إلا في الإسلام،

---

(١) الشعاب: جمع شعب وهو مسيل الماء في الحرة.
(٢) الشراج: جمع شرج: مسيل الماء. والقوابل: المتقابلة.

وهو غازٍ، وقد عرفت منَّتَك عليه، فأعطاها على أنها ابنة سبيل.

قال الراوي: قال ابن هشام: وكان ضِرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد، فجعل يضربه بعَرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطاب لا أقتلك؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه.

وفاة أبي طالب وخديجة، وما عاناه رسول الله ﷺ بعدهما

من كان يؤذي الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته: أبا لهب، والحَكم بن العاص ابن أمية، وعُقْبة بن أبي مُعَيْط، وعَدِي بن حمراء الثقفي، وابن الأصْداء الهذلي؛ وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، فكان أحدهم ــ فيما ذكر لي ــ يطرح عليه ﷺ رحِم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمته[1] إذا نُصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حِجْراً[2] يستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ــ كما حدثني عُمر بن عبدالله بن عروة بن الزبير، عن عروة بن الزبير ــ يخرج به رسول الله ﷺ على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوار هذا! ثم يلقيه في الطريق.

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا

---

(١) البرمة: القدر من الحجر.

(٢) الحجر: كل ما حجرته من حائط ونحوه.

في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهُلْك خديجة، وكانت له وزير صِدْق على الإسلام، يشكو إليها؛ وبُهلْك عمه أبي طالب، وكان له عَضَداً وحِرْزاً في أمره، ومَنَعة وناصراً على قومه، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً.

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال:

لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب.

المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب: قال ابن إسحاق: ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشاً ثِقَلُه، قالت قريش بعضُها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلِّها، فانطلِقوا بنا إلى أبي طالب، فيأخذ لنا على ابن أخيه، وليعطِه مِنَّا، والله ما نأمَن أن يبتزُّونا[1] أمرَنا.

قال ابن إسحاق: فحدثني العباس بن عبدالله بن مَعْبد بن عباس

---

(١) ابتزه أمره: غلبه عليه.

عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: مشوا إلى أبي طالب فكلموه؛ وهم أشرافُ قومه: عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأُمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرافهم فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمتَ، وقد حضرك ما ترى، وتخوَّفْنا عليك، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادْعه فخذ له منا، وخذ لنا منه، ليكفَّ عنا، ونكفَّ عنه، وليدعَنا ودينَنَا، وندَعه ودينَه؛ فبعث إليه أبو طالب، فجاءه، فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشرافُ قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم. قال: فقال أبو جهل: نعم وأبيكَ، وعشر كلمات؛ قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه قال: فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهةَ إلهاً واحداً، إن أمرَك لعَجب! قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلِقُوا وامضُوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرقوا.

رجاء الرسول إسلام أبي طالب: فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً، قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه، فجعل يقول له: أي عمّ، فأنت فقُلْها أستحلّ لك بها الشفاعة يومَ القيامة قال: فلما رأى حِرص رسول الله ﷺ عليه، قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جَزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرّك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأذنِه، قال: فقال يا ابن أخي، والله لقد قال أخي

الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال. فقال رسول الله ﷺ: لم أسمعْ[1].

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب.

قال: وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا قد اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردوا عليه ما ردوا: ﴿ **والقرآن ذي الذِّكْر ، بل الذين كفروا في عزة وشقاق** ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ **أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً، إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا**[2] **واصبروا على آلهتكم، إن هذا لشيءٌ يُراد. ما سمعنا بهذا في الملةِ الآخرة** ﴾ يعنون النصارى، لقولهم: ﴿ **إن الله ثالثُ ثلاثة** ﴾ ﴿ **إن هذا إلا اختلاق** ﴾ ثم هلك أبو طالب.

سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحدَه.

---

(١) قال السهيلي: شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم؛ لكانت مقبولة، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الأثر، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه: ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ١٧٠ــ١٧١.

(٢) ﴿**أن امشوا**﴾ الآية: ذكر بعض أهل التفسير أن قولهم: امشوا من المشاء، لا من المشي، والمشاء: نماء المال وزيادته، يقال مشى الرجل؛ وأمشى: إذا نما ماله.

الثلاثة الذين نزل بهم رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عَمَد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد يَالِيل بن عَمرو بن عُمَير، ومسعود بن عَمرو بن عُمَير، وحبيب بن عمرو بن عُمَير بن عوف ابن عُقْدة بن غِيَرَة بن عَوْف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمَح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يَمْرُط[1] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم ــ فيما ذكر لي ــ: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه، فيُذْئرهم[2] ذلك عليه.

قال ابن هشام: قال عَبيد بن الأبْرص:

ولقد أتاني عن تميمٍ أنهم ذَئِروا لقَتْلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدَهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجئوه إلى حائط[3] لعُتبة بن ربيعة وشَيْبة ابن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد

---

(١) يمرطه: ينزعه ويرمي به.

(٢) يذئرهم: يثيرهم.

(٣) الحائط: الحديقة.

إلى ظل حَبَلة[1] من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ ــ فيما ذكر لي ــ المرأة التي من بني جُمَح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟

شكواه ﷺ إليه تعالى: فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال ــ فيما ذكر لي ــ: « اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيد يتجَهَّمني[2]؟ أم الى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سُخْطُك، لك العُتْبَى حتى ترضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك ».

قصته ﷺ مع عداس: قال: فلما رآه ابنا ربيعة، عُتبة وشَيْبة، وما لقي، تحركت له رحمهما[3]، فدعوَا غلاما لهما نصرانيا، يقال له عَدَّاس، فقالا له: خذ قِطفا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عَدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يديْ رسول الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عَدَّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عَدَّاس، وما دينُك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نِينَوى؛ فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى؛ فقال له عَدَّاس:

---

(١) حبلة: شجرة العنب.

(٢) تجهم فلاناً: أي استقبله بوجه كريه.

(٣) الرحم: الصلة والقرابة.

وما يُدريك ما يونس بن مَتَّى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبيا وأنا نبي، فأكب عَدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه[1].

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامُك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عَدَّاس قالا له: ويلك يا عَدَّاس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي؛ قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينِك، فإن دينَك خير من دينه.

وفد جن نصيبين[2]: قال: ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة، حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنَخْلة[3] قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم ــ فيما ذُكر لي ــ سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنِّ يستمعون القرآن** ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿ **ويُجِرْكم من عذابٍ أليم** ﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿ **قل أوحيَ إليَّ أنه استمع نفرٌ من الجنِّ** ﴾.. إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

---

(١) في قصة عداس غلام بني ربيعة من فقه السنة قبول هدية المشرك، وأن لا يتورع عن طعامه، وفيه تعجب عداس لمعرفة النبي ﷺ أخبار يونس بن مَتَّى وهو أمي وفي أمة أمية.

(٢) نصيبين: هي مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله ﷺ روي أنه قال: رُفعت إلى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها، وينضر شجرها، ويطيب ثمرها أو قال: ويكثر ثمرها، وروي في أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال: هم منشي وماشي وصاصر وماصر والأحقب.

(٣) هناك واديان بهذا الاسم على ليلة من مكة أحدهما نخلة الشامية والثاني نخلة اليمانية.

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

عرض نفسه في المواسم: قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة: وقومه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافِه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعَفين ممن آمن به. فكان رسول الله ﷺ يَعْرِض نفسَه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبيٌّ مُرْسَل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبينَ لهم ما بعثه به الله.

قال ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا، من لا أتهم، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عِبَاد الدِّيلي، أو من حدثه أبو الزناد عنه ــ **قال ابن هشام:** ربيعة بن عِبَاد.

أبو لهب يفرق الناس من حوله ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدثني حُسين بن عبدالله بن عُبيدالله بن عباس، قال سمعت ربيعة ابن عِبَاد، يحدثه أبي، قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به. قال: وخلفه رجل أحول وضيء، له غديرتان[1] عليه حلة عدنية. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه.

---

(١) الغديرتان: ذؤابتان من شعر.

قال: فقلت لأبي: يا أبت، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب.

قال ابن هشام: قال النابغة:

كأنك من جمال بني أُقَيْشٍ يُقَعْقِعُ خلفَ رجْليه بِشَـن[1].

عرضه ﷺ نفسه على كندة: قال ابن إسحاق: حدثنا ابن شهاب الزهري: أنه أتى كِنْدة[2] في منازلهم، وفيهم سيد لهم يقال: مُلَيْح، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه ، فأبَوْا عليه.

عرضه ﷺ نفسه على كلب: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حُصين: أنه أتى كلبا في منازلهم، إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: يا بني عبدالله، إن الله عز وجل قد أحسن اسمَ أبيكم، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

عرضه ﷺ نفسه على بني حنيفة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة[3] في منازلهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليهم ردا منهم.

---

(١) الشن: القربة الخلق. ويريد بالقعقعة حدوث الصوت لتفزع الإبل.

(٢) كندة: هم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن همسع بن عمرو بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ على أحد الأقوال بين النسابين في كندة. وسمي كندة لأنه كند أباه، أي عقه، وسمي ابنه مرتعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً، فهم بنو مرتع بن ثور، وقيل إن ثوراً هو مرتع، وكندة أبوه.

(٣) واسم حنيفة: أثال بن لُجَيم، ولجيم: تصغير اللجم، وهي دويبة، وسمي حنيفة لحنف كان في رجليه، وقيل: بل حنيفة أمهم، وهي بنت كاهل بن أسد عرفوا بها، وهم أهل اليمامة، وأصحاب مسيلمة الكذاب.

عرضه ﷺ نفسه على بني عامر: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسَه، فقال رجل منهم ــ يقال له: بَيْحَرة بن فراس. **قال ابن هشام:** فراس بن عبدالله بن سلمة الخير بن قُشَير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ــ: والله، لو أني أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب، ثم قال: أرأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أفَتُهدَف[1] نحورُنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه.

فلما صدر الناسُ رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السنُّ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تَلافٍ، هل لذُنَاباها من مَطْلب[2]، والذي نفس فلان بيده، ما تقوَّلها إسماعيليٌّ قط[3] وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم.

---

(١) تهدف: تصير هدفا يرمى عليه ــ سهامهم ــ؛ والهدف: الغرض.

(٢) هل لها من تلاف، أي: تدارك، وهو تفاعل من: تلافيتهم، وهل لذناباها من مطلب: مثل ضرب لما فاته منها، وأصله: من ذنابى الطائر: إذا أفلت من الحبالة، فطلبت الأخذ بذناباه.

(٣) ما تقوَّلها إسماعيلي قط. أي: ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بني إسماعيل.

عرضه ﷺ نفسه في المواسم: قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويَعْرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف، إلا تصدَّى له، فدعا إلى الله، وعرَض عليه ما عنده.

عرضه ﷺ نفسه على سويد بن صامت: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، ثم الظَّفري عن أشياخ من قومه قالوا:

قدم سُويد بن صامت، أخو بني عمرو بن عَوْف، مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم: الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وهو الذي يقول:

ألا رُبَّ من تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالتَه بالغيب ساءك ما يَفْري[1]
مقالتُه كالشهدِ ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النحرِ[2]
يَسرك باديه وتحتَ أديمه ... نميمةُ غشٍّ تبتري عَقَبَ الظهرِ[3]
تُبين لك العينان ما هو كاتمٌ ... من الغلِّ والبغضاءِ بالنظرِ الشَّزْرِ
فرِشْنِي بخير طالَما قد بَرَيْتَني ... وخيرُ الموالي من يَريشُ ولا يَبْرِي[4]

وهو الذي يقول ــ ونافر رجلا من بني سُلَيم، ثم أحد بني زِعْب ابن مالك على مائة ناقة، إلى كاهنة من كهان العرب، فقضت له،

---

(١) يفري: يختلق.
(٢) المأثور: من الأثر، وهو السيف الموشى.
(٣) تبتري عقبه: تقطع ظهره.
(٤) يريش: يقوي، ويبري: يضعف.

فانصرف عنها هو والسَّلَمي، ليس معهما غيرها، فلما فرقت بينهما الطريق، قال: مالي يا أخا بني سُلَيم قال: أبعث إليك به، قال: فمن لي بذلك إذا فُتِّني به؟ قال: كلا، والذي نفس سُوَيد بيده، لا تفارقني حتى أوتَى بمالي، فاتَّخذا فضرب به الأرض، ثم أوثقه رباطا، ثم انطلق به إلى دار بني عَمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُلَيم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تحسبنِّي يابنَ زِغْبِ بن مالك ... كمن كُنت تُرْدِي بالغيوبِ وتَخْتِلُ
تحولت قِرْنا إذ صُرِعْت بعزةٍ ... كذلك إن الحازمَ المتحوِّل
ضربتُ به إبْطَ الشمال فلم يزلْ ... على كلِّ حالٍ خدُّه هو أسفلُ

في أشعار كثيرة كان يقولها.

فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سُوَيد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لُقمان[1] ــ يعني حكمة لقمان ــ فقال له رسول الله ﷺ: أعرضها علي، فعرضها عليه، فقال له: إن هذا لكلامٌ حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليَّ، هو هُدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُد منه، وقال: إن هذا لقول حسن،

(١) مجلة لقمان، وهي الصحيفة، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة، أما الجلالة فمن صفة المخلوق، والجلال من صفة الله تعالى، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد:

فلا ذا جلال هبته لجلالة ... ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذي ذُكر في القرآن هو ثأران فيما ذكر الزجاج وغيره، وقد قيل في اسمه غير ذلك، وليس بلقمان بن عاد الحميري. وانظر « من قصص القرآن » لابن كثير ــ من تحقيقنا.

ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخزرج، فإذا كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم. وكان قتله قبل يوم بُعاث[1].

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق: وحدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن لبيد، قال: لما قدم أبو الحَيْسَر، أنس ابن رافع، مكة ومعه فِتية من بني عبد الأَشْهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليَّ الكتاب. قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ، وكان غلاما حدثا: أي قوم، وهذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسر، أنس بن رافع، حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن مُعاذ، وقال: دَعْنا منك فلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكان وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل

---

(١) بعاث: هي حرب بين الأوس والخزرج، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرافهم، وبعاث اسم أرض بها عرفت.

الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

إسلام الأنصار

اجتماعه ﷺ بوفد من الخزرج عند العقبة: قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار[1] فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ، قال لهم: من أنتم؟ قالوا نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود[2]؟ قالوا: نعم؛ قال: أفلا

---

(١) ولم يكن الأنصار اسما لهم في الجاهلية، حتى سماهم الله به في الإسلام، وهم: بنو الأوس والخزرج، والخزرج: الريح الباردة وقال بعضهم: وهي الجنوب خاصة. والأوس: هي العطية أو العوض، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام ألا ترى أن كل أوس في العرب غير هذا، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائي وغيره. وأبوهم حارثة بن ثعلبة وهو أيضاً: والد خزاعة على أحد القولين، وأمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية ويقال هي بنت جفنة واسمه غلبة بن عمرو ابن عامر، وقيل: بنت سيع بن الهون بن خزيمة بن مدركة، قاله الزبير بن أبي بكر في « كتاب أخبار المدينة ». والأنصار: جمع لأناصر على غير قياس في جمع فاعل ولكن على تقدير حذف من ناصر، لأنها زائدة، فالاسم على تقدير حذفها: ثلاثي والثلاثي يجمع على أفعال.

(٢) المولى يجمع: الحليف وابن العم والمعتِق والمعتَق.

تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلَى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهلَ كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم[1] ببلادهم. فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوثٌ الآنَ، قد أظل زمانُه، نتبعه فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تَعلَّموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقُنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومَنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.

أسماء من التقوا به ﷺ من الخزرج: قال ابن إسحاق: وهم ــ فيما ذكر لي ــ: ستة نفر من الخزرج، منهم من بني النجار ــ وهو تَيْم الله ــ ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة ابن عَمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر: أسعد بن زُرارة ابن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة؛ وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غُنْم بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراء.

---

(١) عزوهم: غلبوهم.

قال ابن هشام: وعفراء بنت عُبَيْد بن ثعلبة بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق.

قال ابن هشام: ويقال عامر بن الأزرق.

قال ابن إسحاق: ومن بني سَلِمة بن سعد بن علي بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سواد بن غَنْم بن كعب ابن سلمة: قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد.

قال ابن هشام: عمرو بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: غَنْم.

قال ابن إسحاق: ومن بني حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلمة: عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

ومن بني عُبَيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: جابر بن عبدالله بن رِئاب بن النعمان بن سنان بن عُبَيد.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ.

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقُوه بالعقبة: قال: وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعةِ النساءِ[1]، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب.

رجال البيعة الأولى: منهم من بني النجار، ثم من بني مالك بن النجار: أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة؛ وعوف، ومعاذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهما ابنا عفراء.

ومن بني زُرَيق بن عامر رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن

---

(١) وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن فقال: ﴿ **يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا** ﴾ الآية، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق، فإذا أقررن بألسنتهن قال: قد بايعتكن، وما مسَّت يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة، وقد روي أنهن كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوب، وهو قول عامر والشعبي، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره، والأول أصح. وقيل في قوله عز وجل — في الآية السابقة — خبرا عن بيعة النساء. ﴿ **ولا يأتين ببهتان** ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها، وليس منه، وقيل: هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ أنه النوح، وهذا أيضا ليس من شأن الرجال، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح، وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل، وليس منه، وقيل. « يفترينه بين أيديهن » يعني: الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم، « وأرجلهن » يعني المشي في معصية، « ولا يعصينك في معروف »، أي: في خير تأمرهن به، والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق، وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب، وهذا معنى يعم الرجال والنساء.

وذكر ابن إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليهن، أن قال ولا تغششن أزواجكن، قالت إحداهن: وما غش أزواجنا؟ فقال: أن تأخذي من ماله فتحابي به غيره.

عامر بن زُرَيْق، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخْلِد بن عامر ابن زُرَيْق.

قال ابن هشام: ذَكْوان، مهاجري أنصاري.

ومن بني عَوْف بن الخزرج، ثم من بني غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهم القواقل: عُبادة بن الصامت بن قَيْس بن أَصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم؛ وأبو عبد الرحمن، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أَصْرم بن عَمرو بن عَمَّارة، من بني غُصَيْنة، من بَلِيّ حليف لهم.

قال ابن هشام: وإنما قيل لهم القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له: قوقل به بيثرب حيث شئتَ.

قال ابن هشام: القوقلة: ضرب من المشي.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: العباس بن عبادة بن نَضَلة بن مالك بن العَجْلان.

ومن بني سَلَمة بن علي بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني حرام بن كعب بن غَنْم بن سلمة: عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة: قُطبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم بن سواد.

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عَمرو بن عامر ثم من بني عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التَّيِّهان، واسمه مالك.

قال ابن هشام: التيهان: يخفف ويثقل، كقوله ميْت وميِّت.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: عُوَيْم بن ساعدة.

نص البيعة: قال ابن اسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مَرْثد بن عبدالله اليزَني، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصنابحي، عن عُبادة بن الصامت، قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلا، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف. فإن وفيتم فلكم الجنة. وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء عَذَّب وإن شاء غفر.

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله بن عبدالله الخَوْلاني أبي إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف؛ فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأُخذتم بحدِّه في الدنيا، فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب، وإن شاء غفر.

إرسال مصعب بن عمير مع وفد العقبة: قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ

بالمدينة[1]: مصعبٌ. وكان منزَله[2] على أسعد بن زُرارة بن عُدَس، أبي أُمامة.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض.

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف، عن أبيه أبي أُمامة، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي: كعبِ بن مالك، حين ذهب بصرُه، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذانَ بها صلى على أبي أُمامة، أسعد بن زرارة. قال: فمكث حينا على ذلك لا يسمع الأذان للجمعة[3] إلا

---

(١) مصعب بن عمير وهو المقرئ، وهو أول من سمي بهذا أعني « المقرئ » يكنى أبا عبدالله، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشا وأعطرهم، وكانت أمه شديدة الكلف به، وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه، يستيقظ فيأكل، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله ﷺ ينظر إليه، وعليه فروة قد رفعها، فيبكي لما كان يعرف من نعمته، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها، فكانت تقف في الشمس حتى تسقط مغشيا عليها، وكان بنوها يحشون فاها بشجار، وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت. وكان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسناً وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال.

(٢) منزَل: بفتح الزاي، لأنه أراد المصدر، ولم يرد المكان.

(٣) الجمعة: كانت تسمي العَروبة. كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل أن يؤمروا بها، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فاستقر فرضها =

صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي: والله إن هذا بي لعجز، ألا أساله ما له إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أُمامة أسعد ابن زُرارة؟ قال: فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له. قال فقلت له: يا أبتِ، ما لك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أُمامة؟ فقال: أي بُنَيَّ، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هَزم النبيت[1]، من حَرَّة بني بَياضة، يقال له: نَقيع الخَضمات[2]، قال: قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلا.

إسلام سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير وبني عبد الأشهل:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقب، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حزم: أن أسعد بن زُرارة خرج بمصْعَب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظَفَر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة، فدخل به حائطا من حوائط بني ظَفَر.

قال ابن هشام: واسم ظفر: كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ــ قالا: على بئر يقال لها: بئر مَرَق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ، وأُسَيْد بن حُضَيْر، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأُسيد بن

= واستمر حكمها ولذلك قال ﷺ في يوم الجمعة: أضلته اليهود والنصارى، وهداكم الله إليه.

(١) هزم النبيت: جبل على مقربة من المدينة.

(٢) الخضمات: من الخضم، وهو الأكل بالفم كله، والقضم بأطراف الأسنان، ويقال: هو أكل اليابس، والخضم: أكل الرطب، فكأنه جمع خضمة، وهي الماشية التي تخضم.

حُضَير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَيْنا ليسفها ضعفاءنا، فازجرْهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد ابن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدما.

قال: فأخذ أسيد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما؛ فلما رآه أسعد ابن زُرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمْه. قال فوقف عليهما مُتشتِّما، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءَنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أوَتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره؟

قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مُصْعَب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك، ثم تصلي[1].

---

(١) ذكر فيه الاغتسال لهما بأمر مصعب بن عمير، فذلك السنة في كل كافر يسلم، ثم اختلف في نية الكافر إذا أسلم باغتساله، فقال بعضهم ينوي به رفع الجنابة عن نفسه، وقال بعضهم: ينوي التعبد، ولا حكم للجنابة في حقه، لأن معنى الأمر به استباحة الصلاة، والكافر لا يصلي، وإن كان مخاطباً في أصح القولين أي هل الكافر مخاطب بفروع الشريعة أم لا؟ ولكنه أمر مشروط بالإيمان، فإذا لم يكن الإيمان ــ وهو الشرط الأول ــ فأجدر بأن يكون الشرط الثاني ــ وهو الغسل من الجنابة غير مقيد بشيء، فإذا أسلم هدم الإسلام ما كان قبله، فلم يجب عليه إعادة صلاة مضت، وإذا سقطت الصلوات سقطت عنه شروطها، واستأنف الأحكام الشرعية، فتجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أدائها من وضوء وغسل من جنابة، إذا أجنب بعد إسلامه.

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن مُعاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم؛ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك[1].

قال: فقام سعد مغضَباً مبادراً، تخوُّفا للذي ذُكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أُمامة، أما والله، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره ــ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مُصْعب، جاءك والله سيد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ــ: قال: فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وأن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهُّله، ثم قال لهما: وكيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

---

(١) لينقضوا عهدك.

قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعملون أمري فيكم قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأياً، وأيمنُنا نقيبةً قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلماً ومسلمةً، ورجع أسعد ومُصْعَب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخَطْمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأَوْس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأَسْلَت، وهو صيفي، وكان شاعراً لهم وقائداً يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، وقال فيما رأى من الإسلام، وما اختلف الناس فيه من أمره:

أربَّ الناسِ أشياءٌ ألـمَّتْ ... يُلَفُّ الصعبُ منها بالذَّلولِ
أربَّ الناسِ أما إذ ضللنا ... فيسَّرْنا لمعروفِ السبيلِ
فلولا ربُّنا كنا يهوداً ... وما دينُ اليهودِ بذي شُكولِ[1]

---

(١) الشكول: جمع شكل وشكل الشيء ــ بالفتح ــ هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكأنه أراد أن دين اليهود بدع، فليس له شكول أي: ليس له نظير في الحقائق، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول، وقد قال الطائي: =

ولـولا ربُّنـا كنـا نصـارى مع الرهبانِ في جبلِ الجليلِ[1]
ولكنـا خُلقنـا إذ خُلقنـا حنيفاً دينُنا عن كلِّ جيلِ
نسوق الهَدْي تَرسُف مُذْعِناتٍ مُكثَّفة المناكبِ في الجُلولِ[2]

قال ابن هشام: أنشدني قوله: فلولا ربنا، وقوله: لولا ربنا، وقوله: مكشفة المناكب في الجلول، رجل من الأنصار، أو من خزاعة.

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة، من أوسط أيام التشريق، حين أراد من كرامته؛ والنصرِ لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

البراء بن معرور يصلي إلى الكعبة: قال ابن إسحاق: حدثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بـن القَيْن، أخو بني سَلَمة، أن أخاه عبدالله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن أباه كعبا حدثه، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقِهنا،

= وقلت: أخي قالوا: أخ من قرابة فقلت لهـم: إن الشكـول أقـارب
قريبي في رأيـي ودينـي ومذهبـي وإن باعدتنا في الخطوب المناسب
انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٢٠٠.

(١) الجليل: جبل معروف في الشام.

(٢) ترسف: تمشي مشي المقيد، والجلول: جمع جل وهو ما تلبسه الدابة لتُصان به.

ومعنا البراء بن معرور، سيدنا وكبيرنا.

فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأيا، فوالله ما أدري، أتوافقونني عليه، أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البَنِيَّة مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أصلي إليها. قال: فقلنا، والله ما بلغنا أن نبيَّنا ﷺ يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. قال؛ فقال: إني لمصلٍ إليها. قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل.

قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، حتى نسأَله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا؛ قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال: قلنا: نعم ــ قال: كنا نعرف العباس، وكان لا يزال يقدم علينا تاجراً ــ قال: فإن دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس.

قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس، ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه. فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البَراء بن معرور، سيد قومه، وهذا كعب بن مالك قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قال نعم، قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا

أجعل هذه البَنيَّة مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: كنت على قبلة لو صبرت[1] عليها. قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال ابن هشام: وقال عَوْن بن أيوب الأنصاري:

ومنا المصلِّي أولَ الناس مُقبلاً على كعبةِ الرحمنِ بينَ المشاعرِ

يعني البراء بن معرور. وهذا البيت في قصيدة له.

إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام: قال ابن إسحاق: حدثني مَعْبَد بن كعب، أن أخاه عبدالله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت

---

(١) قول رسول الله ﷺ: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها، فقه قوله: لو صبرت عليها: أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى: لأنه كان متأولا وفي الحديث: دليل على أن رسول الله ﷺ، كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا، فعلى هذا يكون في القبلة نسخان نسخ سنة بقرآن، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة، فروي عنه من طرق صحاح أن رسول الله ﷺ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعاً لم يبن توجهه إلى بيت المقدس للناس، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له في الآية الناسخة: ﴿ **ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ أي: من أي جهة جئت إلى الصلاة، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبراً لبيت المقدس، أو لم تكن؛ لأنه كان بمكة يتحرى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه، وتدبر قوله تعالى: ﴿ **ومن حيث خرجت فَوَلِّ وجهك** ﴾ وقال لأمته: ﴿ **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾.

الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبدالله بن عَمرو بن حرام أبو جابر، سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غدا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.

امرأتان في البيعة: قال: فنمنا تلك الليلة مع قومِنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثُلثُ الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القَطا مُستَخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نُسَيْبة بنت كعب، أم عُمارة[1]، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نَابِي، إحدى نساء بني سَلَمة، وهي أم مَنيع.

العباس يستوثق من الأنصار: قال: فاجتمعنا في الشِّعْب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضُرَ أمر ابن أخيه ويتوثَّقَ له. فلما جلس كان أول مُتكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج ــ قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوْسها ــ: إن محمداً منا حيث قد علمتم

---

(١) أم عماره: هي نسيبة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وشهدت يوم اليمامة، وباشرت القتال بنفسها، وشاركت ابنها عبدالله في قتل مسيلمة، فقُطعت يدها، وجرحت اثنا عشر جرحا، ثم عاشت بعد ذلك دهراً. ويروى أن أم عمارة قالت لرسول الله ﷺ ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى للنساء شيئا، فأنزل الله تعالى: ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ﴾ الآية.

وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عِزٍّ من قومه ومَنَعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم تَرَوْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم تَرَوْن أنكم مُسْلِموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدَعَوْه، فإنه في عِزٍّ ومَنَعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فتكلمْ يا رسول الله، فخذْ لنفسك ولربك ما أحببت.

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار: قال: فتكلم رسولُ الله ﷺ، فتلا القرآنَ، ودعا إلى الله ورغَّب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم. قال: فأخذ البَراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنَعنَّك مما نمنع منه أزُرَنا[1] فبايعْنا يا رسول الله فنحن والله أبناءُ الحروب، وأهل الحلْقة، ورثناها كابراً عن كابر. قال: فاعترض القولَ ــ والبراء يكلم رسول الله ﷺ ــ أبو الهيثم بن التَّيِّهان، فقال يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنّا قاطعوها ــ يعني اليهود ــ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللهُ أن ترجع إلى قومك وتَدَعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهَدْم الهَدْم[2]،

---

(١) وذكر قول البراء بن معرور، وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله ﷺ، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحاق، فقال: نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أزرنا، أراد: نساءنا، والعرب تكني عن المرأة بالإزار وتكني أيضاً بالإزار عن النفس، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال:

رموها بأثواب خفاف فلا ترى لها شبهاً إلا النعام المنفَّرا

أي: بأبدان خفاف، فقوله مما نمنع أزرنا يحتمل الوجهين جميعاً.

(٢) قال ابن قتيبة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك وهدمي هدمك، أي: ما هدمت من الدماء هدمته أنا، ويقال أيضا: بل اللدم اللدم والهدم =

أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

قال ابن هشام: ويقال: الهَدَم الهدَم: يعني الحرمة. أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومِهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأَوْس.

أسماء النقباء الاثني عشر

نقباء الخزرج: قال ابن هشام: من الخزرج ــ فيما حدثنا زياد ابن عبدالله البكَّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي ــ أبو أُمامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وعبدالله بن رَوَاحة بن

= الهدم وأنشد:

ثــم الحقــي بهدمــي ولدمــي

فاللدم: جمع لادم، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات، وهو من لدمت صدره: إذا ضربته. والهدم، قال ابن هشام: الحرمة، وإنما كني عن حرمة الرجل وأهله بالهدم، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحلوا. ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى، ثم قال: هدمي هدمك أي: رحلتي مع رحلتك أي لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب بن السكيت:

تمضي إذا زجرت عن سوأة قدماً كأنها هدم في الجفر منقاض

ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم بن الخزرج، والبَرَاء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وعبدالله بن عَمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن سَلَمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج، وعُبادة بن الصامت بن قَيْس بن أَصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عَمرو بن عَوْف بن الخزرج.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وسعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

قال ابن هشام: ويقال: ابن خُنَيس.

نقباء الأوس: ومن الأَوْس: أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاك بن عَتيك ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وسعد بن خَيثُمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلَم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

شعر كعب بن مالك في النقباء: قال ابن هشام: وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان، ولا يعدون رفاعة، وقال كعب ابن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبلغْ أُبَيًّا أنه قال رأيُه ... وحال غداة الشِّعْب والحينُ واقعُ[1]
أبي الله ما منَّتك نفسُك إنه ... بمرصادِ أمرِ الناسِ راءٍ وسامعُ
وأبلغ أبا سفيان أنْ قد بدا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى اللهِ ساطعُ
فلا ترغبنْ في حشدِ أمرٍ تريدُه ... وألِّبْ وجَمِّعْ كلَّ ما أنت جامعُ
ودونَك فاعلم أن نقضَ عهودِنا ... أباه عليك الرهطُ حين تبايعُوا
أباه البَراء وابن عَمرو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليك ورافعُ
وسعدٌ أباه الساعديُّ ومُنذِر ... لأنفِك إن حاولتَ ذلك جادعُ
وما ابنُ ربيعٍ إن تناولت عهدَه ... بمسلمِه لا يطمعنْ ثَمَّ طامعُ
وأيضاً فلا يُعطيكه ابنُ رَواحَة ... وإخفارُه من دونِه السمُّ ناقعُ
وفاءً به والقَوْقلي بن صامتٍ ... بمندوحةٍ عما تحاولُ يافعُ[2]
أبو هَيْثمٍ أيضاً وفيّ بمثلها ... وفاء بما أعطى من العهد خانعُ[3]
وما ابن حضير إن أردت بمطمع ... فهل أنت عن أحموقة الغي نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه ... ضروح لما حاولت ملأمر مانعُ[4]
أولاك نجوم لا يغبك منهم ... عليك بنحس في دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم « أبا الهيثم بن التيهان » ولم يذكر « رفاعة ».

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر: أن رسول الله

---

(١) فال: بطل.
(٢) اليافع: العالي.
(٣) الخانع: الذليل.
(٤) ضروح: أي المدافع عن نفسه.

ﷺ قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي ـــ يعني المسلمين ـــ قالوا: نعم.

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري، أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه؛ فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خِزيُ الدنيا والآخرة، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهكَةِ الأموال[1]، وقتْل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتْل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا. قال: الجنة. قالوا: أبسطْ يدك، فبسط يده فبايعوه.

وأما عاصم بن عُمر بن قتادة فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم.

وأما عبدالله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبدالله بن أبي ابن سلول، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن هشام: سلول: امرأة من خزاعة، وهي أم أُبي بن مالك ابن الحارث.

---

(١) نهكة الأموال: نقصها.

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية:

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعُمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التَّيهان.

قال ابن إسحاق: فأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه، عن أخيه عبدالله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم.

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجَباجِب[1] ــ والجباجب المنازل ــ هل لكم في مُذَمَّم والصُّباة معه، قد اجتمعوا على حربكم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: هذا أَزْبُ[2] العقبة، هذا ابن أَزْيب ــ **قال ابن هشام.** ويقال ابن أُزَيْب ــ أتسمع أي عدو الله أما والله لأفرغنَّ لك.

---

(١) يا أهل الجباجب، يعني: منازل منى.

(٢) أزب العقبة: وهو اسم شيطان، ووقع في هذه النسخة في غزوة أحد إزْب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله فأخذ سوطه فأتاه، فقال: ما أنت فقال أزب قال وما أزب؟ قال: رجل من الجن، فضربه به على رأسه بعود السوط حتى باص، أي هرب، وقال يعقوب بن السكيت في الألفاظ: الأزب: القصير وحديث ابن الزبير ذكره العتبي في الغريب فالله أعلم أي اللفظين أصح؟ وابن أزيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلا من الإزب أيضا والأزيب: البخيل، وأزيب: اسم ريح من الرياح الأربع، والآزيب الفزع أيضا، والأزيب: الرجل المتقارب المشي، وهو على وزن أفعل، قاله صاحب العين. (عن الروض الأنف بتحقيقنا).

الأنصار تستعجل الحرب: قال: ثم قال رسول الله ﷺ: ارفَضُّوا إلي رحالكم. قال: فقال له العباس بن عُبادة بن نَضْلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ على أهلِ منىً غداً بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: لم نُؤمرْ بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قريش تجادل الأنصار: قال: فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّة قريش، حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال؛ وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض، قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان له جديدان. قال فقلت له كلمة ــ كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ــ: يا أبا جابر، أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا، مثل نعلَيْ هذا الفتى من قريش؟ قال فسمعها الحارث، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليَّ، وقال: والله لتَنْتَعِلَنَّهُما. قال: يقول: أبو جابر: مَهْ، أحفظتَ والله الفتى، فاردد إليه نعليه، قال: قلت: والله لا أردّهما، فألٌ والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلُبَنَّه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي بكر: أنهم أتوا عبدالله بن أبي ابن سلول، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول، فقال لهم: إن هذا الأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوَّتُوا عليَّ بمثل هذا، وما علمتُه كان، قال: فانصرفوا عنه.

قريش تأسر سعد بن عُبادة: قال: ونفر الناس من مِنىً، فتَنَطَّس القومُ الخبرَ[1]، فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عُبادة بأذَاخر، والمنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة بن كعب ابن الخزرج، وكلاهما كان نقيبا، فأما المنذر فأعجز القومَ؛ وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه بنِسْعِ[2] رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجُمته، وكان ذا شعر كثير.

خلاص سعد: قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفر من قريش، فيهم رجل وضيء أبيض، شَعْشاع[3]، حلو من الرجال.

قال ابن هشام: الشَّعْشاع الطويل الحسن. قال رؤبة:

يمطوه من شَعْشاعٍ غيرِ مُودن

يعني: عنق البعير غير قصير، يقول: مودن اليد، أي ناقص اليد.

قال: فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خيرٌ، فعند هذا قال: فلما دنا مني رفع يدَه فلكمني لكمةً شديدة قال: فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذا أُوي[4] لي رجل ممن كان معهم،فقال: ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوارٌ ولا عهد؟ قال: قلت: بلَى، والله، لقد كنت أجير لجُبير بن مُطْعِم بن عَدِي بن نَوْفل بن

---

(١) أكثروا في البحث عنه. والتنطس، تدقيق النظر.

(٢) النسع: الشراك الذي يشد به الرجل.

(٣) شعشاع: والشعشاعي والشعشعان: الطويل من الرجال، وكذلك السلهب والصقعب والشوقب والشرجن والخبق والشوذب الطويل مع رقة في أسماء كثيرة.

(٤) أوي: رق له، ورحم.

عبد مناف تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف؛ قال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينَك وبينهما: قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ويَهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً؛ قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة، قالا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارَنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده. قال: فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم فانطلق، وكان الذي لكم سعداً سُهَيْل بن عَمرو، أخو بني عامر بن لؤي.

قال ابن هشام: وكان الرجل الذي أوي إليه، أبا البَخْتَري بن هشام.

أول ما قيل في الهجرة من الشعر: قال ابن إسحاق: وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين، قالهما ضرار[1] بن الخطاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فهر:

تداركتَ سعداً عَنوةً فأخذته ... وكان شفاءً لو تداركتَ مُنذِرَا
لو نِلته طُلَّت هناك جراحُه ... وكانت حَرِيًّا أن يُهان ويُهدَرَا[2]

قال ابن هشام: ويروى:

وكان حقيقا أن يُهان ويُهدَرا

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال:

---

(١) ضرار: كان شاعر قريش وفارسها، ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى ابن قيس بن عدي، وكان جده مرداس رئيس بني محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع، وهو ربع الغنيمة، وكان أبوه أيام الفجار رئيس بني محارب ابن فهر. أسلم ضرار عام الفتح.

(٢) طلت: هدرت.

لستَ إلى سعدٍ ولا المرء مُنذِرٍ ... إذا ما مَطايا القومِ أصبحْن ضُمَّرَا
فلولا أبو وهْبٍ لمرَّت قصائدٌ ... على شرفِ البَرقاءِ يَهْوينَ حُسَّرَا
أتفخُر بالكتانِ لما لبسْتَه ... وقد تلبَس الأنباطُ رِيطا مُقَصَّرَا[1]
فلا تَكُ كالوَسْنانِ يحلمُ أنه ... بقريةِ كِسْرَى أو بقريةِ قَيْصَرَا
ولا تك كالثَّكلَى وكانت بمعْزِلٍ ... عن الثُّكْلِ لو كان الفؤادُ تفكَّرَا
ولا تكَ كالشاةِ التي كان حتفُها ... بحفرِ ذراعَيْها فلم ترضَ مَحْفَرَا[2]
ولا تك كالعاوِي فأقبلَ نحرَه ... ولم يَخْشَه سهماً من النَّبلِ مُضْمَرَا
فإنا ومن يُهدِي القصائدَ نحوَنا ... كمسْتَبضِعٍ تمراً إلى أهلِ خَيْبَرَا

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، وكان عَمرو بن الجَموح سيداً من سادات بني سَلمة، وشريفاً من أشرافِهم؛ وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب، يقال له: مَناةُ[3]، كما كانت الأشراف

---

(١) الريط: الملاحف البيض.

(٢) تقول العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا كالباحث عن المدية وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

وكان يجيز الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيزها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها ... إلى مدية تحت التراب تثيرها

(٣) مناة: وزنه فعلة من منيت الدم وغيره إذا صببته، لأن الدماء كانت تمني عنده تقربا إليه، ومنه سميت الأصنام الدُّمَى، وفي قول: لا والدمى لا أرى بما تقول بأسا، وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يهلون إليها بقيد والْحظ من هذا المطلع ما في =

يصنعون، تتخذه إلها تعظِّمه وتطهره، فلما أسلم فتيان بني سَلَمة: معاذُ ابن جبل، وابنه مُعاذ بن عَمْرو بن الجَموح، في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يُدلجون بالليل على صنم عَمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفر بني سلمة، وفيها عِذَرُ[1] الناس، مُنَكَّسا على رأسه، فإذا أصبح عمرو، قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسلَه وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأُخْزِينَّه. فإذا أمسى ونام عَمرو، عَدَوْا عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغْسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه، إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث أَلْقَوْه يوما، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو، عَدَوْا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل، ثم أَلْقَوْه في بئر من آبار بني سَلَمة، فيها عِذَر من عِذَر الناس، ثم عدا عَمرو بن الجَموح فلم يجده في مكانه الذي كان به.

إسلام عمرو وما قاله من الشعر: فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر مُنَكَّسا مقرونا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم برحمة الله، وحسُنَ إسلامه، فقال حين أسلم وعرَف من الله ما عرَف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العَمَى والضلالة:

= قوله تعالى: ﴿ **ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ من الفائدة جعلها ثالثة للات والعزى، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه.

(١) فضلات الناس.

واللهِ لو كنتَ إلهاً لم تكنْ أنتَ وكلبٌ وسْطَ بئرٍ في قَرَنْ[1]
أُفٍّ لمَلْقَاك إلهاً مُسْتَدَنْ الآنَ فتشناكَ عَنْ سُوءِ الغَبَنْ[2]
الحمدُ للهِ العليِّ ذي المِنَنْ الواهبِ الرزاقِ دَيانِ الدِّينْ[3]
هو الذي أنقذني من أن أكونَ في ظُلمةِ قبرٍ مُرْتَهنْ
بأحمدَ المهديِّ النبيِّ المرتهنْ

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق: وكانت بيعةُ الحرب، حين أذِن اللهُ لرسولِه ﷺ في القتال شروطاً سوى شرطِه عليهم في العقبة الأُولى، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِنَ لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحْمر والأسود، أخذ لنفسه واشترطَ على القومِ لربِّه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

قال ابن إسحاق: فحدثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت،

---

(١) القرن: الحبل.

(٢) مستدن: من السدانة، وهي خدمة البيت وتعظيمه، والغبن: الغبن في الرأي يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه، فنصبوا، لأن المعنى: خسر نفسه، وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا.

(٣) الدين جمع دينة، وهي العادة، ويقال لها دين أيضاً، وقال ابن الطثرية، واسمه يزيد:
أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمي بينهم حين أوخشوا فما صار لي في القسم إلا ثمينها
ويجوز أن يكون أراد بالدين: الأديان أي هو ديان أهل الأديان، ولكن جمعها على الدين، لأنها مِلل ونِحل، كما قالوا في جمع: الحرة: حرائر، لأنهن في معنى الكرائم والعقائل.

عن أبيه الوليد، عن جَدِّه عُبادة بـن الصامت، وكان أحد النقباء، قال:

بايعنا رسول الله ﷺ بَيْعة الحرب ــ وكان عُبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء ــ وعلى السمع والطاعة؛ في عُسرنا ويُسرنا ومَنْشَطنا ومُكْرَهنا، وأثْرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه، وأن نقولَ بالحقِّ أينما كنا، لا نخاف في الله لَوْمة لائم.

أسماء من شهد العقبة الأخيرة

عدد من شهدها: قال ابن إسحاق: وهذا تسمية من شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها من الأوْس والخزرج، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين.

من الأوس بن حارثة: شهدها من الأوس بن حارثة بن ثَعلبة بن عَمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأَشْهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن الأوْس: أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِمَاك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشْهَل، نقيب لم يشهد بدراً. وأبو الهَيْثم بن التَّيِّهان، واسمه مالك، شهد بدراً. وسَلَمة بن سلامة بن وَقْش بن زِغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأشْهل، شهد بدراً، ثلاثة نفر. **قال ابن هشام:** ويقال: ابن زعَوْراء.

من بني حارثة بن الحارث: قال ابن إسحاق: ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمرو بن مالك بن الأَوْس: ظُهَيْر بن رافع بن عَدي بن زيد بن جُشَم بن حارثة: وأبو بُرْدَة بن نِيَار، واسمه هاني بن نِيار بـن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبْيان بن

هُمَيْم بن كاهل بن ذُهْل بن هَنِيّ بن بَلِيّ بن عَمرو بن الْحاف بن قُضاعة، حليف لهم ، شهد بدراً. ونُهَيْر بن الهَيْثم، من بني نابي ابن مجْدعة بن حارثة، بن الحارث بن الخزرج بن عَمرو بن مالك بن الأَوس؛ ثم من آل السَّوَّاف بن قيس بن عامر بن نابي بن مَجْدعة بن حارثة. ثلاثة نفر.

من بني عمرو بن عوف: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس: سعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلَم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، نقيب، شهد بدراً، فقُتل به مع رسول الله ﷺ شهيداً.

قال ابن هشام: ونسبه ابن إسحاق في بني عَمرو بن عوف؛ وهو من بني غَنْم بن السَّلَم لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم، ويكون فيهم فيُنسب إليهم.

قال ابن إسحاق: ورفاعة بن عبد المُنْذِر بن زَنْبَر بن زيد بن أُمية بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو، نقيب، شهد بدراً. وعبدالله بن جُبَيْر بن النعمان بن أمية بن البُرَك ــ واسم البُرَك: امرؤ القيس بن ثَعْلبة بن عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس ــ شهدا بدراً، وقُتل يومَ أُحد شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ على الرُّمَاة؛ ويقال: أُمية بن البَرْك، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ومعْنُ بن عدي بن الجد بن العَجْلان بن حارثة بن ضُبَيْعة، حليف لهم من بَلِيٍّ، شهد بدراً وأُحداً والخندق، ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، قُتل يومَ اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعُوَيْم بن ساعدة، شهد بدرا وأحدا والخندق. خمسة نفر.

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا.

من الخزرج بن حارثة: وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمرو بن عامر؛ ثم من بني النجار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عَمرو بن الخزرج: أبو أيوب، وهو خالد بن زيد بن كُلَيب بن ثَعلبة بن عبد بن عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجار، شهد بدرا وأُحداً والخندق، والمشاهد كلها؛ مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان. ومُعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار، شهد بدرا وأحداً والخندق، والمشاهد كلها، وهو ابن عفراء، وأخوه عَوْف بن الحارث شهد بدرا وقُتل به شهيدا، وهو لعفراء. وأخوه مُعوّذ بن الحارث، شهد بدرا وقُتل به شهيدا، وهو الذي قَتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة: وهو لعفراء ــ ويقال: رفاعة بن الحارث بن سواد ــ فيما **قال ابن هشام** ــ وعُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان بن عَمْرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار: شهد بدرا وأُحداً والخندق، والمشاهد كلَّها، قُتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وأسعد بن زرارة ابن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، نقيب، مات قبل بدر ومسجد رسول الله ﷺ يُبنى، وهو أبو أمامة. ستة نفر.

من بني عمرو بن مبذول: ومن بني عمرو بن مبذول ــ ومبذول: عامر بن مالك بن النجار ــ: سهل بن عَتيك بن نعمان بن عَمرو ابن عَتيك بن عمرو، شهد بدرا. رجل.

من بني عمرو بن مالك: ومن بني عمرو بن مالك بن النجار، وهم بنو حُدَيْلة ــ **قال ابن هشام:** حُدَيْلة: بنت مالك بن زيد مَناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج

ـــ أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عَمرو بن زيد مَناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد بدراً، وأبو طلحة، وهو زَيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عَمرو بن زيد مَناة بن عَدي بن مالك بن النجار، شهدا بدرا. رجلان.

من بني مازن بن النجار: ومن بني مازن بن النجار، قيس بن أبي صَعْصَعة، واسم أبي صَعْصَعة: عَمرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن عَمرو بن غَنْم بن مازن، شهد بدرا، وكان رسول الله ﷺ جعله على السَّاقَة يومئذ. وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خَنْساء بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن. رجلان. فجميع من شهد العقبة من بني النجار أحد، عشر رجلا.

قال ابن هشام: عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء، هذا الذي ذكره ابن إسحاق، إنما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء.

من بني الحارث بن الخزرج: قال ابن إسحاق: ومن بلحارث بن الخزرج: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيدا. وخارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، شهد بدراً وقُتل يوم أحد شهيدا. وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدراً وأحداً والخندق ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، إلا الفتح وما بعده، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ. وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث أبو النعمان بن بشير، شهد بدراً. وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبدالله بن زيد مَناة بن

الحارث بن الخزرج، شهد بدرا، وهو الذي أُرِيَ النداءَ للصلاة، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر به، وخَلاَّد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، شهد بدرا وأُحدا والخندق، وقُتل يوم بني قُرَيْظة شهيدا، طُرِحَتْ عليه رحى من أُطَم من أطَامها فشدخته شدخاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ ــ فيما يذكرون ــ إن له لأجر شهيدين. وعُقبة بن عَمرو بن ثعلبة بن أُسَيْرة بن عُسَيْرة بن جِدَارة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج، وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سِنًّا، مات في أيام معاوية لم يشهد بدراً، سبعة نفر.

من بني بياضة: ومن بني بَيَاضة بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: زياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عَدي بن أُمية بن بَيَاضة، شهد بدراً، وفروة بن عَمرو بن وذْفَة[1] بن عبيد بن عامر بن بياضة، شهد بدرا. قال ابن هشام: ويقال: ودفة.

قال ابن إسحاق: وخالد بن قَيْس بن مالك بن العَجْلان بن عامر ابن بَيَاضة شهد بدرا، ثلاثة نفر.

من بني زريق: ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العجلان بن

(١) الوذفة: الروضة الناعمة سميت بذلك، لأنها تقطر ماء من نعمتها، والأداف الذكر وأصله: وداف سمي بذلك الموضع قطر الماء، ويقال للروضة الناعمة: الدفرى، وعمرو ابن ودفة هذا هو البياضي الذي روى عنه مالك في كتاب الصلاة، ولم يسمه، وفي الأنصار بنو النجار، وهم تيم الله بن ثعلبة، سمي النجار فيما ذكروا لأنه نجر وجه رجل بقدوم وقيل: كان نجاراً، وثعلبة في العرب كثير في الرجال، وقال ما يسمون بثعلب، وإن كان ذلك هو القياس كما يسمون بنمر وسبع وذئب.

عمرو بن عامر بن زُرَيْق، نقيب، وذَكْوان بن عبد قيس بن خلدة ابن مخلَّد بن عامر بن زُرَيق، وكان خرج إلى رسول الله ﷺ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله ﷺ من المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري، شهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيدا. وعبَّاد بن قيس بن عامر بن خَلَدة بن مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق، شهد بدرا، والحارث بن قيس بن خالد بن مَخْلَد بن عامر بن زُرَيْق، وهو أبو خالد شهد بدرا، أربعة نفر.

من بني سلمة بن سعد: ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني عبيد ابن عدي بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: البَراء بن معرور بن صخر بن خَنْساء بن سِنان بن عبيد بن عدي بن غَنْم، نقيب، وهو الذي تزعُم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ وشرط له، واشترط عليه، ثم تُوفي قبلَ مقْدَمِ رسول الله ﷺ المدينة. وابنه بشر بن البَراء بن معرور، شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله ﷺ، من الشاة التي سُمَّ فيها — وهو الذي قال له رسول الله ﷺ، حين سأل بني سَلَمة: من سيدكم يا بني سَلَمة؟ فقالوا: الجَدُّ بن قَيْس، على بخله، فقال رسول الله ﷺ: وأي داءٍ أكبر من البُخْل! سيد بني سلَمة الأبيضُ الجَعْدُ بِشْر بن البَراء بن معرور — وسِنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سِنان ابن عبيد، شهد بدرا، وقتل يوم الخندق شهيدا. والطُّفَيْل بن النعمان ابن خَنْساء بن سنان بن عُبَيْد، شهد بدرا، وقُتل يوم الخندق شهيدا. ومَعْقل بن المنذر بن سَرْح بن خُناس بن سِنان بن عُبَيْد، شهد بدرا، ويزيد بن المنذر، شهد بدرا، ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثَعلبة بن عُبَيْد، شهد

بدرا، ويزيد بن حرام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد، وجُبار بن صَخْر بن أُمية بن خَنْساء بن سِنان بن عُبَيد، شهد بدرا.

قال ابن هشام: ويقال: جَبَّار بن صخر بن أُمية بن خُناس.

قال ابن إسحاق: والطفيل بن مالك بن خنساء بن سِنان بن عُبَيْد، شهد بدراً. أحد عشر رجلا.

من بني سواد بن غنم: ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة، ثم من بني كعب بن سَوَاد: كعب بن مالك بن أبي كعب ابن القَيْن بن كعب، رجل.

من بني غنم بن سواد: ومن بني غَنْم بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: سُلَيم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدرا، وقُطْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدرا، وأخوه يزيد بن عامر بن حَديدة بن عَمرو بن غَنْم، وهو أبو المنذِر، شهد بدرا، وأبو اليَسَر، واسمه كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عَمرو بن غَنْم، شهد بدرا، وصَيْفيُّ بن سَوَاد بن عَبَّاد بن عَمرو بن غَنْم، خمسة نفر.

قال ابن هشام: صيفي بن أسْود بن عَبَّاد بن عمرو بن غنم بن سَوَاد، وليس لسواد ابن يقال له: غَنْم.

من بني نابي: قال ابن إسحاق: ومن بني نابي بن عَمْرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: ثعلبة بن غَنَمَة بن عدي بن نابي، شهد بدراً، وقُتل بالخندق شهيدا، وعمرو بن غَنَمَة بن عَدي بن نَابي، وعَبْس بن عامر بن عدي بن نابي، شهد بدرا. وعبدالله بن أُنَيْس، حليف لهم من قُضاعة وخالد بن عَمرو بن عَدِي بن نابي، خمسة نفر.

من بني حرام بن كعب: قال ابن إسحاق: ومن بني حرام ابن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: عبدالله بن عمرو بن حرام ابن ثَعْلبة بن حرام، نقيب، شهد بدرا، وقُتل يوم أحد شهيدا وابنه جابر بن عبدالله. ومُعاذ بن عَمرو بن الجَموح بن يزيد بن حرام، شهد بدرا، وثابت بن الجِذْع ــ والجِذْع: ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ــ شهد بدراً، وقُتل بالطائف شهيدا. وعُمَيْر بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام، شهد بدرا.

قال ابن هشام: عُمير بن الحارث بن لَبْدَة بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وخَدِيج بن سَلاَمة بن أَوْس بن عمرو بن الفُرَافِرِ، حليف لهم من بَلِيّ. ومُعاذ بن جَبَل بن عَمرو بن أَوْس بن عائذ بن كعب بن عَمرو بن أُدِي بن سعد بن علي بن أسد، ويقال: أسد بن سَارِدة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وكان في بني سَلَمة، شهد بدرا والمشاهد كلَّها ومات بعِمْواس، عام الطاعون بالشام، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما ادعته بنو سَلَمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خَنْساء بن سِنان ابن عبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة. سبعة نفر.

قال ابن هشام: أَوْس: ابن عباد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُذَن بن سعد.

من بني عوف بن الخزرج: قال ابن إسحاق: ومن بني عَوْف بن الخزرج؛ ثم من بني سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن عوف بن الخزرج: عُبادة بن الصامت بن قَيْس بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف، نقيب شهد بدرا والمشاهد كلها.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عَوْف، أخو سالم بن عَوْف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: والعباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوف وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، فأقام معه بها، فكان يُقال له: مهاجري أنصاري، وقُتل يوم أحد شهيدا، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزَمة بن أصرم بن عَمرو بن عُمَّارة، حليف لهم من بني غصينة من بلي. وعَمْرو بن الحارث بن لَبْدة بن عمرو بن ثَعلبة: أربعة نفر، وهم القَوَاقِل.

من بني سالم بن غنم: ومن بني سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبُلَّى ــ **قال ابن هشام:** الحبلى: سالم بن غنم ابن عوف، وإنما سُمي الحُبُلَّى لعظم بطنه ــ : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم. شهد بدرا؛ وهو أبو الوليد.

قال ابن هشام: ويقال: رفاعة بن مالك، ومالك: ابن الوليد بن عبدالله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم.

قال ابن إسحق: وعقبة بن وهب بن كَلَّدة بن الجَعْد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بُهْثَة بن عبدالله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، حليف لهم، شهد بدراً، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجرا من المدينة إلى مكة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري.

قال ابن هشام: رجلان.

من بني ساعدة بن كعب: قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: سعد بن عُبادة بن حارثة بن أبي خُزَيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخزرج بن سَاعدة نقيب، والمُنذر بن عَمرو بن خنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشم بن الخزرج بن ساعدة. نقيب. شهد بدرا وأحدا. وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله ﷺ، وهو الذي كان يقال له أعنق ليموت. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر بن عمرو بن خنش.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساءَ إنما كان يأخذ عليهنَّ، فإذا أقررن، قال: اذهبْنَ فقد بايعتكنَّ.

من بني مازن بن النجار: ومن بني مازن بن النجار: نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عَمرو بن غَنْم بن مازن، وهي أم عمارة، كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ، وشهدت معها أختها. وزوجها زيد بن عاصم بن كعب. وابناها: حبيب بن زيد، وعبدالله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مُسيلمة الكذاب الحنفي، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول: نعم فيقول: أفتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده، لا يزيده على ذلك، إذا ذكر له رسول الله ﷺ آمن به وصلى عليه، وإذا ذكر له مُسيلمة قال: لا أسمع ــ فخرجتْ إلى اليمامة مع المسلمين، فباشرت الحربَ بنفسِها، حتى قَتل اللهُ مسيلمةَ ورجعت وبها اثنا عشر جرحا، من بين طعنة وضربة.

قال ابن إسحاق: حدثني هذا الحديث عنها محمدُ بن يحيى بن حِبَّان، عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعة.

من بني سلمة: ومن بني سلمة: أم مَنيع، واسمها: أسماء بنت عَمرو بن عَدي بن نابي بن عمرو بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال

قال: **حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام،** قال: حدثنا زياد ابن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطَّلبي: وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يُؤْذَن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين مُعذَّب في أيديهم، ومن بين هارب في البلاد فرارا منهم، منهم مَن بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه، فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ، وعذبوا ونَفَوْا من عبَدَه ووحَّده وصدَّق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم.

---

(١) راجع زيادة في أنساب من ذكروا وأخبارا كثيرة عنهم في الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ٢١٤ وما بعدها.

فكانت أولُ آية أُنزلت في إذنه له في الحرب، وإحلاله الدماء والقتال، لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، قول الله تبارك وتعالى: ﴿**أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا ــ وإن الله على نصرهم لقديرٌ. الذين أُخرجوا من ديارِهم بغيرِ حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ الله كثيرا ولَيَنصُرَنَّ اللهُ من ينصره، إن الله لقوي عزيز. الذين إنْ مكناهم في الأرضِ أقاموا الصلاةَ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المنكر، ولله عاقبةُ الأمور**﴾: أي أني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلا أن يعبدوا الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، يعني النبي ﷺ وأصحابَه رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿**وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ**﴾: أي حتى لا يفتَن مؤمن عن دينه ﴿**ويكونَ الدينُ للهِ**﴾: أي حتى يُعبد الله، لا يُعبد معه غيره.

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة: قال ابن إسحاق: فلما أُذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها، فخرجوا أُرْسالاً[1]، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

---

(١) أرسالا: أي جماعة وراء جماعة.

ذكر المهاجرين إلى المدينة

هجرة أبي سلمة وامرأته: فكان أولُ من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم: أبو سَلَمة بن عبد الأَسَد بن هلال بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم، واسمه: عبدالله، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغة إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجرا.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي: إسحاقُ بن يسار، عن سَلَمة بن عبدالله بن عُمر بن أبي سَلَمة عن جدته أم سلمة، زوج النبي ﷺ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لي بعيره ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقودُ بعيرَه، فلما رأته رجالُ بني المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتَنا عليها، أرأيتَ صاحبتك هذه؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطامَ البعير من يده، فأخذوني منه قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهْط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ سَلَمة بينهم حتى خلعوا يدَه وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سَلَمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني.

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبْطَح، فما أزال أبكي، حتى أمسي: سنةً أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا

لي: الحقي بزوجك إن شئتِ. قالت: ورد بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: أتبلَّغ بمن لَقِيتُ حتى أَقْدُمَ على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[1] لَقِيتُ عثمانَ بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أُمية؟ قالت: فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال: أَوَما معكِ أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبُنَيَّ هذا. قال: والله ما لك من مَتْرك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني؛ حتى إذا نزلت استأخر ببعيري؛ فحطَّ عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرَّواحُ، قام إلى بعيري فقدمه فرَحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذه بخطامِه فقاده، حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عَمْرو بن عَوْف بقُباء، قال: زوجُك في هذه القرية ــ وكان أبو سلمة بها نازلا ــ فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهلَ بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرمَ من عثمان ابن طلحة[2].

---

(١) موضع على فرسخين من مكة.

(٢) وقد كان عثمان يومئذ على كفره، وإنما أسلم عثمان في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقُتل يوم أحد إخوته مسافع، وكلاب والحارث، وأبوهم، =

هجرة عامر بن ربيعة وبني جحش: قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة، حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم ابن عبدالله بن عَوْف بن عُبَيد بن عَدي بن كعب. ثم عبدالله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمُر بن صَبرة بن مُرة بن كثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جَحْش، وهو أبو أحمد ــ وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفَرْعَة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ــ فغُلِّقت دار بني جَحْش[1]

= وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافراً وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله ﷺ عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة؛ وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جد بني شيبة حجبة الكعبة، واسم أبي طلحة جدهم: عبدالله بن عبدالله بن عبد العزى، وقُتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر.

(١) وبنو جحش، هم: عبدالله وأبو أحمد واسمه: عبد، وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾ وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير، وكانت تستحاض أيضا، وقد روي أن زينب استحيضت، أيضاً، ووقع في الموطأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف، ولا قاله أحد، والغلط لا يسلم بشر منه، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب، ويقال فيها أم حبيبة، غير أن شيخنا أبا عبدالله محمد بن نجاح، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها: زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم ولا غلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش: برة فسماها رسول الله ﷺ زينب، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام،

هجرةً، فمر بها عُتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وأبو جهل ابن هشام بن المغيرة، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالرَّدْم، وهم مُصعِدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عُتبة بن ربيعة تَخْفِقُ أبوابُها يَباباً[1] ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعَداء، ثم قال:

وكلُّ دارٍ وإن طالت سلامتُها يوماً ستُدركُها النكْباءُ والحُوبُ[1]

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دُؤاد الإيادي في قصيدة له. والحوب: التوجع.

قال ابن إسحاق: ثم قال عتبة بن ربيعة: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها! فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُلّ ابن قُلّ.

قال ابن هشام: القُلُّ: الواحد، قال لَبيد بن ربيعة:

كلُّ بني حُرَّةٍ مصيرُهُمُ قُلٌّ وإن أكثرتْ من العَددِ

= كان اسمها برة، فسماها زينب كأنه كره أن تزكي المرأة نفسها بهذا الاسم، وكان اسم جحش بن رئاب: برة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لو غيرت اسم أبي، فإن البرة صغيرة، فقيل: إن رسول الله ﷺ قال لها: لو أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكني سميته جحش والجحش أكبر من البرة. وذكر هذا الحديث مسنداً في كتاب « المؤتلف والمختلف » لأبي الحسن الدارقطني. (عن الروض الأنف، للإمام السهيلي. بتحقيقنا).

(١) اليباب: القفر.

(٢) الشعر لأبي دؤاد الإيادي واسمه: حنظلة بن شرقي، وقيل جارية بن الحجاج، ودار بني جحش عند دار أبان بن عثمان بالردم؛ والردم؛ حفر ردم بالقتلى في الجاهلية، فسمي: الردم؛ وذلك في حرب كانت بين بني جمح، وبين بني الحارث ابن فهر، وكانت الدبرة فيها على بني الحارث، ولذلك قَلَّ عددُهم، فهم أقل قريش عدداً. والبيت التالي لهذا البيت هو:

كل امرئ بلقاء الموت مرتهن كأنه غرض للموت منصوب

قال ابن إسحاق: ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرَنا وقطع بينَنا. فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد، وعامر ابن ربيعة، وعبدالله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بن جحش، على مبشِّر بن عبد المنذر بن زنبر بقُباء، في بني عمرو بن عوف، ثم قدم المهاجرون أَرْسالاً، وكان بنو غَنْم بن دوادن أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم ونساؤهم: عبدالله ابن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وعُكّاشة بن مِحْصن، وشُجاع، وعقبة، ابنا وهب، وأَرْبَد بن حُمَيِّرَة.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُمَيْرَة.

هجرة بعض الرجال ونسائهم: قال ابن إسحاق: ومُنْقذ بن نُباتة، وسعيد بن رُقَيش، ومُحْرِز بن نَضْلة، ويزيد بن رُقَيْش، وقيس ابن جابر، وعَمرو بن مِحْصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثَقْف بن عمرو[1]، وربيعة بن أَكْثم، والزبير بن عُبيد، وتمَّام بن عُبيدة، وسَخْبَرة بن عُبَيْدة، ومحمد بن عبدالله بن جَحْش.

ومن نسائهم: زينب بنت جَحش، وأم حَبيب بنت جَحْش، وجُذَامة بنت جَنْدَل[2]، وأم قيس بنت مِحْصن، وأم حبيب بنت ثُمامة[4]، وآمنة بنت رُقَيْش، وسَخْبَرة بنت تميم، وحَمْنة بنت جحش.

---

(١) ثقف بن عمرو: ويقال فيه: ثقاف شهد هو وأخوه مدلاج بدراً وقُتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسير اليهودي.

(٢) وذكر في نساء بني جحش: جذامة بنت جندل، وأحسبه أراد جذامة بنت وهب بن محصن، وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطأ، وقال فيها خلف بن هشام البزار: جذامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه الإمام مسلم بن الحجاج والمعروف: جدامة بالدال، وقد يقال فيها جدَّامة بالتشديد، والجدامة قصب الزرع، وأملى علينا أبو بكر الحافظ، وكتبت عنه بخط يدي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي إسحاق =

وقال أبو أحمد بن جَحْش بن رِئاب، وهو يذكر هجرة بني أسد ابن خُزَيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة:

ولو حلفتْ بين الصفا أمُّ أحمد ... ومَرْوتها باللهِ بَرَّتْ يمينُها
لنحنُ الأُلى كنا بها ثُم لم نزلْ ... بمكةَ حتى عاد غَثًّا سمينُها
بها خيَّمت غَنْم بنُ دُوادنَ وابتنتْ ... وما إنْ غَدتْ غَنْم وخف قطينُها[1]
إلى الله تغدو بين مَثْنى وواحدٍ ... ودينُ رسولِ الله بالحقِّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً:

لما رأتني أمُّ أحمدَ غادياً ... بذمةِ من أخشى بغَيْبٍ وأرهبُ
تقول: فإما كنتَ لا بدَّ فاعلا ... فيمِّمْ بنا البلدانَ ولتنأ يثربُ
فقلت لها: بل يثربُ اليومَ وجهُنا ... وما يشاءُ الرحمنُ فالعبدُ يركبُ
إلى اللهِ وجهي والرسول ومن يُقمْ ... إلى اللهِ يوماً وجهُه لا يُخيَّبُ
فكم قد تركنا من حميمٍ مُناصحٍ ... وناصحةٍ تبكي بدمعٍ وتندُبُ
ترى أن وِتراً نأيُنا عن بلادِنا ... ونحنُ نرى أن الرغائبَ تُطْلَبُ
دعوْتُ بني غَنْمٍ لحقْنِ دمائِهم ... وللحقِّ لما لاح للناسِ مَلْحبُ[2]

= البرمكي عن محمد بن زكريا بن حبويه عن أبي عمر الزاهد المطرز قال: الجدَّامة: بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة، وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس ابن قتادة الأنصاري وأما جدامة بنت جندل، فلا تعرف في آل جحش الأسديين، ولا في غيرهم كما وقع في الكتاب، وأنها بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة ابن محصن، كما قدمنا والله أعلم. (عن الروض الأنف للسهيلي ــ بتحقيقنا).

(١) أم حبيب بنت ثمامة: وهي ما أغفله أبو عمرو في كتابه، وأغفل أيضاً ذكر ثمام ابن عبيدة، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد. (عن الروض الأنف للسهيلي ــ بتحقيقنا).

(٢) القطين: القوم المقيمون.

(٣) الملحب: الطريق الواضحة.

أجابوا بحمدِ اللهِ لما دعاهمُ إلى الحقِّ داعٍ والنجاح فأوْعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدَى أعانوا علينا بالسلاح وأجْلَبوا
كَفَوْجَيْن: أمَّا منهما فمُوفَّقٌ على الحقِّ مهديٌّ، وفوجٌ مُعَذَّبُ
طَغَوْا وتمنَّوْا كذبة وأزلَّهم عن الحقِّ إبليسٌ فخابوا وخُيِّبُوا
وَرِعْنا إلى قولِ النبيِّ محمدٍ فطاب وُلاةُ الحقِّ منا وطُيِّبوا[1]
نمتْ بأرحامٍ إليهم قريبةٍ ولا قربَ بالأرحامِ إذ لا نُقَرَّبُ
فأيُّ ابنِ أختٍ بعدَنا يأمننَّكم وأيةُ صِهْرٍ بعدَ صِهريَ تُرْقَبُ
ستعلمُ يوماً أينا ــ إذ تزايلوا وزُيِّل أمرُ الناسِ ــ للحقِّ أصوبُ

قال ابن هشام: قوله « ولتنأ يثرب »، وقوله « إذ لا نقرب »، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام يريد بقوله: « إذ » إذا، كقول الله عز وجل: ﴿ **إذ الظالمون مَوْقوفون عندَ ربِّهم** ﴾. قال أبو النجم العِجْلي:

ثم جزاه الله عنا إذ جَزَى جنَّات عدنٍ في العَلالي والعُلاَ

هجرة عُمر وقصة عياش وهشام معه

قال ابن إسحاق: ثم خرج عُمر بن الخطاب، وعَيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدما المدينة. فحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: اتعَدْتُّ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام

---

(١) رعنا: رجعنا.

ابن العاص بن وائل السَّهْمي التَّناضِبَ[1] من أُضاة بني غفار[2]، فوق سَرِف وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التَّناضِب، وحُبس عنا هشام، وفُتن فافتتن.

أبو جهل يغرر بعياش بن أبي ربيعة: فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عَمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا: إن أمَّك قد نذرت أن لا يَمس رأسَها مُشطٌ حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقَّ لها، فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت. قال: فقال: أبرّ قَسَمَ أمي، ولي هنالك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما؛ فلمَّا أبى إلا ذلك؛ قال: قلت له: أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرَها، فإن رابك من القوم ريْب، فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا بن أخي، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقِبني على

---

(١) التناضب: بكسر الضاد، كأنه جمع تنضب وهو ضرب من الشجر، تألفه الجرباء. ذكره أبو حنيفة الدينوري في النبات.

(٢) أضاة بني غفار: هي على عشرة أميال من مكة، والأُضاة: الغدير، كأنها مقلوب من وضأة على وزن فعلة، واشتقاقه من الوضاءة بالمد وهي النظافة، لأن الماء ينظف، وجمع الأضاءة أضاء.

ناقتك هذه؟ قال: بلَى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استَوَوْا بالأرض عدَوَا عليه، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتُتن.

قال ابن إسحاق: فحدثني به بعضُ آل عَيَّاش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً مُوثَقا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاص: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، عن عبدالله بن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتُتن صَرْفاً ولا عَدْلاً ولا تَوْبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسِهم. فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿ **قل يا عبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسِهم لا تَقْنَطوا من رحمةِ الله، إن اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً، إنه هو الغفورُ الرحيم. وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلموا له من قَبْلِ أن يأتيَكم العذابُ ثم لا تُنْصَرون. واتَّبِعُوا أحسنَ ما أُنزل إليكم من ربّكم من قبلِ أن يأتيَكم العذابُ بغتةً وأنتم لا تشعرون** ﴾[1].

قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال: فقال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوَى[2]، أصعد بها فيه وأُصَوِّب ولا أفهمها حتى قلت:

---

(١) نزلت هذه الآيات في المستضعفين بمكة.

(٢) ذو طوى موضع بأسفل مكة، ذكر أن آدم لما هبط إلى الهند، ومشى إلى مكة، وجعل الملائكة، تنتظره بذي طوى، وأنهم قالوا له: يا آدم ما زلنا ننتظرك هاهنا منذ ألفي سنة، وروي أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذي طوى، وأما ذو طواء بالمد، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري، وأما طوى بضم =

اللهم فَهِّمْنيها. قال: فألقى اللهُ تعالى في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة.

أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام: قال ابن هشام: فحدثني من أثق به: أن رسول الله ﷺ قال، وهو بالمدينة: من لي بعَيَّاش ابن أبي ربيعة، وهشام بن العاص فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدمها مستخفياً، فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين ــ تعنيهما ــ فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له؛ فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ مَرْوة[1] فوضعها تحتَ قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه: « ذو المرْوة » لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فدَميت إصبُعه، فقال:

هل أنتِ إلا إصبعٌ دميتِ ... وفي سبيلِ اللهِ ما لَقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ المدينة.

= الطاء والقصر المذكور في التنزيل، فهو بالشام اسم للوادي المقدس، وقد قيل: ليس باسم له، وإنما هو من صفة التقديس، أي: المقدس مرتين.

(١) المروة: الحجر.

منازل المهاجرين بالمدينة

منزل عمر وأخيه وعمرو وعبدالله ابني سراقة وخنيس بن حذافة وبني البكير: قال ابن إسحاق: ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب؛ وعمرو وعبدالله ابنا سراقة بن المعتَمِر، وخُنَيس بن حُذافة السَّهْمي ــ وكان صهره على ابنته حَفْصة بنت عمر، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده ــ وسعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبدالله التميمي، حليف لهم؛ وخَوْليّ بن أبي خَوْليّ؛ ومالك بن أبي خَوْليّ، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خولي: من بني عجل بن لُجَيم بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البُكير أربعتهم: إياس بن البكير، وعاقل ابن البُكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، على رفاعة بن عبد المنذر بن زنْبَر، في بني عَمرو ابن عَوْف بقُباء، وقد كان منزل عَيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة.

منزل طلحة وصهيب: ثم تتابع المهاجرون، فنزل طلحة بن عبيدالله ابن عثمان، وصُهيب بن سنان على خُبَيْب[1] بن إساف أخي بلحارث

---

(١) خبيب: لم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما في قول الواقدي بل تأخر إسلامه، حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، قال خبيب: فخرجت معه أنا ورجل من قومي، وقلنا له: نكره أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم، فقال: أسلمتما؟ فقلنا: لا، فقال: ارجعا؛ فإنا لا نستعين بمشرك.

وخبيب هو الذي خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق، واسمها: حبيبة، =

ابن الخزرج بالسُّنْح[1]، ويقال: بل نزل طلحة بن عُبيدالله على أسعد ابن زُرارة، أخي بني النجار.

قال ابن هشام: وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهْدي أنه قال: بلغني أن صُهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صُعلوكا حقيرا، فكثر مالُك عندنا، وبلغتَ الذي بلغتَ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسِك، والله لا يكون ذلك؛ فقال لهم صُهَيْب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ربح صُهيب؛ ربح صهيب.

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة:

قال ابن إسحاق: ونزل حمزةُ بنُ عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنَّاز بن حِصْن.

قال ابن هشام: ويقال، ابن حُصَيْن ــ وابنه مرثد الغنويان، حليف حمزة بن عبد المطلب وأَنسة، وأبو كَبْشة[2]، موليا رسول الله

= وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، وهي: بنت خارجة بن أبي زهير، والجارية: أم كلثوم بنت أبي بكر، مات خبيب في خلافة عثمان، وهو جد خبيب بن عبد الرحمن، الذي يروي عنه مالك في موطئه.

(١) السنح: بعوالي المدينة.

(٢) أنسة مولى رسول الله ﷺ، من مولدي السراة ويكنى: أبا مسروح شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات في خلافة أبي بكر، وأبو كبشة اسمه: سُلَيم يقال إنه من فارس، ويقال؛ من مولدي أرض دوس، شهدا بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير، وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه، وتقول قال ابن أبي كبشة وفعل ابن أبي كبشة، فقيل فيه أقوال: قيل: إنها كنية أبيه لأمه وهب بن عبد مناف؛ وقيل: كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى، وقيل: إن سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد، وأشهر من هذه الأقوال =

ﷺ، على كُلثوم بن هِدْم، أخي بني عمرو بن عَوْف بقُباء[1] ويقال بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة، أخي بني النجار. كل ذلك يقال.

منزل عبيدة وأخيه والحصين وغيرهم: ونزل عبيدة بن الحارث ابن المطلب، وأخوه الطُّفَيل بن الحارث، والحُصَيْن بن الحارث، ومِسْطَح ابن أُثَاثة بن عَبَّاد بن المطلب، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملة، أخو بني عبد الدار وطُلَيب بن عُمَير، أخو بني عبد بن قصي، وخَبَّاب، مولي عُتبة بن غزوان، علي عبدالله بن سلمة، أخي بلعجلان بقباء.

منزل عبد الرحمن بن عوف: ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بِلْحَارث بن الخزرج، في دار بِلْحارث بن الخزرج.

منزل الزبير وأبي سبرة: ونزل الزبير بن العوام، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى، على مُنْذِر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحة ابن الجُلاح بالعُصبة، دار بني جحجبي.

منزل مصعب بن عمير: ونزل مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم، أخو بني عبد الدار على سعد بن مُعاذ بن النعمان، أخي بني عبد الأَشْهل، في دار بني عبد الأَشْهل.

= كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه. وذكر الدارقطني اسم أبي كبشة هذا في المؤتلف والمختلف، فقال: اسمه وجز بن غالب، وهو خزاعي، وهو من بني غبشان.

(١) وذكر نزولهم بقباء، وهو مسكن بني عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة، وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر، ويصرف ولا يصرف.

وقباء: مأخوذ من القبو، وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة الدينوري، وقال: القوابي هن اللواتي يجمعن العصفر واحدتهن: قابية. قال: وأهل العربية يسمون الضمة من الحركات قبواً.

منزل أبي حذيفة: ونزل أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وسالم مولي أبي حذيفة.

قال ابن هشام: سالم مولي أبي حُذَيفة سائبة لثُبَيْتة بنت يَعَار بن زيد بن عُبَيْد بن زيد بـن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأَوْس، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة فتبناه، فقيل: سالم مولى أبي حذيفة، ويقال: كانت ثُبَيْتة بنت يَعار تحت أبي حُذيفة بن عتبة فأعتقت سالماً سائبة. فقيل: سالم مولى أبي حذيفة[1].

منزل عتبة بن غزوان: قال ابن إسحاق: ونزل عتبة بن غزوان ابن جابر على عَبَّاد بن بشر بن وَقْش أخي بني عبد الأشْهل، في دار عبد الأشهل.

منزل عثمان بن عفان: ونزل عثمان بن عفان على أَوْس بن ثابت بن المنذِر، أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار، فلذلك كان حسان يحبُّ عثمان ويبكيه حين قُتل.

وكان يقال: نزل الأعزابُ من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة، وذلك أنه كان عَزَبا، فالله أعلم أي ذلك كان.

---

(١) سالم مولى أبي حذيفة: الذي كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله ﷺ زيداً، وكان سائبة أي: لا ولاء عليه لأحد، وذكر المرأة التي أعتقته سائبة، وهي ثبيتة بنت يعار، وقد قيل في اسمها بثينة ذكره أبو عمر بن عبد البر وذكر عن الزهري أنه كان يقول فيها: بنت تعار وقال ابن شيبة في المعارف: اسمها سلمى ويقال في اسمها أيضاً: عمرة، وقد أبطل التسييب في العتق كثير من العلماء.

تم بعون الله. الجزء الثاني: من السيرة النبوية لابن هشام ويليه ــ إن شاء الله ــ الجزء الثالث وأوله: هجرة الرسول ﷺ أعان الله على إتمامه.

فهرست سيرة ابن هشام
الجزء الثاني

حديث تزويج رسول الله ﷺ

خديجة رضي الله عنها ٥

سنه ﷺ حين زواجه ٥

خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة ٥

حديثه ﷺ مع الراهب ٦

خديجة ترغب في الزواج منه ﷺ ٧

نسب خديجة رضي الله عنها ٨

الرسول ﷺ يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه ٨

صداق خديجة ٩

أولاده ﷺ من خديجة ٩

ترتيب ولادتهم ٩

إبراهيم وأمه ٩

ورقة يتنبأ له ﷺ بالنبوة ١٠

شعر لورقة ١٠

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر ١٣
سبب هذا البنيان ١٣
أبو وهب ــ خال أبي رسول الله ــ وما حدث له عند بناء الكعبة ١٥
شعر في أبي وهب ١٦
نصيب قبائل قريش في تجزئة الكعبة ١٦
الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة ١٦
امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه ١٧
الكتاب الذي وجد في الركن ١٧
الكتاب الذي وجد في المقام ١٨
حجر الكعبة المكتوب عليه العظة ١٨
الاختلاف بين قريش في وضع الحجر ١٨
لعقة الدم ١٩
أبو أمية بن المغيرة يجد حلاً ١٩
الرسول ﷺ يضع الحجر ١٩
شعر الزبير في الحية التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة ٢٠
ارتفاع الكعبة وكسوتها ٢١

حديث الخُمْس ٢١
قريش تبتدع الحمس ٢١
القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس ٢٢
يوم جبلة ٢٢
يوم ذي نجب ٢٣

ما زادته قريش في الحمس ٢٤
اللقَى عند الحمس ٢٤
الإسلام يبطل عادات الحمس ٢٦
الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل الرسالة ٢٧

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى ببعثته ﷺ ٢٧
الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه ﷺ ٢٧
قذف الجن بالشُّهُب دلالة على مبعثه ﷺ ٢٨
ثقيف أول من فزعت برمي الجن ٣٠

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم في رجم الجن بالشهب وتوضيحه الأمر ٣١
الغيطلة وصاحبها ٣٢
نسب الغيطلة ٣٣
كاهن جنَب يذكر خبر الرسول ﷺ ٣٣

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن ٣٤

إنذار يهود برسول الله ﷺ ٣٧
اليهود ــ لعنهم الله ــ يعرفونه ويكفرون به ٣٧
سلمة يذكر حديث اليهودي الذي أنذر بالرسول ﷺ ٣٨
ابن الهيبان اليهودي يتسبب في إسلام ثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد ٣٨

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه ٤١
سلمان ــ رضي الله عنه ــ يتشوف الى النصرانية
بعد المجوسية ٤١
سلمان يهرب إلى الشام ٤٢
سلمان مع أسقف النصارى السيء ٤٢
سلمان مع أسقف النصارى الصالح ٤٣
سلمان يلحق بأسقف الموصل ٤٣
سلمان يلحق بأسقف نصيبين ٤٣
سلمان يلحق بصاحب عمورية ٤٤
سلمان يذهب الى وادي القرى ٤٤
سلمان يذهب الى المدينة ٤٤
سلمان يسمع بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة ٤٥
نسب قَيْلة ٤٥
سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ ٤٦
سلمان يفتكُّ نفسه من الرق بأمر رسول الله ومساعدته ﷺ ٤٧
حديث سلمان مع الرجل الذي بعمورية ٤٨

ذكر ورقة بن نوفر بن أسد بن عبد العُزى وعُبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل ٥٠
تشككهم في الوثنية ٥٠
تنصر ورقة وابن جحش ٥١
ابن جحش يغري مهاجري الحبشة على التنصر ٥١
رسول الله ﷺ يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته ٥٢
تنصر ابن الحويرث وقدومه على قيصر ٥٢
زيد يتوقف عن جميع الأديان ٥٣

شعر زيد في فراق الوثنية ٥٥
نسب الحضرمي ٥٨
زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية ٥٨
قول زيد حين يستقبل الكعبة ٥٩
الخطاب يؤذي زيداً ويحاصره ٦٠
زيد يرحل إلى الشام ٦١
ورقة يرثي زيداً ٦١

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل ٦٣
يُحَنَّس الحواري يثبت بعثة الرسول ﷺ من الإنجيل ٦٣

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما ٦٤
أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان به ﷺ ٦٤
الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ ٦٦
سلام الحجر والشجر عليه ﷺ ٦٦
نزول جبريل عليه ﷺ ٦٨
التحنث والتحنف ٦٨
الرسول ﷺ يخبر خديجة رضي الله عنها بنزول
جبريل عليه ٧٣
خديجة رضي الله عنها تخبر ورقة بن نوفل ٧٣
تثبت خديجة رضي الله عنها من الوحي ٧٤

ابتداء تنزيل القرآن ٧٦
متى نزل القرآن ٧٦
تاريخ وقعة بدر ٧٦

إسلام خديجة بنت خويلد ٧٧
وقوفها بجانبه ﷺ ٧٧
تبشير خديجة ببيت من قصب ٧٧
جبريل يقرئ خديجة السلام من ربها ٧٩
فترة الوحي ونزول سورة الضحى ٨٠
تفسير مفردات سورة الضحى ٨٠
« فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر » ٨١

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ من الصلاة وأوقاتها ٨٢
افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت ٨٢
جبريل يعلم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة ٨٣
الرسول ﷺ يعلم خديجة الوضوء والصلاة ٨٣
جبريل يعين للرسول ﷺ أوقات الصلاة ٨٤

ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ذكر أسلم ٨٤
نعمة الله على عليٍّ بنشأته في كنف الرسول ٨٥
سبب هذه النشأة ٨٥
الرسول ﷺ وعلي يخرجان الى الصلاة في شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما ٨٦

إسلام زيد بن حارثة ثانياً ٨٧
نسب زيد ٨٧
شعر حارثة أبي زيد عندما فقده ٨٧

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله ونشأته ٨٨
نسبه ٨٨
اسمه ولقبه ٨٩
إسلامه ٨٩
إيلاف قريش له ودعوته للإسلام ٨٩

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه ٩٠
عثمان ٩٠
الزبير ٩٠
عبد الرحمن بن عوف ٩٠
سعد بن أبي وقاص ٩٠
طلحة ٩١
إسلام أبي عبيدة ٩١
إسلام أبي سلمة ٩١
إسلام الأرقم ٩١
إسلام عثمان بن مظعون وأخويه ٩٢
إسلام عبيدة بن الحارث ٩٢
إسلام سعيد بن زيد وامرأته ٩٢
إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرث .. ٩٢
إسلام عمير وابن مسعود وابن القاري ٩٣
إسلام سليط وأخيه وعياش وامرأته وخنيس وعامر ٩٣
إسلام ابني جحش وجعفر وامرأته وحاطب وإخوته
ونسائهم والسائب والمطلب وامرأته ٩٤
إسلام نعيم ٩٤

نسب نعيم ٩٤
إسلام عامر بن فهيرة ٩٥
نسبه ٩٥
إسلام خالد بن سعيد ونسبه وإسلام امرأته ٩٥
إسلام حاطب وأبي حذيفة ٩٥
إسلام واقد وشيء من خبره ٩٥
إسلام بني البكير ٩٦
إسلام عمار ٩٦
إسلام صهيب ٩٦
نسب صهيب ٩٦

مباداة رسول الله ﷺ قومه وما كان منهم ٩٧
أمر الله له ﷺ بمباداة قومه ٩٧
معنى « اصدع بما تؤمر » ٩٧
خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة في الشعب ٩٨
عداوة قومه ومساندة أبي طالب له ٩٨
وفد قريش يعاتب أبا طالب ١٠٠
الرسول ﷺ يستمر في دعوته ١٠٠
رجوع الوفد إلى أبي طالب مرة ثانية ١٠٠
ما دار بين الرسول ﷺ وأبي طالب ١٠١
قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب ١٠١
شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله ١٠٢
قريش تظهر عداوتها للمسلمين ١٠٣
شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته ١٠٤

الوليد بن المغيرة : كيده للرسول وموقفه من القرآن ١٠٥
رد القرآن على صحب الوليد ١٠٧
شعر أبي طالب في معاداة خصومه ١٠٨
الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويود لو أن
أبا طالب حي ليرى ذلك ١١٦
ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب ١١٧
انتشار ذكر الرسول خارج مكة ١١٨
نسب ابن الأسلت ١١٨
شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول ﷺ ١١٩
حرب داحس والغبراء ١٢٣
حرب حاطب ١٢٥
شعر حكيم بن أمية في نهي قومه عن عداوة الرسول .. ١٢٦

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه ١٢٦
سفهاء قريش يأذونه ١٢٦
أشد ما أوذي به الرسول ﷺ ١٢٧

إسلام حمزة رضي الله عنه ١٢٨
سبب إسلامه ١٢٨

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ ١٣٠
رأي عتبة ١٣١
قريش تفتن المسلمين ١٣٢
زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ ١٣٢
أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ ١٣٦

النضر بن الحارث ينصح قريشاً ١٣٧
أذى النضر للرسول ﷺ ١٣٨
قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام ١٣٩
قريش تسأل والرسول يجيب ١٤٠
الرد على قريش فيما سألوه ١٤٠
أهل الكهف ١٤٣
ذو القرنين ١٤٨
أمر الروح ١٤٩
ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ١٤٩
تسيير الجبال وبعث الموتى ١٥٠
خذ لنفسك ١٥٠
لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لفعلت ١٥٠
القرآن يرد على ابن أبي أمية ١٥١
نفي القرآن أن رجلاً من اليمامة يعلمه ١٥٢
ما نزل في أبي جهل ١٥٣
استكبار قريش عن الايمان بالرسول ﷺ ١٥٤

أول من جهر بالقرآن ١٥٦

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ ١٥٦
الأخنس يستفهم عما سمعه ١٥٧
تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم ١٥٨

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة ١٥٩

ما لقيه بلال وتخليص أبي بكر له ١٥٩
من أعتقهم أبو بكر ١٦٠
أبو قحافة يلوم أبا بكر ١٦١
تعذيب آل ياسر ١٦٢
فتنة المسلمين ١٦٢
هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش ١٦٣

ذكر الهجرة الأولى إلى الحبشة ١٦٤
أوائل المهاجرين الى الحبشة ١٦٤
المهاجرون من بني هاشم ١٦٥
المهاجرون من بني أمية ١٦٦
المهاجرون من بني أسد ١٦٦
المهاجرون من بني عبد شمس ١٦٦
المهاجرون من بني نوفل ١٦٧
المهاجرون من بني أسد ١٦٧
المهاجرون من بني عبد بن قصي ١٦٧
المهاجرون من بني عبد الدار بن قصي ١٦٧
المهاجرون من بني زهرة ١٦٨
المهاجرون من بني هذيل ١٦٨
المهاجرون من بهراء ١٦٨
المهاجرون من بني تَيْم ١٦٩
المهاجرون من بني مخزوم ١٦٩
خبر الشماس ١٦٩
المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ١٧٠
المهاجرون من بني جُمح ١٧٠

المهاجرون من بني سهم ١٧٠
المهاجرون من بني عدي ١٧١
المهاجرون من بني عامر ١٧١
المهاجرون من بني الحارث ١٧٢
عدد مهاجري الحبشة ١٧٣
شعر عبدالله بن الحارث في هجرة الحبشة ١٧٣

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها ١٧٦
من أرسلتهما قريش في طلب المهاجرين ١٧٦
شعر أبي طالب للنجاشي ١٧٦
حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي ١٧٧
الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي ١٧٩
رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشي ١٨٠
المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي ١٨٢

قصة تملك النجاشي على الحبشة ١٨٣
قتل أبي النجاشي وتملك عمه ١٨٣
الحبشة تبيع النجاشي ١٨٣
تولية النجاشي الملك ١٨٤
حديث التاجر الذي اشتراه ١٨٤

إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه ١٨٥

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٨٦
حديث أم عبدالله بنت أبي حثمة عن إسلام عمر ١٨٦

سبب إسلام عمر ١٨٧
ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر ١٩١
ثبات عمر في إسلامه ١٩٢

خبر الصحيفة ١٩٥
ائتمار قريش بالرسول ١٩٥
من انحاز إلى أبي طالب ومن خرج عنه ١٩٥
تهكم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن ١٩٦
شعر أبي طالب في تظاهر قريش ١٩٧
أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين ١٩٨

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من الأذى ١٩٩
ما نزل من القرآن في أبي لهب وامرأته ١٩٩
أم جميل امرأة أبي لهب ٢٠٠
إيذاء أمية بن خلف للرسول ٢٠١
إيذاء العاص الرسول ﷺ وما نزل فيه ٢٠٢
إيذاء أبي جهل الرسول ٢٠٢
إيذاء النضر الرسول ٢٠٣
ابن الزبعري وما قيل فيه ٢٠٤
الأخنس وما أُنزل فيه ٢٠٦
الوليد وما أنزل فيه ٢٠٧
أُبي بن خلف وعُقبة بن أبي معيط وما أنزل فيهما ٢٠٧
سورة (الكافرون) وسبب نزولها ٢٠٨
أبو جهل وما أنزل فيه ٢٠٨

تفسير لفظ المهل ٢٠٩
ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس ٢١٠

العائدون من أرض الحبشة ٢١١
من عبد شمس ٢١١
من نوفل ٢١١
من أسد ٢١١
من عبد الدار ٢١١
من عبد ٢١٢
من زهرة ٢١٢
من مخزوم ٢١٢
من جمح ٢١٢
من سهم ٢١٢
من عدي ٢١٣
من عامر ٢١٣
من الحارث ٢١٣
من دخل مكة بجوار من مهاجري الحبشة ٢١٣
عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد ٢١٤
أبو سلمة في جوار أبي طالب ٢١٦
دخول أبي بكر في جوار ابن الدغنة ثم رده عليه ٢١٧

حديث نقض الصحيفة ٢١٩
هشام بن عمرو يسعى في نقض الصحيفة ٢١٩
شُلت يد من كتب الصحيفة ٢٢١
إخباره عليه الصلاة والسلام بأكل الأرضة الصحيفة ٢٢١

ما رثي به حسان المطعم بن عدي وذكره نقضه الصحيفة ٢٢٤
حسان يمدح هشام بن عمرو لقيامه في نقض الصحيفة ٢٢٥

إسلام الطفيل بن عمرو الدَّوْسي ٢٢٦
قريش تحذره من استماعه للرسول ٢٢٦
استماعه للرسول ﷺ ٢٢٦
إسلام الطفيل ٢٢٧
آية للطفيل ليصدقه قومه ٢٢٧
إسلام والد الطفيل وزوجته ٢٢٧
دعاؤه قومه للإسلام ٢٢٨
إحراقه صنم ذي الكفين ٢٢٩
جهاده معه ﷺ وموته ٢٢٩

قصة أعشى بني قيس بن ثعلبة ٢٣٠
قدومه على الرسول ومدحه ٢٣٠
نهاية الأعشى ٢٣٢
أبو جهل يُذَل للرسول ٢٣٣

أبو جهل والإراشي ٢٣٣
مماطلة أبي جهل الإراشي ٢٣٣
الرسول ينصف الإراشي من أبي جهل ٢٣٤
ما خافه أبو جهل من رسول الله ﷺ ٢٣٤

أمر ركانة المطلبي ومصارعته النبي ﷺ ٢٣٥
من معجزاته ﷺ ٢٣٥

قدوم وفد النصارى من الحبشة ٢٣٦
أبو جهل يحاول ردهم عن الإسلام ٢٣٦
ما نزل فيهم من القرآن ٢٣٧
تهكم المشركين بالمستضعفين وما نزل في ذلك ٢٣٧
ادعاء المشركين أنه يعلمه بشر ورد القرآن عليهم ٢٣٨

سبب نزول سورة الكوثر ٢٣٩
نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل ٢٣٩
معنى الكوثر ٢٣٩

نزول « وقالوا لولا أُنزل عليه ملك » ٢٤١

نزول « ولقد استهزئ برسل من قبلك » ٢٤١

ذكر الإسراء والمعراج ٢٤٢
رواية ابن مسعود عن الإسراء ٢٤٣
رواية الحسن ٢٤٣
رواية قتادة ٢٤٣
عودة الى رواية الحسن ٢٤٤
رواية عائشة ٢٤٥
رواية معاوية ٢٤٥
الإسراء رؤيا ٢٤٦
وصفه ﷺ إبراهيم وموسى وعيسى ٢٤٧
علي يصف الرسول ﷺ ٢٤٧
رواية أم هانئ عن الإسراء ٢٤٨

قصة المعراج ٢٥٠
الرسول ﷺ يصعد إلى السماء الأولى ٢٥٠
صفة مالك خازن النار ٢٥١
من صفات جهنم أعاذنا الله منها ٢٥١
عرض الأرواح على آدم عليه السلام ٢٥٢
أكلة أموال اليتامى ظلماً ٢٥٢
أكلة الربا ٢٥٢
الزناة من بني آدم ٢٥٣
من نسبت ابناً لزوجها من غيره ٢٥٣
صعوده ﷺ إلى السموات الأخر وما رأى فيها ٢٥٥
فرض الصلاة عليه ﷺ ٢٥٥
موسى بن عمران عليه السلام يطلب منه عليه الصلاة والسلام
سؤال ربه التخفيف عن أمر أمته في أمر الصلاة ٢٥٥

المستهزئون بالرسول وكفاية الله أمرهم ٢٥٦
أسماء المستهزئين ٢٥٦
ما فعل الله بالمستهزئين ٢٥٧

قصة أبي أزيهر الدوسي ٢٥٨
وصية الوليد أولاده ٢٥٨
عقل الوليد عند خزاعة ٢٥٨
ما قيل من الأشعار في مقتل الوليد ٢٥٨
مقتل أبي أزيهر ٢٦٠
خالد يطالب بتنفيذ وصية أبيه وما نزل في ذلك من القرآن ٢٦٢
دوس تحاول الثأر لأبي أزيهر ٢٦٢

وفاة أبي طالب وخديجة وما عاناه رسول الله ﷺ بعدهما ٢٦٣
من كان يؤذي الرسول ﷺ ٢٦٣
المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب ٢٦٤
رجاء الرسول إسلام أبي طالب ٢٦٥
ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب .. ٢٦٦

سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف منه ٢٦٦
الثلاثة الذين نزل بهم رسول الله ﷺ ٢٦٧
شكواه ﷺ إليه تعالى ٢٦٨
قصته ﷺ مع عداس ٢٦٨
وفد جن نصيبين ٢٦٩

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل ٢٧٠
عرض نفسه في المواسم ٢٧٠
أبو لهب يفرق الناس من حوله ﷺ ٢٧٠
عرضه ﷺ نفسه على كندة ٢٧١
عرضه ﷺ نفسه على كلب ٢٧١
عرضه ﷺ نفسه على بني حنيفة ٢٧١
عرضه ﷺ نفسه على بني عامر ٢٧٢
عرضه ﷺ نفسه في المواسم ٢٧٣
عرضه ﷺ نفسه على سويد بن صامت ٢٧٣

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر ٢٧٥

إسلام الأنصار ٢٧٦
اجتماعه ﷺ بوفد من الخزرج عند العقبة ٢٧٦
أسماء من التقوا به ﷺ من الخزرج ٢٧٧

بيعة العقبة الأولى ٢٧٩
رجال البيعة الأولى ٢٧٩
نص البيعة ٢٨٠
إرسال مصعب بن عمير مع وفد العقبة ٢٨١

أول جمعة أقيمت بالمدينة ٢٨٢
إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ٢٨٣

أمر العقبة الثانية ٢٨٧
البراء بن معرور يصلي إلى الكعبة ٢٨٧
إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام ٢٨٩
امرأتان في البيعة ٢٩٠
العباس يستوثق من الأنصار ٢٩٠
عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار ٢٩١

أسماء النقباء الاثني عشر ٢٩٢
نقباء الخزرج ٢٩٢
نقباء الأوس ٢٩٣
شعر كعب بن مالك في النقباء ٢٩٥
ما قاله العباس بن عبادة للخزرج ٢٩٥
أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية ... ٢٩٦

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة ٢٩٦
الأنصار تستعجل الحرب ٢٩٧
قريش تجادل الأنصار ٢٩٧
قريش تأسر سعد بن عبادة ٢٩٨
خلاص سعد ٢٩٨
ما قيل في الهجرة من الشعر ٢٩٩

قصة صنم عمرو بن الجموح ٣٠٠
إسلام عمرو وما قاله من الشعر ٣٠١

شروط البيعة في العقبة الأخيرة ٣٠٢

أسماء من شهد العقبة الأخيرة ٣٠٣
عدد من شهدها ٣٠٣
من الأوس بن حارثة ٣٠٣
من بني حارثة بن الحارث ٣٠٣
من بني عمرو بن عوف ٣٠٤
من الخزرج بن حارثة ٣٠٥
من بني عمرو بن مبذول ٣٠٥
من بني عمرو بن مالك ٣٠٥
من بني مازن بن النجار ٣٠٦
من بني الحارث بن الخزرج ٣٠٦
من بني بياضة ٣٠٧
من بني زريق ٣٠٧
من بني سلمة بن سعد ٣٠٨

من بني سواد بن غنم ٣٠٩
من بني غنم بن سواد ٣٠٩
من بني نابي ٣٠٩
من بني حرام بن كعب ٣١٠
من بني عوف بن الخزرج ٣١٠
من بني سالم بن غنم ٣١١
من بني ساعدة بن كعب ٣١٢
من بني مازن بن النجار ٣١٢
من بني سلمة ٣١٣

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال ٣١٣
الإذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة ٣١٤

ذكر المهاجرين إلى المدينة ٣١٥
هجرة أبي سلمة وامرأته ٣١٥
هجرة عامر بن ربيعة وبني جحش ٣١٧
هجرة بعض الرجال ونسائهم ٣١٩

هجرة عُمر وقصة عياش وهشام معه ٣٢١
أبو جهل يغرر بعياش بن أبي ربيعة ٣٢٢
كتاب عمر إلى هشام بن العاصي ٣٢٣
أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام ٣٢٤

منازل المهاجرين بالمدينة ٣٢٥

منزل عمر وأخيه وعمرو وعبدالله ابني سراقة وخنيس
ابن حذافة وبني البكير ٣٢٥
منزل طلحة وصهيب ٣٢٥
منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة ٣٢٦
منزل عبيدة وأخيه وحصين وغيرهم ٣٢٧
منزل عبد الرحمن بن عوف ٣٢٧
منزل الزبير وأبي سبرة ٣٢٧
منزل مصعب بن عمير ٣٢٧
منزل أبي حذيفة ٣٢٨
منزل عتبة بن غزوان ٣٢٨
منزل عثمان بن عفان ٣٢٨